# هذا العدد

إن البحث عن الحقيقة التاريخية بين المصادر القديمة، أمر يحوطه كثير من المشقة، ويحتاج الى كثير من الجهد والتدقيق والتمحيص. ويخطىء الكثيرون عندما يعتقدون أن القديم وحده، جدير بالثقة. ذلك ان النظرة الفاحصة تثبت ان الكثير من الكتب القديمة، تشوبه الاخطاء والتجاوزات. ولم يعد يكفي أن يكون الكتاب قديما قد أصفرت أوراقه ليكون موثقا. فالخطأ وارد واحتمالات التزييف قائمة، وان اختلفت درجاته ومنطلقاته. فبالاضافة للخطأ غير المقصود الذي وقع فيه بعض الكتاب نتيجة بدائية وسائل البحث وصعوبة المواصلات ووسائل الاتصال، يوجد الكثير من الأخطاء المقصودة التي أوردها بعض الكتاب عن سوء نية، بهدف خدمة أهداف معينة ومصالح خاصة، أو نتيجة وقوع الكاتب نفسه تحت العديد من المؤثرات التي تختلف من عصر لعصر ومن بيئة لبيئة.

ونحن لا نقصد هنا مصادرنا الاسلامية والعربية، فهذه وباعتراف الجميع بذل فيها السابقون أقصى الجهد وتكاد الكتب المجرحة بينها أن تكون قليلة الى أقصى حد. وهذه نفسها تم رصدها من كتاب محققين وضعوا بها قوائم وأشاروا اليها في مؤلفاتهم حتى لا يسقط الآخرون فريسة لما جاء فيها من أكاذيب. وإنما التركيز هنا هو على المصادر الأجنبية التي كتبت عن الشرق بعامة وعن المنطقة العربية بصفة خاصة. وذلك لولع البعض وخاصة من شباب الباحثين في التاريخ بهذه المصادر ولعا شديدا، وهو ولع إنحدر اليهم من أوائل هذا القرن عندما

## بقلم سعادة الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

سادت مقولة أن كل أجنبي هو صادق ودقيق. ووصل هذا الولع بالبعض لدرجة أنهم أصبحوا يعتقدون أن خلو أبحاثهم ودراساتهم من مجموعة من المصادر الأجنبية تتصدر قائمة المصادر والمراجع نقص وعيب، وأن الدراسة الجيدة في نظرهم هي التي تتضمن قائمة مصادرها مجموعة كبيرة من أسماء الكتب الأجنبية والمؤلفين الأجانب وحبذا لو كانوا من أكبر عدد ممكن من الدول.

حقيقة إن الإطلاع على أكبر كم ممكن مما كتب حول القضية موضوع البحث، أي بحث، أمر مطلوب. ولكن على أن يكون اللجوء لهذه المصادر من هذا المنطلق وحده، لا أن يكون المنطلق هو الاعتقاد بأن العثور على هذه المصادر هو فصل الخطاب وهو المقياس الأمثل الذي يجب أن تقاس عليه كل الحقائق وأن تخضع له كل الأدلة والبراهين. ففرق كبير بين إيراد المصدر الأجنبي ضمن حشد كل ما كتب عن الموضوع والاعتماد على هذا المصدر وما جاء فيه من أفكار في الخروج بالنتائج النهائية للبحث أو الدراسة.

نحن لا ننكر أن المتمرسين بالبحث يمكنهم عن طريق المقارنة بين المصادر وعن طريق تتبع سياق الحواث ومنطقها وعن طريق الدراسات الأخرى المكملة مثل دراسة المجتمع الذي دارت فيه الأحداث في الفترة موضوع البحث، ودراسة الكاتب اجتماعيا ونفسيا وماديا لمعرفة كل المؤثرات التي أحاطت به وقت كتابة ما كتب، وغيرها من الدراسات - نقول - يمكنهم عن طريق ذلك إفراز الصحيح من السقيم. ولكن المشكلة

أنه ليس كل الباحثين متمرسين. وليس كل من يكتب في التاريخ اليوم يجهد نفسه أو يكلفها المشقة بحثا عن الحقيقة وسعيا وراء كل خبر صحيح.

هذا ما نجد واجبا علينا أن نقوله لباحثينا الشباب ولكن ليس ذلك هو نهاية المطاف فإن هناك حديثا آخر نوجهه للمؤرخين الكبار وللجامعات ولمراكز الأبحاث وللمجلات المتخصصة. هذا الحديث يدور حول سؤال محوري، هو: ماذا فعلت أو تفعل كل هذه الأجهزة إزاء هذه المصادر؟ إن النظرة السائدة لدى غالبية هذه الأجهزة حاليا هي تجاهل هذه المصادر وعدم الاعتماد عليها أو اللجوء إليها أصلا. ولكن هل يكفي هذا التجاهل؟ وهل السكوت على هذه المصادر ينفي وجودها وتسللها إلى أيدي شبابنا، خاصة ووراءها امكانيات كبيرة. وتطبع عشرات المرات طباعة فاخرة، وتوزع على أكبر اتساع ممكن. وهل السكوت على هذه الكتب سوف يلغى ما تتضمنه من أخطاء؟ خاصة اذا عرفنا أن الخطأ في هذه الكتب وراءه أسباب منها:

○ الجهل بمسارات الحياة في المنطقة وبكثير من ملامح السلوك والعادات واللغة المحلية. والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن أحد الكتاب الأجانب أورد في دراسة له عن إحدى الشخصيات البارزة في تاريخ الخليج أن هذا الشخص كان زئر نساء والسبب في رأيه أنه كان متزوجا من أربع نساء وبنى الباحث الأجنبي على هذه المعلومة نتائج في غاية الأهمية بالنسبة لبحثه. وهو لا يعلم بالطبع أن الزواج من أربع أمر يبيحه الاسلام وأن الغالبية العظمى من السكان في ذلك التاريخ في تلك البيئة كانوا متزوجين من أربع وأن الزواج من أربع في المنطقة العربية له أسباب أخرى قد لا يكون الجنس من بينها ومن أبرزها دعم العلاقات بين قبيلة الشخص والقبائل الأخرى ذات النفوذ والاكثار من النسل الذي يعتبر مفخرة الرجل العربي لأسباب اقتصادية وعسكرية.

مثال آخر: باحث أعد بحثا عن مصادر إسمي أوال والمحرق - والبحث منشور في هذا العدد - وهو أثناء بحثه وجد أن كلمة «عوال»

تطلق على سمك القرش ولما كان الأوروبيون ينطقون حرف العين ألفا تحولت كلمة عوال الى كلمة أوال وخرج من ذلك بنتيجة جوهرية في بحثه هي أن اسم أوال وهو أحد أسماء البحرين قديما جاء من اسم سمك القرش والنتيجة بالطبع خاطئة لأن مقدماتها خاطئة والأمثلة في هذا الصدد كثيرة.

○ السبب الثاني : هو ترسيخ وجهة النظر الأجنبية وإضفاء صفات البطولة على موجات استعمارية شرسة تعرضت لها المنطقة في أكثر من فترة من فترات تاريخها. مثل اطلاق اسم القراصنة على البحارة العرب. وقد أشرنا لذلك في أعداد سابقة من الوثيقة ـ فالعرب الذين عاشوا حياتهم على البحر في الخليج والذين مارسوا التجارة بشرف سعيا وراء لقمة العيش والذين خلقوا جسورا مع الشرق الأقصى امتدت الى الصين، هؤلاء البحارة في نظر المؤرخين الأجانب قراصنة. أما البحارة الجنود الذين جاءوا من أقصى الشمال إلى بحار ليست بحارهم وبلاد ليست بلادهم وصبوا نيران مدافعهم على الموانيء الآمنة وعلى السفن والبلاد هؤلاء في نظر المؤرخين الأجانب أبطال وليسوا قراصنة. ورغم بساطة هذه الحقيقة ووضوحها فقد رددت مئات الكتب لمؤلفين عرب هذه الأكذوبة لسنين طويلة. ومثال آخر هو الرقيق الذي اتخذته الأساطيل الأجنبية ذريعة لاحتلال عدد من البلاد في الشرق مع أن الأوروبيين والبرتغاليين على وجه الخصوص هم أول من ابتكر تجارة الرقيق على مستوى عالمي كما ثبت مؤخرا.

○ خدمة أفكار معينة وليس هناك من مثل على ذلك أبرز ولا أوضح مما أشار اليه مؤخرا بيان صادر عن اتحاد المؤرخين العرب. هذا البيان يعلن للباحثين العرب في كل مكان أن مجموعة كبيرة من أساتذة الجامعة العبرية انتهت مؤخرا من إعادة طبع مجموعة كبيرة من الكتب الاسلامية سواء في العقيدة أو الفقه أو التاريخ وقد قامت هذه المجموعة بالطبع بتزييف ما جاء في هذه الكتب التي سوف يتم طبعها وتوزيعها بما عرف عن الصهيونية من نشاط تخريبي فعال في مثل هذه المجالات.

وفي موجة جديدة توشك أن تهاجم التراث العربي والتاريخ العربي.

هذه بعض الاسباب ولا شك أن هناك أسبابا أخرى ومنطلقات أخرى يضيق عنها نطاق هذه المقدمة. ولكنها في النهاية أسباب تضع على كاهل الأجهزة المختصة مسئوليات جساما في التصدي لكل هذا الزيف والتحريف. وأولى هذه المسئوليات هي عدم السكوت على هذه المصادر وإنما البدء بها وعرضها ونقدها وتوضيح الأكاذيب التي حفلت بها في بحث أو دراسة أو تعليق يوزع على كل الجامعات ومراكز البحث والمجلات المتخصصة مع الحرص على نشره على أوسع نطاق بالاضافة الى ضرورة إعداد قائمة سوداء تتضمن أسماء المؤلفين المشبوهين في كل مجال من مجالات البحث وأن يؤكد الأساتذة في كل الجامعات على طلابهم بضرورة اللجوء لهذه القائمة كاجراء ضروري عند إعداد أي أطروحة أو بحث وأن تفرد المجلات المتخصصة مساحة ثابتة تعرض فيها لبحث أو أكثر من الأبحاث أو الكتب التي تتضمن أكاذيب مع تحليلها وتصحيح ما جاء فيها . والأهم من ذلك كله أن تقام دائما جسور ثقافية مع الجامعات الأجنبية ومراكز البحث وتزويدهم وباستمرار بكل ما يتوصل اليه الباحثون العرب حول هذه الكتب وهؤلاء الكتاب. بالاضافة الى ضرورة أن تستنفر الأجهزة المسئولة كل امكانياتها للتصدي لسيل الكتب التي تعد الجامعة العبرية الآن لاصدارها ودفعها الى الأسواق العربية وان يتم إعداد حملة مكثفة للتصدي لهذه الكتب وتحذير الباحثين والقراء من تناولها.

والله ولي التوفيق .

عبدالله بن خالد آل خليفة

# خلفية البحرين

## قبيل وجود محمد علي في

لايزال تاريخ العالم العربى الحديث ـ بصفة عامة ـ يحتاج الى المزيد من الدراسات فهناك قضايا تاريخية من الخطورة بمكان، وقد تكون فى نظر البعض عادية او غير ذات تأثير.

ولا نزال نحن ابناء العرب، نمر عليها دون اهتمام يذكر، ونسلم بها، دون مناقشة او تحليل، ونكاد نعتمد ـ الى حد كبير ـ على ما جاء فى بطون المؤلفات والكتب، التى تشير الى تلك القضايا، والتى عولجت باقلام اجنبية.

وقد يستنتج من تلك الكتابات ادانة للمسئولين، الذين تمت فى عهدهم تلك القضايا، وقد يكونون ابرياء، او ان تكون الظروف، حينذاك اقوي من ان يتصدوا لمعالجة هذه القضايا، بما يتناسب وصالح بلادهم، ومن ثم ينظر معظم المؤرخين والكتاب، الى تلك المسائل بوجهة نظر، قد تخالف الحقيقة، او على الاقل تشكك فيها، ربما لانهم لم يتفهموا روح المجتمعات الشرقية ـ عامة ـ او انهم يكتبون لخدمة وجهة نظر معينة.

ولاحظ الباحث من خلال دراسته عن منطقة الخليج ان تاريخ هذه المنطقة، بجانب تعقده الواضح، ما زالت به جوانب عديدة تحتاج الى البحث والدراسة، لتغطيتها تاريخيا، بعيدا عن روح التعصب والانانية، فى اطار منهج البحث التاريخى العلمى.

# التاريخية الخليج العربي

## دراسة وثائقية وتحليلية

دكتور تمام همام تمام

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر
المشارك بجامعة القاهرة والمعار
لكلية البحرين الجامعية

وكان من بين القضايا التى شدت انتباه الباحث، مسألة البحرين بالذات ولماذا كانت دون غيرها اكثر مطمعا للاخرين وما هى مواقف حكامها وشعبها من هؤلاء الطامعين، وما شابه ذلك من تساؤلات دارت فى ذهن الباحث، وهل ما ضمته المؤلفات والكتب الاجنبية، بل والوثائق الانجليزية نفسها، من معلومات، حول البحرين، من الامور المسلم بها، ومن ثم لايرقى اليها الشك.

رأى الباحث من منطلق استخدامه المنهج التحليلى فى دراساته التاريخية ـ عامة ـ ان الواجب العلمى، يقتضى ضرورة البحث والتقصى والمقارنة والتحليل، للكشف عن الحقيقة التاريخية، وابرازها مجردة من كل انانية وعاطفة، وان تكون هذه الدراسة، بداية له ولغيره من الباحثين، حتى لايكون اعتماد الدارس كلية على وجهة نظر واحدة.

### موقع البحرين واهميته :.

يستحسن قبل ان ندخل فى موضوع الدراسة ان نلقى فى عجالة نظرة سريعة وعامة، على موقع

البحرين، لنعرف مدى اهميته بالقياس الى بلاد الخليج العربي الاخرى.

فالمعروف ان البحرين، كانت تسمى قديما باسم (دلمون)[1]، كما عرفت عند جغرافي الاغريق والرومان باسم (تايلوس)، ثم كانت تعرف باسم (اوال) نسبة الى الصنم الذى كانت تعبده قبيلة (بكر بن وائل) العربية خلال تلك الفترة[2].

والجدير بالذكر ان الجغرافيين العرب، كانوا يطلقون اسم البحرين، على الشاطىء الممتد من كاظمة شمالا الى عمان جنوبا، وظلت هذه المنطقة تعرف بهذا الاسم، لفترة طويلة من الزمن فى بداية الفتح الاسلامى[3]

كما قرر القلقشندى، ان عمان والبحرين، كانتا مقاطعة واحدة فى عهد الدولة العباسية، وان عمان، قاعدة البحرين بمفهومها الجغرافى الواسع، وظل الحال على هذا الشكل، حتى قام (ابوسعيد الجنابى) بثورة فيها، واغار على عاصمتها (هجر) وفى عام ٣١٧ هـ - ٩٢٩م، اسس (ابوطاهر) مدينة بجانب (هجر) اطلق عليها اسم (الاحساء) ويقول الحيدرى فى ذلك (.. ومن اعظم بلاد البحرين واشهرها (هجر) بفتح الهاء والجيم، وهى التى كانت قاعدة بلاد البحرين فى الزمن المتقدم، وعندما استولى القرامطة على البحرين، ضربوا هذه المدينة - هجر - وشيدوا مدينة الاحساء، ونزلوها، وصارت قاعدة البحرين[4]

هذا وقد اقتصر اسم البحرين مؤخرا، على الجزر التى تتكون منها دولة البحرين الحالية، واهم هذه الجزر، واكبرها مساحة، هى جزيرة البحرين، ثم جزيرة المحرق شمال شرقي جزيرة البحرين، وجزيرة سترة، وجزر ام النعسان وجده والمحمدية وجزيرة النبيه صالح وجزيرة حوار التى تعتبر اكبر جزر ارخبيل حوار، وتشمل حوالى تسع عشرة جزيرة، بالاضافة الى بعض الجزر الاخرى، التى تكون فى مجموعها حوالى ثلاثة وثلاثين جزيرة.

وتقع هذه الجزر فى حوض الخليج العربى بين دائرتى ٣٥,٣٢,٢٠° شمالا و ٢٦,١٧,١٠° شمالا، وبين خطى طول ٥٠,٢٢,٤٥° شرقا و ٤٥, ٤٩, ٥٠° شرقا، وتبتعد عن الساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية، بحوالى خمسة عشر ميلا، وعن الساحل الايرانى بحوالى مائة وخمسين ميلا، وتتوسط هذه الجزر، المسافة تقريبا بين مضيق هرمز فى الجنوب - المتحكم فى مدخل الخليج الى شرقى افريقيا والبحر الاحمر والشرق الاقصى[5] - وفى الشمال مصب شط

العرب(٦)

اى ان البحرين كانت ولاتزال تمثل نقطة استراتيجية هامة في الخليج .

وبجانب هذا الموقع الجغرافي الممتاز اشتهرت البحرين، برخائها الاقتصادى، حيث كثرة المياه العذبة، المتدفقة من ينابيعها البحرية وعيونها البرية، مما ترتب عليه، ان ازدهرت البلاد بالبساتين والنخيل والزراعة، هذا فضلا عن ثروتها السمكية ومواردها الطبيعي الاساسى الممثل فى صناعة الغوص فى المياه لاستخراج اللؤلؤ الذى اجمع الخبراء على انه يفوق سائر اللآلىء بهجة ونفاسة(٧)

ولاشك ان موقع البحرين هذا، اكسبها ميزة استراتيجية خطيرة وجعل منها مركزا هاما، للمواصلات البحرية والتبادل التجارى، خاصة بعد ان أصبح شبه القارة الهندية، مستعمرة رئيسية للامبراطورية البريطانية(٨)

وبسبب الموقع والموارد الاقتصادية، صارت البحرين، هدفا، تتسابق اليه، بل وتتصارع من اجله، القوى الاقليمية من ناحية، والقوى الاجنبية من ناحية اخرى.

وظل الحال على ذلك الى ان جاء (آل خليفة) من العتوب فى عام ١٧٨٣م، وردوا الى البحرين وجهها العربى بعد ان فتحوا جميع جزرها، واصبحت جزءا من دولتهم، التى بقيت عاصمتها وقتذاك في الزبارة، التى تطل على ساحل قطر الغربى(٩)

ومنذ تاريخ فتح البحرين صار (آل خليفة) يشكلون الاسرة الحاكمة للبلاد، ومن ثم بدأت حقبة تاريخية جديدة، من الممكن ان نتخذها بداية لتاريخ البحرين الحديث(١٠)

## ظروف البحرين

ذكرنا ان (آل خليفة) تمكنوا من فتح البحرين فى عام ١٧٨٣م، ووضعوا اساس حكم عربى مستقل فى تلك البلاد(١١) بعد ان سادها نوع من الاضطراب والقلاقل، على اثر مقتل كريم خان الزندى شاه فارس(١٢)

وكان (آل خليفة) قوما حكماء اذ سرعان ما ادركوا منذ البداية، الفوائد التى تعود عليهم، اذا جعلوا موانيهم مغرية بالنسبة للتجارة وذلك بتخفيض رسوم الواردات المفروضة فى الاماكن الاخرى من الخليج، وترتب على تلك السياسة ان ازدهرت احوال تلك الموانىء بوصفها موانىء للتجارة الحرة، على عكس موانىء القطيف والعجير، التابعة وقتذاك (للخوالد) وكانت تفرض رسوما على الواردات مقدارها ١٠٪ على جميع المواد

المستوردة، باستثناء المواد الغذائية، وفى حين كانت مسقط تفرض رسوما قدرها ٦,٥٪ على جميع المواد بما فيها المواد الغذائية[١٣]

بجانب ذلك، احاط (آل خليفة) مصالح التجار انفسهم، بالرعاية الكاملة، مما جعلهم يقومون بعمليات نقل البضائع ما بين مسقط، التى كانت فى ذلك الوقت، المركز التجارى المحلى الرئيسى، والبصرة وغيرهما من موانىء الساحل الغربى للخليج، وبذا سيطر اهل البحرين، سيطرة شبة كاملة على تجارة اللؤلؤ - بصفة خاصة - فى منطقة الخليج[١٤]

واذا اضفنا الى انتعاش البحرين من الناحية التجارية، مواردها الاقتصادية الاخرى، فضلا عن موقعها الجغرافى المتميز فى الخليج، ادركنا على الفور، ان هذه الجزر[١٥]. لابد ان تكون محط انظار القوى الطامعة والمتنافسة فى الخليج، سواء كانت اقليمية او اجنبية

## موقف فارس :.

اذا كان النفوذ الفارسي قد أزيح من البحرين ، على ايدى العتوب، واذا كانت فارس قد غرقت بعد ذلك في مشاكلها الداخلية، وعلاقاتها مع الانجليز، او مع غيرهم، مثل العثمانيين فى العراق، مما ترتب عليه، ان هدأ نشاطها السياسى تجاه البحرين [١٦] فان ذلك لايعنى، انها سلمت بالامر الواقع وانما بذلت بعض المحاولات لاسترداد نفوذ (بوشهر) على تلك الجزيرة[١٧]

فمثلا تحركت سفن الساحل الشرقى للخليج فى عام ١٧٨٥م، لتحقيق تلك المهمة ولكنها لم تنجح بسبب قوة اسطول (آل خليفة) من ناحية، وظروف فارس نفسها التى اشرنا اليها من ناحية اخرى[١٨]

## تطلع مسقط الى البحرين:.

لم تسلم البحرين من تطلعات الامام (سلطان بن احمد) سلطان مسقط[١٩]، فرغم اهتمامه بتوسيع رقعة املاكه فى السواحل الجنوبية الشرقية من الخليج، وارغامه فارس على ان تعترف بسيادته على ميناء بندر عباس بملحقاته الواسعة على ساحل مكران، وكذلك على جزر قشم وهرمز وغيرها من الجزر والموانىء التى انتزعها العمانيون من الفرس، وجهوده فى اعادة ممتلكات عمان فى شرق افريقيا[٢٠] فانه تطلع الى البحرين كذلك.

والواقع انه بجانب طموحه الشخصى، دفعته عدة عوامل اقليمية واخرى دولية الى محاولة ضم البحرين الى سلطنته الشابه، لعل اهمها مايلى:-

## اولا: عوامل اقليمية

كانت الدولة السعودية الاولى فى تلك الفترة تنشط فى محاولة توحيد اقاليم شبه الجزيرة العربية، فقد تمكنت فى عام ١٧٩٥م من ان تسيطر على واحة (البوريمى) بعد ان جذبت اليها بعض القبائل العربية، مثل قبائل (بنى نعيم) و (بنى ياس)[٢١]، وصارت قواتها تتطلع الى عمان، متخذة من هذه الواحة ، نقطة انطلاق اليها[٢٢] والواقع ان تطلعات السعوديين (الموحدين) لم تقتصر على عمان فقط، وانما تطلعوا ايضا الى (الزبارة) التى كانت تحت حكم (آل خليفة)، مما اضطرهم الى الرحيل الى البحرين فى عام ١٧٩٧، ريثما تهدأ الامور، وتتحسن الظروف[٢٣]. هذا وكانت تلك الفترة، تشهد ايضا صراعا مريرا بين سلطات مسقط وعرب القواسم[٢٤]، وقد انضم القواسم الى جانب السعوديين[٢٥] ومن ثم صار هؤلاء القواسم، يزيدون من هجماتهم ضد السفن الانجليزية على نطاق واسع[٢٦]

واتصل (آل خليفة) فى البحرين بالدولة العثمانية لاسترداد الزبارة، فاتصل السعوديون بالقواسم فى رأس الخيمة لمهاجمة البحرين، لعدم وجود اسطول لديهم ، ولكن القواسم، رفضوا هذا الطلب، بحجة عدم قدرتهم على مواجهة (آل خليفة) فى حروب بحرية، وردوا ، بانه من الافضل العمل على كسب (آل خليفة) الى صفهم، ولعل القواسم كانوا يريدون الاستفادة من اسطول البحرين وخبرة رجاله، وانتهى الامر بان تم الصلح بين الطرفين، وكان من نتائجه مايلى :

١ ـ صار القواسم يترددون على موانىء البحرين
٢ ـ تحسن العلاقات بين آل خليفة وآل سعود
٣ ـ عودة آل خليفة الى الزبارة من جديد[٢٧]

هذا وقد ترتب على التقارب السعودى ـ القواسمى ـ آل خليفى، عدة آثار، لعل اهمها ما يلى :

١ ـ عدم ارتياح من جانب كل من سلطان مسقط وشاه ايران والدولة العثمانية
٢ ـ تفاهم بين سلطان مسقط وحكومة السلطان العثمانى.
٣ ـ اتجاه سلطان مسقط، لطلب المساعدة من حكومات الشاه والدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا[٢٨]
٤ ـ عزم سلطان مسقط على غزو البحرين للاستفادة من موقعها

ومواردها الاقتصادية.

## ثانيا عوامل دولية:

نقصد بالعوامل الدولية فى تلك الفترة العلاقات والصراعات الاوروبية التى كانت تنعكس بصورة او باخرى على العالم الاسلامى فى جناحيه الاسيوى والافريقى.

فالمعروف ان العلاقات بين فرنسا وبريطانيا بالذات، كانت دائما تتصف بالعداء التقليدى فلم تنس فرنسا ضياع املاكها ونفوذها فى كندا وجزر البحر الكاريبى بعد حرب السبع السنوات (١٧٥٦م - ١٧٦٣م) واخيرا جزر المحيط الهندى، التى استولت عليها انجلترا

ولما قامت الثورة فى فرنسا عام ١٧٨٩، وما ترتب عليها من اثار فى اوروبا نفسها[٢٩] انعكست هذه الاثار على منطقة الشرق الاسلامى وكان منها ان وجهت فرنسا فى عام ١٧٨٩ حملتها المشهورة، والتى كان يطلق عليها بجيش الشرق، بقيادة نابليون بونابرت، لاحتلال مصر، لتصبح نواة لامبراطورية فرنسية، على حساب املاك الدولة العثمانية، ولتكون مقدمة لطرد الوجود البريطاني من الهند.

ويلاحظ ان فرنسا وجهت انظارها الى مصر، قبل ذلك، اى زمن الحروب الصليبية، وكذلك فى نهاية القرن السابع عشر، باعتبارها محطة هامة فى الطريق الى الهند... فقد كتب بعض الساسة الفرنسيين الى الملك لويس الرابع عشر ينصحونه باحتلال مصر، واتخاذها كمحطة فى الطريق الى الهند، ولكن هذه الفكرة، ظلت حبيسة فى دار المحفوظات الفرنسية الى ان جاءت الثورة الفرنسية فأحيتها[٣٠]

الامر الذى ترتب عليه، قلق شديد فى بريطانيا، ومما زاد من قلقها وجود علاقات تجارية بين جزيرة موريشيوس الفرنسية فى شرق افريقيا، وبين تجار عمان، فقدرت انجلترا انه اذا حدث تقارب بين مسقط والفرنسيين، فان ذلك يعنى خنق مصالحها وربما طردها من البحر الاحمر والخليج العربى، وهما الطريقان المائيان الموصلان الى اهم مستعمراتها فى تلك الفترة وهى الهند، التى كانت بمثابة البقرة الحلوب للامبراطورية البريطانية، خاصة بعد ان فقدت نفوذها فى امريكا الشمالية[٣١]

ويبدو أن مستر سميث وكيل شركة الهند الشرقية فى بوشهر، لاحظ تزايد هذه العلاقات، فكتب الى حكومة بومباى فى ٢٤ مايو ١٧٩٨ يشير الى ان مسقط، ستصبح فى القريب وكرا للجاسوسية الفرنسية على الهند، لان

خمسا او ستا من سفن عربية، تقوم بنقل التجارة بين موريشيوس ومسقط وساحل ملبار، ولاشك ان نقل الانباء سيكون مورد ربح للبحارة العرب[٣٢]

وعلى ضوء ذلك اخذت انجلترا تزيد من اهتماماتها بالخليج العربي، حتى لايسقط هو الاخر في يد الفرنسيين، بصورة او باخرى، ومن ثم بدأ نشاطها في منطقة الخليج يتحول من نشاط تجاري تقليدي الى نشاط سياسي من ناحية ومن ناحية اخرى خططت منذ ذلك الوقت لان يكون الخليج، احد الخطوط الامامية للدفاع عن ممتلكاتها في الهند، ومحاولة ضرب الوجود الفرنسي في مصر، وشل حركته في شرق افريقيا والخليج العربي من ناحية ثالثة، واتخذت لتنفيذ هذه السياسة عدة اجراءات منها

١ - التقارب مع الدولة العثمانية، فقد استثمرت لندن، غضب السلطان العثماني، من احتلال نابليون بونابرت لمصر، لكونها ولاية من دولته وخوفه من ان يكون هذا الاحتلال بداية لسقوط ولايات اخرى، او ضمن مخطط اوروبي عام، ضد الدولة العثمانية وكانت حكومة الهند البريطانية قد تمكنت من ان تفتح لها مقيمية في بغداد عام ١٧٩٨[٣٣]

٢ - رأت ان علاقة الفرنسيين بمسقط تزداد قوة في الخليج، رغم ان حكومة عمان كانت لاتزال حتى ذلك الوقت تفضل الوقوف على الحياد، بالنسبة للموقف البريطاني الفرنسي في شرق افريقيا، الا ان حاكم الهند العام مستر (ويلسلي) رأى ان الخليج العربي، له كثير من الاهمية بالنسبة للهند، فاصدر اوامره الى (ميرزا مهدي على خان) الموظف بشركة الهند، للتوجه الى سلطان مسقط، لاقناعه بعدم التعاون مع الفرنسيين، وعقد معاهدة معه، وفعلا تحرك (على خان) من بومباي ووصل الى مسقط في الثاني من اكتوبر ١٧٩٨، وبعد مباحثات، استمرت عشرة ايام، تمكن هذا المبعوث من ان يعقد مع امام مسقط السيد (سلطان بن أحمد) اتفاقية دفاعية سياسية في الثاني عشر من اكتوبر، مكونة من سبع مواد، تضمنت عدم اتصال مسقط بالفرنسيين، وعدم السماح لهم او لسفنهم بالنزول في الموانىء التي توجد بها سفن انجليزية في حالة حرب بين فرنسا وبريطانيا، وان يعتبر سلطان مسقط الفرنسيين اعداءه، اذا نشبت حرب بينهم وبين الانجليز في المياه الاقليمية لعمان، والسماح للانجليز باقامة وكالة تجارية في بندر

عباس وتحصينها والسماح لهم باقامة حامية انجليزية مزودة بالمدافع بهـا، اذا رغب الانجليـز فى تنفيـذ هـذه المسألة[٣٤]

ويلاحظ ان هذه المعاهدة تعتبر اول معاهدة سياسية دفاعية بين بريطانيا وبين اول دولة عربية مستقلة، ويرى (لانـدن) ان تحـالف مسقـط مـع الانجليز، جاء كرد على هجمات العرب المـؤيـدين من المـوحـدين فى ميـاه الخليج[٣٥]

ونحن نرى ان السبب الرئيسى فى ابرامها هو الخطر الفرنسى الذى صار يحيق بالهند والدليل على ذلك :ـ

١ ـ توجيه حكـومة الهنـد مبعوثهـا لمقابلة السلطان وعقد المعاهدة

٢ ـ ان المعاهدة ابرمت بعد خمسـة شـهـور مـن نـزول الحـمـلة الفرنسية على مصر

٣ ـ جهود انجلترا منـذ ذلك الوقت، للقضـاء عل محـاولات فرنسـا، ولتقـوية النفـوذ البـريـطانى فى البحـار الشرقيـة عامـة، وعنـد مداخل البحـر الاحمر والخليـج العربى خاصة.

ولكن اذا كانت انجلترا قد عقدت هذه المعاهدة مع امـام مسقط، فـان نابليون بونابرت من الجانب الاخر، لم يتخل من مشروعات فرنسا فى الشرق، فصار يتصل ببعض زعماء المسلمين فى دارفـور بـغـرب السـودان[٣٦]، والحجاز والبنغال، بل والخليج نفسه، مشيرا الى الزحف الفرنسى المحتمـل الى الهند، وليقف على مدى مساعدتهم للفرنسيين[٣٧]

ويبدو ان بونابرت قـد غابت عنـه مسألة الشعور بالعاطفة الدينية، التى تربط الشعـوب الاسلاميـة، ولعله لم يدرك ان سقوط مصر الاسلامية فى يد الفـرنسيين، كـان طعنة عـلى الاقـل للشعوب العربية[٣٨]

واذا كانت موافقة امام مسقط على المعـاهـدة مـع الانجليـز، لاتخلو، فى نظرنا، من تأثيرات عواطف دينية ضد الفـرنسيـين، فـان سلطان مسقـط بطموحه الواسع، اراد ان يستفيد من الموقف الدولى، لصالح بلاده، ولتحقيق اهدافه فى البحـرين، وذلك عن طريق استثمـار تلك المـعـاهـدة، رغم ان نـصـوصـهـا كـانـت لصـالح البريطانيين[٣٩]

فـأخـذ يـجس نبض السـلطات البريطانية فى الهند، حول مساعدتها له، خـاصـة وانـه علم ان (عتـوب) البحـرين، ارسلوا وكيـلا عنهم الى بومباى لشـراء بعض السفن، فكتب الامام الى حاكم بومباي فى ابريل من عام ١٧٩٩، يفيده بانه رفض ان يقابل

مبعوثا عسكريا فرنسيا فى جزيرة ((هرمز)) وانه تلقى عرضا فرنسيا بامداده بالمعدات العسكرية لمساعدته ضد عتوب البحرين، وطلب اليه بناء على الصداقة بينه وبين حكومة بومباى الانجليزية، رفض بيع اى سفينة للعتوب[٤٠]

فاذا حللنا هذه الرسالة، نجد انها تدل على:ـ

١ ـ اخذ سلطان مسقط يفرض شروطه على الانجليز، والا فان المعاهدة، لاتزيد عن كونها حبرا على ورق

٢ ـ ان تتحول المعاهدة، او على الاقل، يترتب على تنفيذها، شىء لصالح بلاده.

٣ ـ اخبر السلطان، السلطات الانجليزية، باسلوب غير مباشر، بانه من الممكن ان يوطد علاقاته بالفرنسيين.

٤ ـ اذا لم تمده السلطات الانجليزية بالعتاد الحربى، فان الفرنسيين على استعداد لتلبية كل احتياجاته العسكرية

٥ ـ انه كان يستعد للهجوم على البحرين، ويهمه فى هذه الحالة، عدم تزويد اسطولها بسفن حربية.

واذا كانت انجلترا حتى ذلك الوقت لم يكن يهمها من الخليج سوى تجارتها، وتأمين هذا الطريق، والمحافظة على عدم وقوعه فى قبضة اى قوة سواء كانت اقليمية او خارجية الا ان وجود الحملة الفرنسية فى مصر، اخذ يلقى بظلاله على مصالحها ونفوذها فى البحار الشرقية عامة، وصارت الحملة بمثابة اداة تهديد ضدها، كما فعل سلطان مسقط على سبيل المثال، لذلك كما ارتبطت معه بتلك المعاهدة، لمجابهة المخططات الفرنسية والرد على بقايا المنافسه التجارية الهولندية فى المنطقة، فانها استولت على جزيرة بريم الصخرية فى عام ١٧٩٩[٤١]

ولما كانت السياسة البريطانية، حتى ذلك الوقت ايضا، تنهج سبيل عدم التدخل فى المنازعات الداخلية بين بلاد الخليج، خاصة اذا كانت تلك المنازعات لاتؤثر على سلامة مصالحها التجارية وأمن مواصلاتها فى الخليج، فان الانجليز، من ناحية اخرى، بسبب دهائهم، لم يكشفوا عن اوراقهم فى تلك الظروف الحرجة او يخسروا صداقتهم لسطان مسقط، نظرا لاهمية بلاده بالنسبة لهم وحتى يقطعوا عليه خط الرجعة مع الفرنسيين، رد حاكم بومباى فى مايو ١٧٩٩ على رسالة السلطان ـ السابق

ذكرها ـ بان حكومة الهند لن تقدم مساعدات لعتوب البحرين، ولن تسمح لهم بشراء سفن حربية من بومباى، واضاف ـ اى حاكم بومباى ـ الى ذلك، تمنياته للسلطان بالانتصار على عتوب البحرين(٤٢)

والواقع ان المنافسة التجارية، كان لها دور واضح فى العلاقات بين امام مسقط وآل خليفة، فمنذ فتحهم البحرين، صارت سفنهم تجوب الخليج والمياه الشرقية، وبالتالى صاروا ينافسون اهل عمان، الذين كانت سفنهم تشارك السفن الانجليزية والهندية فى عمليات النقل البحري.

وكان ميناء مسقط يقوم بتوزيع تجارة شركة الهند الشرقية البريطانية القادمة الى الخليج والتى تتمثل فى الاصواف الانجليزية وحرير البنغال والتوابل والنيله والعقاقير والخزف والمنسوجات القطنية، وكان ميناء البصرة، يقوم بتوزيع تجارة اوروبا القادمة عن طريق الشام والصحراء، فى حين كان الخليج يصدر اللؤلؤ والتمور، وقد قدرت صادرات البحرين من اللؤلؤ فى عام ١٨٠٠ بحوالى مليون روبية، فى الوقت الذى بلغ فيه مجموع استيرادها هى وعمان حوالى مليون روبية ايضا(٤٣)

وكانت سياسة آل خليفة، ان تصير البحرين محطة تجارية تفوق وتفضل غيرها من موانىء الخليج، خاصة وانها تقع ـ كما ذكرنا ـ فى منتصف الخليج تقريبا، ومن ثم ينتعش السكان اقتصاديا، ويتفادون دفع رسوم مرور سفنهم على مسقط.

وكانت هذه المسألة لاتضير السلطات الانجليزية ومن ثم نظرت اليها فى اطار السياسة البريطانية العامة تجاه الخليج ـ ككل ـ لكن سلطان مسقط، كانت له وجهة نظر تختلف كلية عن وجهة النظر البريطانية، فقد رأى فى العتوب مشاركا بل ومنافسا خطيرا فى التجارة والنقل البحرى، فضلا عن تقاربهم مع القواسم والموحدين، ومن ثم صمم على غزو البحرين وضمها الى ممتلكاته.

## هجوم مسقط على البحرين

رغم ان المصادر الانجليزية تشير الى ان سلطان مسقط، هجم على سفن البحرين فى طريق عودتها من الهند فى عام ١٧٩٩، وهجم على الجزيرة نفسها فى عام ١٨٠٠، ثم استعادها آل خليفة منه ورحلت قواته عنها فى عام ١٨٠١ ولكنها لم تلبث ان نزلت البحرين مرة اخرى فى عام ١٨٠٢(٤٤)

ورغم ان الباحث كان قد انتهى من

معالجة هذه القضية على ضوء تلك المصادر والمصادر العربية التى اشارت اليها، رغم التضارب حول التحديد الزمنى، الا انه سرعان ما توقف طويلا، بعد ان ظهرت دراسة جديدة حول هذا الموضوع، قدمها الشيخ (عبدالله بن خالد آل خليفة) تحت عنوان (الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة) اثبت فيها، بناء على مخطوط اورد نصه فى الدراسة، ان استيلاء سلطان مسقط على البحرين كان فى عام ١٨٠٢ (٤٥)

وبعد الوقوف على تلك الدراسة يرى الباحث انه من المعقول ان يكون هذا التاريخ (١٨٠٢) هو الصحيح، لاسباب منها :-

١ - ان المصادر البريطانية المتاحة، لم تشر الى هذا التاريخ، وان كان (لوريمر) اشار اليه دون ان يركز عليه، مما يجعلنا نتصور انه كان غير متأكد من صحة الواقعة

٢ - ان مستر فرانسيس واردن (عضو المجلس فى بومباى) الذى ارخ لهذه الفترة كان بعيدا عن الاحداث وقت وقوعها، كما تقول دراسة الشيخ عبدالله وكتب مذكراته فى عام ١٨١٩ وهو فى الهند، وكانت مذكراته المصدر الوحيد، الذى اعتمد عليه الكتاب البريطانيون وتعتبر كتاباتهم بمثابة مصادر اساسية لتاريخ الخليج الحديث، ومن ثم اعتمد عليها المؤرخون.

٣ - العثور على مخطوط عقد جيد الدرر فى معرفة حساب نوروز اهل البحر، الذى كان كاتبه شاهد عيان لاحداث ذلك الاحتلال، يقطع الشك باليقين، على ان الهجوم كان فى عام ١٨٠٢، كما يشكك ايضا فى مذكرات مستر واردن، اذا اخذنا فى الاعتبار ان مستر واردن وغيره من الضباط الانجليز، كانوا يعتمدون فى كثير من الاحوال، عند كتابة مذكراتهم على اقوال مروية، بغض النظر عن اهمية اصحابها، خاصة اذا كانت الاحداث وقعت قبل تواجد هؤلاء الضباط فى المنطقة.

على أية حال، بدأ تنفيذ الهجوم العمانى على البحرين من اوائل شهر سبتمبر ١٨٠٢، وبعد حصارها تم الصلح بين امام مسقط وآل خليفة فى ٢ اكتوبر على شروط هى: (٤٦)

١ - يدفع حكام البحرين لسلطان مسقط مبلغ الف وخمسمائة تومان وهى العملة المتداولة

في البحرين سنويا
٢ ـ ارجاع املاك بعض الاشخاص التى صودرت، بسبب تعاونهم مع السلطان.
٣ ـ سكان فارس من بندر ريج وكابندى وزعاب الى القشم كلهم اهل السواحل، هم فى عهد الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة.
٤ ـ (كل شىء راح من مال ورجال فهو مسقوط وفايت لتكون الناس حالة واحدة)
٥ ـ ان طلعوا من الزبارة وخالفوا الوهابي، فلا يؤخذ منهم الدراهم المذكورة. ولعل المقصود بذلك، اعداء السلطان
٦ ـ (اذا تعرضوا فى البحرين لاى هجوم يساعدهم السلطان بالمال والرجال) ولعل المقصود بذلك اعوان السلطان

ويلاحظ من تلك الشروط، انها كانت فى صالح سلطان مسقط، الامر الذى ضايق حكام البحرين، ومما زاد من مضايقتهم، استفزاز وتصرفات امراء السلطان الذين ولاهم على البحرين، مما جعل آل خليفة يبادلونهم ذات المعاملة، مما ترتب عليه، ان عاود سلطان مسقط، هجومه على البحرين، وفرض على العتوب الصلح التالي :

١ ـ ان يتخلى الشيخ سلمان عن حكم البحرين تماما
٢ ـ ان يضع الشيخ سلمان اخاه الشيخ (محمد) رهينةلدى حاكم مسقط
٣ ـ فى مقابل ذلك يستمر الشيخ سلمان محتفظا باملاكه وامواله.

وكان الهدف من ابقاء الشيخ (محمد) كرهينة فى مسقط، هو ضمان عدم تمرد البحرين، واجبارها على ان ترضى بالحكم الجديد، تحت السيادة المسقطية.

ونزل السيد (سالم) اخو السلطان، قرية (عراد) بالمحرق، وبنى بها قلعة على الساحل، لتكون مقرا للحكم والاحتماء بها.

فاضطر آل خليفة والحالة هذه، ان يرحلوا باسرهم وأتباعهم مرة ثانية الى قاعدتهم القديمة، (الزبارة) بامان من آل سعود(٤٧)

ويبدو ان آل خليفة قبلوا هذا الوضع الجديد، الذى استمر حوالى ست سنوات على مضض، خاصة وان مركزهم السياسى فى البحرين ونشاطهم الاقتصادى، الذى كان يعتمد بالدرجة الاولى على التجارة(٤٨) صار يتدهور من يوم الى آخر . لكن مع كل هذه الظروف، لم يستسلم آل خليفة للامر الواقع، وانما باتوا

يتدبرون الامر، فى كيفية تحرير البحرين من السيادة المسقطية.

## الموقف فى الخليج اثناء فترة احتلال مسقط للبحرين:.

شهد الخليج فى هذه الفترة صراعا عسكريا، بين القوات الانجليزية، التى كان سلطان مسقط، يساعدها بصورة او باخرى، ضد عرب القواسم، الذين كانوا يجاهدون فى الخليج ضد السفن الانجليزية[٤٩] وكانوا يتلقون المساعدة من جانب السعوديين (الموحدين)[٥٠] وكان هؤلاء بدورهم على عداء مع كل من حاكم مسقط والانجليز ويعتبرون نشاط القواسم فى مياه الخليج ضد السفن الاجنبية نوعا من الجهاد.

والواقع انه منذ نشوب الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩، وما ترتب عليها من حروب فى اوروبا، ثم امتداد هذه الحروب خارج نطاق القارة الاوروبية، خاصة بين فرنسا وبريطانيا، وقدوم بونابرت الى مصر، ومشروعاته الفعلية والوهمية فى الدولة العثمانية وفارس وأفغانستان وجزيرة العرب، كان الخليج العربى يشهد حالة من الاضطراب، بسبب تزايد نشاط القواسم ضد السفن التجارية البريطانية بل واسرها[٥١] مما جعل حكومة الهند، تتحرك وتجرى اتصالات مع سلطان مسقط السيد (بدر بن سيف) لتكوين حملة عسكرية لتأديب عرب القواسم فى عام ١٨٠٥[٥٢]، وتحذير الحملة من الاحتكاك بالسعوديين[٥٣] وانتهت الحملة بتوقيع اتفاقية بين الانجليز والقواسم فى ٦ فبراير ١٨٠٦ فى بندر عباس، دون الرجوع الى السعوديين لاقرار السلم فى الخليج[٥٤]

هذا وكانت كل من الحكومة الفارسية والحكومة العثمانية، ترقب عن كثب، تطور القوة السعودية فى الخليج فى تلك الفترة خاصة وان نفوذ مسقط الذى كان على عهد الامام السابق السيد سلطان اخذ فى الانحسار وانكمشت علاقة عمان مع المشايخ المستقلين[٥٥]

لذلك ورغم تلك الاتفاقية فان القواسم سرعان ما استأنفوا حركة الجهاد ضد السفن الاجنبية.

ويبدو انهم استغلوا فرصة الصراع بين انجلترا وفرنسا فى اوروبا وارتباك حكومة الهند، فاخذوا ينشطون فى هجماتهم واستيلائهم على السفن الانجليزية ، ليس فى الخليج، بل فى مياه الهند نفسها[٥٦] مما حول شبه الهدوء الذى كان يسود الخليج والذى استمر الى ما يقرب من سنتين

بعد توقيع الاتفاقية[٥٧] الى حركة قوية ومستمرة

ويبدو كذلك ان هناك عوامل اخرى شجعت القواسم على استئناف نشاطهم، لعل منها، التقارب الذى حدث بين انجلترا والدولة العثمانية فى عام ١٨٠٨، مما ترتب عليه ان اطمأن الانجليز الى مصالحهم فى الخليج من جانب العراق من جهة، وصداقتهم مع سلطان مسقط السيد (سعيد بن سلطان) من جهة اخرى، وقد ترتب على هذا وذاك، ان تشجع الانجليز على سحب بعض قواتهم البحرية من مياه الخليج، لتعزيز قواتهم الاخرى ضد فرنسا[٥٨]

ولانستبعد ان يكون الموحدون، بجانب مساعدتهم للقواسم بصورة او باخرى وراء هذه الحركة، فكما ذكرنا، انهم كانوا يعتبرونها نوعا من الجهاد ضد سفن (الكفار) كما ان القواسم من جانبهم كانوا يعتبرون ان مغامراتهم البحرية جزء من حركة الجهاد ايضا، بل كانوا يرون ان الاسلاب تعد غنائم حرب، ويجب تأدية خمسها الى الحاكم الشرعى، وذلك حسب ما تقضى به الشريعة الاسلامية فى اصول الجهاد[٥٩]

على ايه حال، ترتب على تصعيد نشاط القواسم، ان اخذ الانجليز، يعيدون حساباتهم فى تلك المنطقة، خاصة وان القوات الفرنسية، كانت على مقربة منهم فى شرق افريقيا، فكانت السفن الفرنسية تنطلق من جزر (القمر) لتتعقب السفن البريطانية فى البحار الشرقية وفى مياه الخليج[٦٠]

كما اخذ التجار فى بومباى يستصرخون حاكمها (دنكان) من هجمات المجاهدين فى المياه الهندية التى كانت فى الحقيقة موجهة ضد السفن البريطانية التى استحوذت على التجارة الشرقية[٦١]

وقد ترتب على كل ذلك ان دب الخوف لدى السلطات البريطانية من احياء حركة الجهاد، او كما كانت تطلق عليها ـ حركة القراصنة ـ ضد السفن الانجليزية التجارية، التى تذهب الى بوشهر او البصرة، ورأت تلك السلطات انه من الممكن ان ينضم سلطان مسقط الى حركة الجهاد الجماعية التى شملت معظم زعامات الخليج، اذا لم تسارع وتتحرك ـ اى تلك السلطات ـ لتحول دون ذلك[٦٢]

فقد فشل سلطان مسقط فى الحصول على معاونة الانجليز لمواجهة السعوديين ومن ثم صار وحيدا فى الميدان بينما انضم القواسم صراحة لهم[٦٣]

وهنا التقت المصلحة المشتركة بين سلطان عمان وشركة الهند الشرقية البريطانية فكان من مصلحة الانجليز ان يقووا من صداقتهم مع العمانيين لكي يمنعوا دخول الفرنسيين منطقة الخليج وكان من مصلحة العمانيين أن يتقربوا للانجليز لكي يقضوا على قوة القواسم المؤيدة من الموحدين[٦٤]

فحركت حكومة الهند في السابع من سبتمبر ١٨٠٩ حملة بحرية وعسكرية ثانية، بالتنسيق مع السلطان سعيد، حاكم مسقط، من بومباي بقيادة كابتن جون وينرايت وكولونيل د. سميث من البحرية البريطانية، لتحطيم كل سفن المجاهدين التي تعترض طريق السفن الانجليزية التجارية، وفرض اتفاقية على القبائل المشتركة في حركة الجهاد، مثل قبائل القواسم وارحمة بن جابر الجلاهمة[٦٥] تضمن سلامة الملاحة في الخليج مستقبلا، مع تجنب الاحتكاك ايضا بقوات الموحدين[٦٦]

لكن عندما اخذ الانجليز، يصبون نيران مدافعهم على رأس الخيمة في ١١ نوفمبر ١٨٠٩ تحركت قوات الموحدين من (البوريمى) بقيادة (مطلق المطيرى) لمؤازرة القواسم، الامر الذي ترتب عليه ان دب الخوف وساد الذعر في نفوس القوات البريطانية، لان اخطر ما كانت تخشاه القوات الانجليزية، رفع القوات الاسلامية، راية الجهاد، فسرعان ما ارتدت القوة المهاجمة، بعد ان خسرت احد عشر قتيلا وخمسة وخمسين جريحا بالاضافة الى أنها أخفقت في الحصول من القبائل العربية، على اقرار رسمي بالكف عن الاعمال العدائية في المستقبل ضد السفن البريطانية[٦٧]

## استيلاء الموحدين على البحرين :

كان آل خليفة يعيشون تلك الاضطرابات في الخليج ويتابعون تطوراتها ويتفهمون جيدا، العداء الذى كان بين الموحدين وصاحب مسقط، الذى كان يفرض سيطرته على البحرين وقتذاك، ولم يقبلوا أن يقيموا في الزبارة دون ان يحركوا ساكنا، خاصة وانهم اصبحوا امنين من الفتك باخيهم الشيخ (محمد) الرهينة لدى سلطان مسقط، الذى توفاه الله في عام ١٨٠٨، وبعد تفكير عميق، رأوا ان يستفيدوا من الموقف في الخليج، للتخلص من نفوذ مسقط، عن طريق التعاون بينهم وبين الامام سعود بن عبدالعزيز امير الموحدين وحاكم الدرعية، وعدو امام مسقط والانجليز[٦٨]

وقد وجد حاكم الدرعية وسط هذا الجو المشحون بالتوترات فى الخليج ان هذه فرصة متاحة، لتسديد ضربة قاضية ضد سلطان مسقط، وتقليص نفوذه فى الخليج (٦٩) وابعاده عن البحرين، فارسل جيشا بقيادة (ابراهيم بن عفيصان) لمساعدة آل خليفة فى تحرير بلادهم.

وبعد ان تنفس آل خليفة الصعداء من تخلص بلادهم من نفوذ مسقط سرعان ما صدموا حين وجدوا ان الموحدين يعينون (عبدالله بن عفيصان) وكيلا عنهم فى البحرين، لجمع الزكاة، فى مقابل ان يحتفظ آل خليفة بسلطتهم فى المسائل الداخلية، ثم اعلن هذا الوكيل ضم البحرين للسعوديين الذين كونوا منها ومن الاحساء وقطر، اقليما جديدا عرف باقليم القطيف(٧٠)

فثارت ثائرة آل خليفة، إذ كانوا يأملون، ان تكون البحرين خالصة لهم، خاصة وانهم لايشكلون، تهديدا للموحدين فى شرق الجزيرة العربية .

ويبدو ان معاملة ابن عفيصان مع اهل البحرين كانت قاسية، بالنسبة لجمع الزكاه، فتوترت الامور بينه وبين آل خليفة، الى درجة نشوب المعارك بين الطرفين، وأطبقت قوات الموحدين عليهم، ليس فى البحرين فقط، ولكن فى الزبارة ايضا، حيث يقيم الشيوخ، وقد تمكن قائد السرية السعودي (سليمان بن سيف بن طوق) عن طريق الخداع ، ان يجعل بعض زعماء آل خليفة ، الشيخ سلمان وأخاه الشيخ عبدالله وابن عمه الشيخ عبدالله بن خليفة آل خليفة وبعض كبار القوم، يذهبون الى الدرعية لمقابلة الامام سعود بن عبدالعزيز، والتفاهم معه بشأن بلادهم وهناك فى الدرعية، طلب الامام سعود من آل خليفة البقاء فيها وعودة الباقين الى الزبارة(٧١)

ويرى مؤلف الدولة السعودية الاولى، ان هذا التصرف تجاه آل خليفة والبحرين، يدل على ان النية كانت مبيتة لاحتلال البحرين، وان اطماعها كانت ترنو اليها، قبل طلب آل خليفة لمساعدتهم(٧٢)

ازاء تلك التطورات السابقة، فكر آل خليفة ان يستعينوا بابناء عمومتهم من عتوب الكويت (آل صباح) من جهة، ومن جهة اخرى، ارسلوا الى ابن اختهم فى البحرين عبدالرحمن بن راشد الفاضل لتدبير الوسائل للتخلص من الحامية السعودية، فركب ابن الفاضل سفينته (الجابرى) وتوجه الى مسقط لطلب المساعدة من سلطانها لاخراج الحامية السعودية من

البحرين وكانت هذه فرصة مواتيه للسلطان، امسك بكل خيوطها خاصة وانه كان يحنق على الموحدين، لفرضهم الزكاة على بلاده، فقد كان نفوذهم قد بلغ فى تلك الفترة اقصى اتساعه فى املاك الدولة العثمانية التى عجزت عن مقاومتهم كما كانت هناك اقاويل تتردد ان السلطان العثمانى يطلب من (محمد على) حاكم مصر توجيه حملة عسكرية، للقضاء على حركتهم واسترداد سلطانه فى بلاد العرب.

على اية حال رحب سلطان مسقط بهذه المبادرة، واهدى الشيخ عبدالرحمن الفاضل السيف المسمى (السلمونى) وقدم اليه بعض الاموال، لاعداد الرجال وشراء السلاح، وبعد ان اكتمل الجيش، هجم على البحرين، وتم طرد العامل السعودى الذى فر وبعض رجاله الى (ارحمة بن جابر الجلاهمة) فى موضع يقال له (الخوير) شرقى الزبارة(٧٣)

وقد حاول ارحمة بن جابر وابن عفيصان، ان يستردا البحرين، ولكنهما لم يتمكنا نتيجة الخطة التى دبرها آل خليفة، مع ابن اختهم الشيخ (عبدالرحمن الفاضل) التى اظهرت ان البحرين صارت فى قبضته دون آل خليفة.

وهنا استثمر الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة، مواهبه السياسية مع الامام سعود بن عبدالعزيز، فعرض عليه فكرة ان يذهب وفد من علماء نجد بصحبته - اى بصحبة الشيخ عبدالله - للتفاوض مع عبدالرحمن الفاضل، ولم يدرك الامام سعود، ان هناك خطة مسبقة بين آل خليفة وابن اختهم، وعاد الوفد الى الدرعية ليعرض تقريره على الامام، الذى تضمن ان عبدالرحن الفاضل، استأثر بالبحرين لنفسه، فاطلق الامام سعود سراح آل خليفة لاسترداد البحرين، وسرعان ما كشفت الخطة عن طريق ارحمة بن جابر، ولكن ال خليفة، تمكنوا من الوصول الى البحرين وحاول ارحمة بن جابر هو وابن عفيصان مهاجمتهم بعد ذلك في البحرين، ولكن داهية الحرب والسياسة الشيخ عبدالله بن احمد، انزل بهما هزيمة ساحقة فى واقعة (اخكيكيره) فى نهاية عام ١٢٢٥هـ (٧٤)

وهنا رأى آل سعود ان من الكياسة والمنطق وحسن التصرف ان يركزوا جهودهم العسكرية فى الحجاز، لمواجهة الخطر المحدق بهم من جانب الدولة العثمانية والمتمثل فى قوات محمد على، وتجميد الموقف على

السواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية(٧٥)

وهكذا تمكن آل خليفة من ان يستردوا حكمهم فى البحرين، ولم يعاود السعوديون تطلعاتهم اليها، نظرا لانشغالهم بالحروب ضد قوات محمد على فى الحجاز.

## موقف مسقط من البحرين بعد عودتها لآل خليفة

كان السيد (سعيد بن سلطان) حاكم مسقط، ينتظر من آل خليفة دفع الزكاة اليه، التى كانت تدفع للموحدين بعد ان قدم اليهم الاموال لمساعدتهم فى تحرير بلادهم(٧٦) الا ان حكام البحرين، رفضوا ذلك واعلنوا عدم تبعية بلادهم لحاكم عمان(٧٧). الامر الذى ترتب عليه، ان قام السلطان باجراء حوار مع سلطات فارس لمساعدته فى اخضاع البحرين بالقوة كما حدث واشتركت فى استردادها من آل سعود، بصورة او باخرى، وطرد عاملهم منها(٧٨)

ولكن كانت سلطات فارس، مشغولة بمشاكلها الداخلية، وعلاقاتها مع الانجليز، وفى الوقت نفسه، كانت لاتحبذ لسبب او لاخر، ان تسيطر مسقط او الدرعية على البحرين. رغم ان امام مسقط، كان على استعداد ان يدفع عشرة الاف تومان سنويا لحكومة شيراز، اذا ساعدته فى مشروعه.(٧٩)

ونظرا لتطلعات امام مسقط المتكررة تجاه البحرين، ومشاكله مع القواسم وغيرهم من عرب الخليج بدأت مسألة البحرين تأخذ قسطا من نشاط الانجليز السياسى فى الخليج.

حقيقة ان الانجليز ادركوا اهميتها كموقع هام، منذ طرد البرتغاليين بالتعاون مع الفرس، وظلوا يحرصون على ضرورة تأمين الطرق التجارية (البحرية والبرية) لشركة الهند الشرقية البريطانية، وابعاد اى دولة منافسة او مهددة لسياستهم فى الهند(٨٠)

وهذه معلومة تاريخية حقيقية لازمت السياسة الانجليزية طوال الوجود البريطانى فى الخليج .. فرغم ان الانجليز كانوا على علاقات طيبة مع امام مسقط، الا انهم كانوا لايحبذون، بل ويرفضون ان تقوم قوة سواء كانت عربية او عربية اسلامية، بالسيطرة على سائر القوى المحلية فى الخليج تحسبا من ان تتطور تلك القوة، وتصبح خطرا على مصالحهم ووجودهم ذاته فى المنطقة.

فبعد ان فشل امام مسقط فى الحصول على مساعدة فارس لاحتلال

البحرين، وهجومه عليها في يونيو ١٨١٦، وهزيمته امام قواتها(٨١)

كتبت السلطات البريطانية في بومباي مؤكدة الى حاكم البحرين، بانه سيلقى كل عون وتشجيع من الحكومة البريطانية، طالما ان شعبه لايشتغل بالقرصنة، ولكنها حذرته في الوقت نفسه، بانه اذا انخرط في هذا الميدان فان الاجراءات التي سبق اتخاذها ضد عرب القواسم، ستطبق ضده(٨٢)

وقام (وليم بروس) ممثل شركة الهند الشرقية والمقيم السياسي في بوشهر، بزيارة الى البحرين، وعبر للشيخ عبدالله بن احمد، بان حكومة الهند البريطانية، ترغب في ان يكون هناك تعاون بينها وبين بلاده، لحفظ الامن وانسياب الحركة التجارية في الخليج(٨٣)

وعندما تطرق الحديث حول علاقة امام مسقط مع البحرين، وهزيمته في ذلك العام (١٨١٦) كان رد حاكم البحرين، واضحا، وهو ان السيد سعيد يرغب في مساعدة البحرين ضد عرب القواسم وهذا العمل خارج عن نطاق سياسة آل خليفة، لانهم يرغبون في عدم الدخول في معارك حربية مع اخرين، طالما لاتحدث اعتداءات عليهم(٨٤)

ويبدو ان هذه حقيقة، لازمت سياسة حكام البحرين، فهم كمجتمع تجاري، يهمهم، استقرار الاوضاع في الخليج، وتشجيع الحركة التجارية والعمل على انعاشها بالطرق الشريفة، ولكنهم يأنفون من ان تفرض عليهم سيطرة خارجية، او حتى حينما يشعرون بان اصدقاءهم يرغبون بالقوة في ضمهم الى ركابهم، عندئذ لايتورعون عن اشعار الصديق مهما كانت قوته، بانهم يتعاملون معه معاملة الند للند(٨٥)

على ايه حال، رحب حاكم البحرين بزيارة مستر بروس حيث هدفها تشجيع الحركة التجارية وتأمينها في الخليج، وطالما ان الحكومة البريطانية لاتشجع مسقط على مهاجمة بلاده، لذلك لم يظهر آل خليفة تبرما من الوجود البريطاني في المنطقة.

والواقع ان حكومة الهند كانت حتى عام ١٨١٩، في حيرة من امر شيوخ البحرين. فكانوا حريصين على عدم كشف اوراقهم السياسية ببساطة، ومن ثم كانوا لايفتحون قلوبهم كلية للسلطات البريطانية لتقف على جوهر سياستهم، مثل كثيرين غيرهم، فتارة يعبرون عن صداقتهم للانجليز، اذا وجدوا منهم احتراما لاستقلال بلادهم وتارة العكس، اذا وقفوا ضدها ولا يترددون في القاء

الاسئلة والاستفسارات خاصة اذا كانت الامور تتعلق بشئون بلادهم ومستقبلها.

فمثلا وجه حاكم البحرين، سؤالا الى مستر بروس، عما اذا كان الانجليز اصدقاء ام اعداء، فاضطر (بروس) والحالة هذه، ان يبرهن له عن صداقة الانجليز، وذلك بعقد اتفاقية غير رسمية مع الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة(٨٦) دون الرجوع الى حكومته، ليعبر عن تقدير وصداقة الانجليز لشيوخ البحرين، واضاف ان موانىء الهند مفتوحة لسفن البحرين(٨٧) طالما ان شيوخ البلاد يحترمون العلم البريطانى المرفوع على السفن المارة بالخليج، وعدم تعاملهم مع عرب القواسم، ثم رفع (بروس) تقريرا الى حكومة بومباى، حول اتفاقه مع شيوخ البحرين، تضمن ان آل خليفة، راغبون بشدة فى السلام، وانهم يفضلون حياة التجارة الحرة الشريفة على غيرها(٨٨)

والواقع ان سياسة شيوخ البحرين، كما هو واضح من تسلسل تاريخهم لم تكن لديهم مطامع توسعية كغيرهم، وكان جوهر تلك السياسة وطابعها العام، يتمثل فى :-

١ - التجارة الحرة والعمل على تشجيعها وحمايتها
٢ - الكسب من البحر عن طريق تشجيع الاشتغال بصيد اللؤلؤ والاسماك
٣ - دعم الاهتمام بالزراعة وفلاحة البساتين
٤ - معالجة المسائل الشائكة بهدوء وصبر وحكمة
٥ - المرونة وعدم التهور وبعد النظر فى اتخاذ القرار
٦ - التمسك باستقلال بلادهم، وعدم خضوعها، لغيرهم، ولو ادى الامر الى المواجهة الساخنة

ولعل هذه السياسة جعلت البحرين، رغم صغر مساحتها، مع خطورة واهمية موقعها بين هرمز وشط العرب، تظل صامدة فى كثير من الاحيان، وسط الصراعات التى كانت تحدث فى المنطقة.

## عودة التوتر فى الخليج العربى وأثره على البحرين

قبل ان ينتهى العقد الثانى من القرن التاسع عشر، كانت منطقة الخليج تشهد تطورات حربية من جديد، فقد اخذ القواسم يجددون من نشاطهم ضد السفن البريطانية، ويتعقبونها ليس فى مياه الخليج فقط، وانما فى مياه البحر الاحمر والشواطىء الهندية(٨٩)

وكان الانجليز يواجهون مشاكل مريره مع (المهارتا) و (البندارى) فى الهند، منذ عام ١٨١٧، ومن ناحية اخرى كانوا يرقبون التطورات فى نجد بسبب الحروب بين قوات (محمد على) بقيادة (ابراهيم باشا) وبين قوات الموحدين، كما سنشير اليه بعد قليل.

واذا كانت شركة الهند الشرقية، تبارك فى قرارة نفسها، نجاح القوات المصرية فى نجد، لتكسير القوة السعودية، خاصة وانها ذات طابع دينى، فان نشاط القواسم المضاد لسفنها[٩٠] زاد من انزعاجها بسبب تدهور تجارتها فى الخليج والبحر الاحمر، فاجتمع مجلس مديرى الشركة فى لندن، واصدر تعليماته الى (نيبان) حاكم بومباى لعمل الترتيبات اللازمة، لتوجيه حملة عسكرية قوية ضد القواسم فى رأس الخيمة وتدمير سفنهم وقلاعهم[٩١]

وسرعان ما اجرى حاكم بومباى، اتصالاته مع حاكم الهند العام الماركيز (هاستنج) لاطلاعه على تعليمات الشركة فى لندن، ولتدبير الحملة اللازمة لكسر شوكة القواسم[٩٢]

وهنا برزت مسألة البحرين، فبجانب موقعها ومواردها، فانه توجد بعض سفن القواسم على شواطئها حيث كانت تتردد على الموانىء للتزود بالحبوب وغيرها من المواد التموينية، كالارز والتمور وان هناك تحالفا قائما بين هؤلاء القواسم وشيوخ البحرين، وكان مستر (بروس) قد غير من رأيه تجاه الشيوخ، وذكر فى تقريره عام ١٨١٧، ان البحرين صارت السوق الرئيسية لبيع منهوبات القراصنة[٩٣]

ومن ثم بدأ الحديث يدور حولها بين المسئولين الانجليز فى الهند، فهناك رأى يطالب بضمها الى امام مسقط كما نراه عند (نيبان) يقابله رأى اخر، يتعارض معه على طول الخط، وقد تبناه مستر (فرانسيس واردن) واخرون فكانوا يرون ان سيطرة امام مسقط على البحرين، يجعل شيوخها يزيدون من علاقاتهم مع القواسم[٩٤]

وعلى ضوء ذلك ادرك آل خليفة ان الانجليز، لايعتمد عليهم، وان مصلحتهم، تبرر اى وسيلة يتخذونها، رغم انهم لم يظهروا عداوتهم حتى ذلك الوقت ضدهم، وهذا كان له تأثير كبير فى سلوكيات شيوخ البحرين مع الانجليز بعد ذلك.

على ايه حال، كان سقوط الدرعية فى ٩ سبتمبر ١٨١٨، وسيطرة ابراهيم باشا على نجد[٩٥] فرصة طيبة لحكومة بومباى، طالما انتظرتها، لتحول دون وصول مساعدات الموحدين الى

القــواسم ومن ثم تتمكن من تــرتيب حملة قوية ضدهم للرد على اهاناتهم المتكــررة للعلم البــريــطانى فى ميــاه الخليج العربى(٩٦)

وهنا تفتق ذهن حاكم الهند العام عن خــطة تتضمــن تكــويــن حمــلة عسكــرية تشتــرك فيها مــع القــوات الانجليزية، قوات ابراهيم باشا وقوات سلطان مسقط للاجهاز نهائيا على قوة القواسم.

وفى ١٣ ابــريــل ١٨١٩، ســافــر الكابتن (جورج فورستر سادلير) من الفرقة (٤٧) الملكية، حاملا معه رسالة الى ابــراهيم باشــا فى نجد، ورســالة اخــرى الى امــام مسقــط، بغــرض التنسيق والتعــاون معا لسحق قــوة القــواسم، حلفاء المــوحدين واعــداء صاحب مسقط والانجليز

ووصل (سادلير) الى مسقط فى ٧ مايو ١٨١٩، وبعد ان جمع المعلومات المــطلوبة عن قــوة القواسم، ومــدى مساهمة السيد سعيد حاكم مسقط، فى الحملة المرتقبة(٩٧) عــزم على مقــابلة ابــراهيم باشــا، فتحرك فى ١٨ مــايو ١٨١٩ الى ميـنــاء بوشهــر، ومنها الى القطيف، التى وصلها فى ٢١ يــونيو، وهناك عرف ان ابراهيم باشا توجــه نحــو المدينــة، وان القوات المصــرية تنسحب من نجــد وبعــد رحلة طويلة وشــاقة شــرب فيهــا كــأس المــرارة والهوان، وصل الى معسكــر ابراهيم باشا فى المدينة فى ٨ سبتمبــر، حيث عرض عليه الموضوع، وقدم له تهنئة السلطات البريطانية على انتصاره فى الدرعية وسلمه رسالة حاكم بومباى فى اليوم التالى(٩٨)

وقــد فهم ابــراهيم بــاشــا، ان الانجليز يرغبون فى ان يتعاون معهم فى تــدمــير سفن القــواسم وتخــريب موانيهم فى الخليج، واجابه ـ كقــائد للقوات المصرية ـ بأنــه يجب عرض هذا الموضوع على والده فى القــاهرة، وارسل ابراهيم رسالة حاكم بومباى الى حــاكــم مصر، وارفق الكــابــتــن (سادلير) معها رسالة منه الى مستــر (هنرى سولت) القنصل البريطانى فى القاهرة، يستعجله ردا من محمد على حول هذه المسألة(٩٩)

والغــريــب حقــا، ان الســلطات البريطانية فى الهند تطلب من القوات المصرية فى نجــد، تعاونهــا فى ضرب القواسم فى الخليج العربى، فاذا كانت تضيق ذرعــا من تقارب السعــوديين معهم(١٠٠)، خشيــة ان تتكــون قــوة عربية قوية، تكون بلاشك خطرا على وجود الانجليز فى تلك المنطقة، فهل من المعقول ان نصدق، ان الانجليز كانوا، يرغبون فى التحالف مع قــوات محمد

على، ام ان هناك مخططا لدى الانجليز تجاه الوجود المصرى فى شبه الجزيرة العربية.

فالمعروف ان انجلترا كانت تنظر الى (محمد على) نظرة حقد وعداء منذ توليته حكم مصر، وكانت تدرك طموحه ومشروعاته منذ ذلك الوقت، ولا ادل على ذلك، ولعوامل اخرى؛ من انها ارسلت حملة بقيادة الجنرال (فريزر) فى عام ١٨٠٧ للاستيلاء على الاسكندرية.

لذلك نرى، ان انجلترا كانت تخشى وبصورة عمليه، وان كانت مستترة وقتذاك، من وجود وحدة قوية فى الخليج، فالذى لاشك فيه انها ارتاحت الى حد كبير لسقوط الدرعية فى ١٨١٨، وعلى ذلك اذا كانت قد اطمأنت من حيث هزيمة الموحدين، فانها كانت ترى ايضا، العمل على افساد الوجود المصرى فى شبه الجزيرة، وتعمل على توريط (محمد على) فى ادخاله فى حروب مع القواسم، الذين لم يكونوا هدف الدولة العثمانية وقتذاك، ومن ثم تحقق ـ انجلترا ـ هدفها فى ان يضرب العرب بعضهم البعض، وبالتالى تضمن تفكك المنطقة الى وحدات صغيرة، يسهل التعامل معها بصورة او باخرى.

على أية حال، فشلت مهمة «سادلير» حيث لم يتلق ردا من حكومة القاهرة، لأن تعليمات «محمد علي» في ذلك الوقت، كانت تقضي بعدم التورط مع الانجليز، ربما بسبب ضغوط الدولة العثمانية عليه، او بسبب انشغاله بمهمة فتح السودان.

لكن اذا كانت السلطات البريطانية في الهند قد يئست من مهمة «سادلير»، فإنها رأت أنه لا بأس من الانفراد بالقيام بتوجيه الحملة، بالتعاون مع السلطان سعيد، حاكم مسقط، لضرب القواسم واحراق سفنهم وتحصيناتهم، وتأديبهم، لاهاناتهم المستمرة للعلم البريطاني المرفوع على سفنهم التجارية المارة بالخليج[١٠١] مستغلة ظروف غياب السعوديين من تلك المنطقة.

وقبل ان يصل «سادلير» الى الهند، كانت الحملة، بقيادة الجنرال سير «وليام جرانت كير» قد تسلمت تعليماتها العسكرية من «نيبان» حاكم بومباي في ٢٧ اكتوبر ١٨١٩، وتحركت من بومباي تجاه الخليج في الثالث من نوفمبر، وراحت على الفور تصب النيران من مدافعها على رأس الخيمة وغيرها[١٠٢] ونظرا لتفوق اسلحتها، ومساعدة بعض العرب لها، تمكنت من ان تنزل الهزيمة بالقوة العربية البحرية المناهضة

للوجود الانجليزي في الخليج[١٠٣] ، وبعد أن انهت مهمتها العسكرية الاساسية ، بتخريب استحكامات القواسم ، وتدمير سفنهم المنتشرة في بعض موانيء الخليج ، مما اضعف قوتهم بصفة عامة[١٠٤] ، تمكن الجنرال «كير» من ان يجبر زعماء القواسم على ابرام اتفاقية معه في ٦ ـ ٨ يناير ١٨٢٠ ، تنص على :

١ ـ هدم حصون القواسم

٢ ـ تسليم سفن القواسم للانجليز .

٣ ـ الافراج عن السجناء الهنود .

٤ ـ احتلال القوات الانجليزية لمينائي رأس الخيمة والفجيرة .

٥ ـ في مقابل ذلك ، لا يسمح للانجليز بدخول مناطق القواسم للاغارة عليها وسلبها .

ثم تحولت الاتفاقية الى معاهدة سلام عامة مع شيوخ الساحل ، وقد لعب الكابتن «ت بيرونيت» دورا بارزا في تلك العمليات ، فقد كان من المستعربين ، ومن ثم آلت إليه مسئولية اجراء المناقشات والمفاوضات مع هؤلاء الشيوخ ، وكذلك صياغة المعاهدة باللغتين الانجليزية والعربية[١٠٥] التي وقعوا عليها تباعا ، حتى الخامس عشر من مارس ١٨٢٠ وكان جوهر المعاهدة التي تتكون من احدى عشرة مادة هو :

١ ـ ان لا يقوم الموقعون عليها بأي عمل من اعمال القرصنة .

٢ ـ عدم الاتجار في الرقيق .

٣ ـ يرفع الموقعون عليها ، علما ذا لون احمر ، وحاشيته بيضاء على سفنهم ، للتمييز بينها وبين غيرها .

٤ ـ ان تقدم سفن الشيوخ الموقعين على المعاهدة ، ما يثبت جنسيتها اذا طلبت منها سفينة بريطانية ذلك .

٥ ـ من المسموح لهذه السفن ، الدخول الى موانيء الانجليز وحلفائهم للتجارة .

٦ ـ اعترفت المعاهدة باستقلال هؤلاء الشيوخ ، مع احتفاظ الانجليز بحق التدخل العسكري والسياسي في شئون بلادهم .

٧ ـ تركت المعاهدة الباب مفتوحا للعرب الذين لم يوقعوا عليها بعد ، للدخول فيها ، اذا وافقوا على شروطها[١٠٦] وصارت هذه المعاهدة ، رغم ما اثير حولها من انتقادات واراء الاساس الذي اعتمد عليه النفوذ الانجليزي في الخليج العربي[١٠٧]

## انضمام البحرين الى معاهدة السلام العامة :

عندما وصلت اخبار هذه المعاهدة الى مسامع حكام البحرين ، أرسلوا

مبعـوثـا من قبلهم يـدعى السيـد «عبدالجليل» لمقـابلة الجنرال «كـير» للتفاهم معه ، وليعبر له عن رغبتهم في الانضمـام الى تلك المعاهـدة ، وعدم التعامل مع القواسم(١٠٨) .

هذا وكان الاسطول البريطاني في الخليـج ، قـد استـولى عـلى سفن القـواسم ، التي كـانت تتخـذ من سـواحل البحـرين ملجأ لهـا ، بعـد تعـرضها لغـاراته وهجـومـه عليهـا لتدميرها(١٠٩) .

فوافق الجنرال «كـير» على رغبـة آل خليفـة ، وسمح بـأن يوقـع هذا المبعـوث السيد «عبـدالجليـل» عـلى معاهدة السلام العامة ، في ٢٥ يناير ١٨٢٠ في الشارقة نيابة عنهم ، وبعد ذلك ، وقعهـا كل من الشيـخ سلمان حاكم البحرين وأخوه الشيخ عبدالله بن أحمـد آل خليفـة ، الذي كـان يشترك معه في الحكم ، في ٥ فبـراير ١٨٢٠ في البحرين .

وكان الجنرال «كير» قد حصل على تـأكيد منهمـا ، بأن لا يسمحـا بأن ترسو أي سفينة من سفن القواسم ، الا باذن من السلطات البريطانية(١١٠) وباطلاق سراح المسجونين الهنود في البحرين ، ان وجدوا ، والمشـاركة في المحـافظة عـلى حركـة مـرور السفن التجارية في الخليج(١١١) .

وكـانت المعاهـدة ، تتضمن هـذه الشروط ، ولكن يبدو ان الجنرال كير اراد ان يزيد من التأكيد على ضرورة الالتزام بها وتنفيذها .

وقام «وليام بروس» لاتمام النجاح الذي حققـه الجنرال «كـير» باجـراء صلح بـين آل خليفـة وبـين السيـد «سعيد بن سلطان» حاكم مسقط(١١٢) كمـا سنشير اليـه بعد قليـل ، ولكنه سرعان ما قام ـ اي بروس ـ من جهة اخرى ، بتوقيـع اتفاقيـة ، دون علم حكومته ، مـع «ميرزا زكي خـان» ، وزير الامير الحـاكم في اقليم فارس ، الذي وقعهـا هـو الاخـر ، دون علم حكـومة طهـران ، في ٣٠ اغسـطس ١٨٢٢ ، تضمنت مساعدة ايـران في الهجوم على البحرين ، ومن ثم يجب الغـاء جميع الامتيـازات التي كـان آل خليفـة يتمتعـون بهـا ، بمـوجب اتفاقية السلام العامـة ، ومساعـدة ايران بسفينة او سفينتين حربيتين ، لمحاربة العتوب(١١٣)

وحـين وصلت هذه المعلومـات الى حكـومـة الهنـد ، سـارعت وابلغت حكـومة ايـران ، استنكارهـا ، لتلك الاجراءات التي قام بها «وليم بروس» المقيم السيـاسي ، واتخـذت خـطوة اخـرى ايجـابيـة ، وذلك بنقله من منصبه ، واستدعائه فورا الى الهند ،

وعينت خلفا له الضابط «ماكلويد» ، الذي قام بزيارة الى البحرين في ٢٧ يناير ١٨٢٣ لازالة الاثار الناجمة عن هذه الاتفاقية ، وتبديد الغيوم التي سادت العلاقات مع آل خليفة ، واعرابه لهم ، بان الحكومة البريطانية ، لن تغير شيئا من سياستها نحوهم[١١٤]

وجدير بالذكر ايضا ، ان شاه ايران ، لم يقر هذه الاتفاقية ، بل وجه اللوم الى حاكم فارس ، حسب ما جاء في تقرير ميجور «ويللوك» السفير البريطاني في ايران [١١٥] ، على أساس انه ليس له الحق في التفاوض مباشرة مع قوة اجنبية ، دون علم حكومة طهران ، لان مثل هذا العمل ، من الممكن ان يشكل سابقة خطيرة[١١٦] ، ولعل الشاه ، كان يخشى ان يتصرف حكام الاقاليم ، مثل ذلك ، وربما يؤدي مثل هذا الاجراء الى حركات انفصالية داخل الدولة .

ويرى الدكتور جمال زكريا ، ان الكابتن «بروس» ، تصور أن هذه الاتفاقية ، يمكن أن تؤدي الى تحقيق الهدوء ، واستقرار الاوضاع ، على الجانب العربي للخليج ، ووضع حد للاعمال البحرية الانتقامية التي كان يقوم بها المناوئون لسلطة العتوب[١١٧]

ويبدو ان انضمام شيوخ البحرين الى معاهدة السلام العامة ، زاد من تفهم السلطات البريطانية في الهند ، بان آل خليفة ، يرغبون في انعاش الحركة التجارية المشروعة ، ولا يميلون الى التدخل فى صراعات حربية طالما لا يجابهون باعتداءات خارجية على بلادهم وسفنهم[١١٨] الامر الذي اوجد نوعا من التعاطف الانجليزي تجاههم ، ومن ثم اخذ الانجليز يعدلون من مواقفهم السابقة ازاء البحرين ، فقد رأوا انه من الافضل عدم السماح ، لقوى اخرى بأن تتدخل في شئونها او تعتدي عليها .

فالملاحظ انه حتي نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر ، كان اهتمام انجلترا التجاري في الخليج ، يفوق اهتمامها السياسي ، لأنها لم تكن قد وضعت حتى ذلك الوقت ، خطة تفصيلية لسياستها العامة ، تجاه هذه المنطقة ، رغم انها - كما نتصور - وضعت الخليج نصب عينيها ، منذ قدوم الحملة الفرنسية الى مصر ، واعتبرته ، منذ ذلك الوقت ، احد الخطوط الامامية ، للدفاع عن وجودها في الهند ، فصارت تعمل على ازاحة اي قوة خارجية للسيطرة عليه ، ومحاولة ربط زعماء البلاد معها بمعاهدات بشكل او بآخر[١١٩] .

وفي الوقت نفسه كانت السلطات البريطانية ، سواء في انجلترا ، أو في الهند ، لا ترى بأسا ، من ان تحدث منازعات بين هؤلاء الزعماء ، بصورة او بأخرى ، لاضعاف بعضهم البعض ، وحتى لا يحدث تقارب فيما بينهم ، يشكل بدون شك صعوبات لمصالحهم في المنطقة(١٢٠) .

ولكنها كانت ـ السلطات البريطانية ـ لا تتوانى لحظة في التدخل واجراء مصالحات بين الاطراف المتنازعة في المنطقة ، اذا وجدت ان ذلك يعود بفائدة او يخدم سياستها .

فمثلا حين لاحظ الجنرال «كير» رغبة آل خليفة ، في احلال السلام بينهم وبين حاكم مسقط ، بعد توقيع معاهدة السلام العامة ـ كما ذكرنا ـ رحب بتحقيق تلك الرغبة ، وكان يعلم مقدما ان سلطان مسقط ، له تطلعات تجاه البحرين ، وانه ينوي الهجوم عليها مباشرة ، ودون الاعتماد على اية مصادر غير قوته الخاصة(١٢١) فكتب اليه ، يفيده بأن حكومة الهند لا توافق على تفجير الموقف من جديد في الخليج ، ورغم انه سلطان مستقل ، ويستطيع ان يفعل ما يروق له ، الا انه من الافضل له ان يواجه خطر السعوديين ، خاصة وان القوات المصرية ، انسحبت من الاحساء ، فرأى سلطان مسقط ، والحالة هذه ، انه من الافضل له ايضا ان يتغاضى عن تطلعاته تجاه البحرين ، بعد ان وقف على رأى السلطة الانجليزية ، وقد لعب المقيم السياسي «وليام بروس» دورا بارزا في ان يصل حاكم مسقط وآل خليفة ، الى عقد صلح بينهما في الشهر التالي لتوقيع معاهدة السلام العامة(١٢٢) .

ولكن سرعان ما توترت العلاقات من جديد ، بين السلطان «سعيد بن سلطان» وبين الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة ، الذي خلف اخاه الشيخ سلمان الذي توفاه الله في عام ١٨٢١(١٢٣) وذلك بسبب رغبة السلطان في الحصول على الزكاة من البحرين ، ورفض الشيخ عبدالله ان يدفعها له ، وبعد ان تأزمت الامور بين الطرفين ، طلب حاكم مسقط من قادة اسطوله الاستعداد لغزو البحرين ، ولما كانت حكومة الهند تحرص على استقرار الهدوء في الخليج حتى تتمكن الحركة التجارية من الانتعاش ، وخوفا من ان يترتب على غزو البحرين ، ، احياء حركة الجهاد ، او كما كانت تطلق عليها «القرصنة» ضد سفنها ، ارسلت حكومة بومباي في اغسطس من عام ١٨٢٢ رسالتين الى

كـل من سلطان مسقـط وحـاكـم البحـرين ، حـول مسـألة الزكـاة ، للتفـاهم حولهـا ومعـالجتهـا(١٢٤) ، وطلبت من المقيم السيـاسي «وليـام بروس» ، ان يقدم النصح للطرفين ، بعدم قيام حرب بينهما(١٢٥) .

وحين لاحظت السلطات البريطانية اصرار السلطان سعيد ، على ضرورة ان يدفع حاكم البحرين له الزكـاة ، وجـه السفير البـريطاني في طهـران مستـر «ويللوك» رسـالة الى المقيـم السياسي في الخليج عام ١٨٢٣ يطلب اليـه ، أن يبلغ السيـد «سعيـد بن سلطان» عدم الاندفاع والقيام بـأية تحركات ضد حاكم البحرين(١٢٦) .

والواقع ان البحرين ، ظلت محط انظار السلطان سعيد ، وكان يتعطش لفرض سيطرته عليها باعتبارها ، احد المـواقع البحـرية التي كـانت ضمن خـطته في بنـاء وتوسيـع ممتلكـاتـه السـاحلية ، سـواء في الخليـج او في شرق افريقيا .

وهذه حقيقة تـاريخية ، لانـه اذا كـانت زنجبار في شـرق افريقيـا من البلاد الغنية بالقرنفل ، ومحطة هامة لتجـارة العـاج والرقيق(١٢٧) ، ولهـا صلات تجارية وسياسيـة قديمـة مع اهـل عمان(١٢٨) ، فـإن البحـرين ، كـانت تتميز هي الاخـرى ، بمـوارد زراعية وبحرية ، قد لا تتوفر في ذلك الوقـت في بـلد آخـر في الخـليـج ، بـالاضافـة الى موقعهـا الجغرافي في منتصف الخليـج الذي منـه يمكن الوصـول بسـهـولة الى الكـويت والبصـرة ، ويتحكم الى حد كبـير في مرور السفن عبر مياه الخليج .

لذلك نرى ان السلطان سعيد ، لم تغمض عينـاه تجاه البحـرين ، رغم محـاولات شيـوخهـا ، مهـادنتـه ، ليتركهم وشأنهم حتى يتفرغوا لمزاولة نشاطهم التجاري وغيره ، الا ان سيد مسقط ، لم يتخل عن طموحه فيها ، شـأنها في ذلك شـأن زنجبـار فيمـا بعد(١٢٩) .

ففي يـونيـو ١٨٢٨ ، تـرددت الاخبار ، ان السلطان ، رفع من حالة الطوارىء بـين قـواتـه ، استعـدادا للهجـوم على البحـرين ، وأرسـل في اغسطس الى حاكمها ، اعلانا كتابيا ، ينذره فيه بالحرب ، وقدومه اليه قبل انقضـاء شهـر . ويبـدو ان هـذا الاعلان ، افاد حاكم البحرين بصورة مباشرة ، فأخذ ينشط في جمع كل ما يمكنه من عدد وعدة ، لمواجهة الغزو المتوقع .

وحـين وصل الاسـطول العمـاني الذي كـان يقـوده السلطان سعيـد بنفسـه ، في نهـايـة شهـر سبتمبـر

١٨٢٨ ، والقى مراسيه حول جزيرة ستره ، كانت قوات البحرين ، على أهبة الاستعداد لمواجهة العمانيين ودارت معارك رهيبة بين الطرفين انتهت بهزيمة ساحقة لاسطول عمان ، ولم يسلم السلطان سعيد نفسه من ضربة رمح في قدمه ، وكادت تبتلعه المياه ، لولا ان انقذه جنوده من النوبيين من الغرق ، وعاد بقواته المهزومة بعد ان خسر حوالي خمسمائه مقاتل الى مسقط في ٢١ نوفمبر ١٨٢٨[١٣٠] .

هذا وكان السلطان سعيد ، قبل ان يتحرك الى البحرين يحتجز بعضا من اهلها ، كانوا قادمين بسفنهم التجارية من الهند ، ونزلوا مسقط من بينهم ، عبدالرحمن بن راشد الفاضل وسفينته «الجابري» ومحمد بن مقرن بن محمد آل خليفة ومحمد بن صقر المعاوده وسفينته «التوكلى» وسيار بن قاسم المعاوده وسفينته «السلطاني» وكان قد اودعهم في «برج موزه الجلالي» ، واراد السلطان سعيد ، ان يقتل هؤلاء المعتقلين ، ليشفى غليله من أهل البحرين ، الا ان اخته «الأميره موزه» منعته من اتخاذ هذا الاجراء ، لانهم اسرى في يده ولا فخر في قتلهم[١٣١] .

ويبدو ان هناك بعض الاسباب الاخرى ، جعلت السلطان سعيد يسرع بالعوده الى بلاده ، بالاضافة الى الخسارة الكبيرة ، التي لحقت به من حيث فقده الرجال والأموال ، لعل منها ما يلي :

١ ـ توقع احتمال حدوث ثورة في ممتلكاته بشرق افريقيا ، وفعلا اشتعلت الثورة في ممبسه .

٢ ـ لم يستبعد حدوث خيانة ضده من جانب قبائل بني ياس ، فقد تركوه وعادوا الى بلادهم[١٣٢]

ويبدو ان هذا الانتصار ، شجع حاكم البحرين ، على ان يضع حدا لمطامع سلطان مسقط في البحرين ، خاصة وان المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ، افاده ، ان المادة الرابعة من معاهدة السلام العامة[١٣٣] تعني منع الحرب بين القبائل المتصالحة ، اذا اتخذت هذه الحرب شكل عمليات القرصنة ، لا شكل الحرب العلنية السافرة[١٣٤] .

وهذه المعلومة ، تحتاج الى وقفة لأنها دليل أخر لا يحتمل اي تأويل ، بأن الحكومة البريطانية ، كانت لا ترى مانعا في أن يتطاحن العرب مع بعضهم البعض ، وهذا التفسير ، من جانب المقيم السياسي البريطاني ، يعني تشجيع الحرب ، بين هؤلاء الزعماء ، لأنهاك قوتهم ، وتصفيتها

وبـالتـالي يصـير من السهـل عـلى السلطات البريطانية ، فرض ارادتها عليهم وقت اللزوم .

على اية حـال ، حين علم شيوخ البحـرين ، ان الاشتبـاك في حـرب منظمة ، امر لا يتناقض مع معاهـدة السلام العامة ، صمموا على ان ينقلوا الحرب الى مياه مسقط نفسها ، وقاد الشيخ عبدالله بن احمد ، الاسطول الذي كـان يتكـون من سبـع سفن كبيـرة ، وابحـر بـه في ٢١ مـارس ١٨٢٩ ، تجـاه عمـان ، ليلتقي مـع فـرقاطتـين ، كان السيـد سعيـد بن سلطان ، ارسلهمـا لصد الاسطـول البحـريني ، لكن هـذه المـغـامـرة البحرية ، لم تضع نهاية للنزاع بـين عمان والبحرين(١٣٥) .

هذا وكانت حكومة بومباي ، تراقب هذا الصراع ، ولم تتوقع ان تـزداد رقعته ويمتد ليشمل مشيخات اخرى ، مثـل مشيخة «عسـالو » وغيـرهـا ، فخشيت ان يتطور ، ويمتد الى مسار السفن التجـاريـة في عـرض ميـاه الخليج . مما يترتب عليه ان تستأنف بعض القبائل هجماتها ، ضد السفن البريطانيـة في زحمة هـذا الصراع ، فلما وصل الى مسـامعها أن سلطان عمان يعد لحملة جديدة ، يغـزو بها البحـرين ، وأن آل خليفـة ، حكـام البحرين ـ من جانبهم ، يجددون من اسـطولهم ، ويـزودونـه بـالمعـدات الحربية وبأشجع الرجـال المقاتلين ، بـادرت وارسلت تحذيـرا الى حـاكم عمان ، تضمن ان القيام بأي حركـة عسكـرية ، تعيـد الاضـطرابـات في منطقة الخليج ، سيواجه بالقـوة من السلطات البـريـطانيـة في الهنـد ، واصـدرت اوامـرهـا الى «ويلسـون» المقيم السياسي في بوشهـر في ابريـل ١٨٢٩ ، بـأن يعرض وسـاطته بـين حاكم مسقط وحاكم البحرين ، لانهاء هذا النزاع واجراء صلح بينهما .

وعنـدما عـرض «ويلسون» هـذه المسألة على حاكم البحرين ، اشترط ان تكون انجلترا مسئولة وضامنة لأية معاهدة تعقد بينه وبين امام مسقط ، لأنــه يـشـك في نـوايـاه تـجـاه البحرين(١٣٦) .

وقـد رفض المقـيـم السيـاسي البريطاني ، هذا الشرط ، رفضا باتا ، واستمرت المفاوضـات عدة شهـور ، دون ان يصل المتفاوضون الى نتيجة مرضية للطرفين ، ومن ثم اعلن المقيم البريطاني انهاء وساطته(١٣٧) .

والواقـع ان رفض المـقـيـم البـريطاني ، ان تتحمـل الحكومـة الانجليزية مسئـولية مـراقبة تنفيذ المعـاهدة المـزمعة ، واعـلان انتهـاء

الوساطة ، لا يخلو من مغزى ، فقد سبق وذكرنا ، ان انجلترا ، كانت ترحب ان يستمر العرب في مصارعة بعضهم البعض ، لتضعف قوتهم ، على شرط ان يكون الصراع بعيدا عن مجال مصالحها ، بدليل انها أوعزت الى حاكم البحرين ، بشن الحرب ، اذا اراد على حاكم عمان ، طالما ان العمليات الحربية لا تأخذ شكل القرصنة ، وعندما لاحظت امتداد الصراع بين الطرفين ـ عمان والبحرين ـ الى مشيخات اخرى ، وأن من الممكن ان يمس مصالحها ، تحركت وهددت باستخدام القوة ، اذا لم يتوقف هذا الصراع ، كما ان رفض المقيم السياسي ، ان تكون بلاده مسئولة وضامنة لمعاهدة الصلح ، التي تعقد بين حاكم عمان وحاكم البحرين ، يرجع الى ان الحكومة البريطانية ، كانت تخشى من تورطها في القضية ، بصورة مباشرة ، وان يحملها حاكم البحرين ، تبعه اي اعتداء جديد من جانب مسقط على بلاده ، وفي هذه الحالة ، من الجائز ، ان يتصرف شيخ البحرين لمصلحته ، ولو على حساب مصالح الانجليز في الخليج .

على اية حال ، رغم انسحاب المقيم البريطاني من المفاوضات ، فان الشيخ «محمد بن ناصر» شيخ بوشهر ، تمكن من ان يوفق بين سلطان عمان وشيخ البحرين ، وان يصل الى ان يوقع الطرفان على اتفاقية بالصلح في ٢ ديسمبر ١٨٢٩ ، بعد ان سلم آل خليفة الى سلطان مسقط دية أخيه القتيل السيد «حمد»(١٣٨) .

وتضمنت اتفاقية الصلح هذه ، ان لا يتدخل احدهما في شئون الآخر ، وأضيف الى ذلك تعهد شفوي ، بأن يقدم كل من الطرفين ، مساعدته للطرف الآخر ، في حالة وقوع هجوم عليه من جانب طرف ثالث(١٣٩) وانضم الشيخ طحنون بن شخبوط ، شيخ ابوظبي الى هذه الاتفاقية(١٤٠) .

والواقع ان مسألة التعهد الشفوي هذه ، تحتاج الى تفسير ، فمن المقصود بالطرف الثالث ، اهم الفرس ، ام السعوديون ، ام بعض المشيخات او القبائل العربية الأخرى ، المناوئة لحكم احدهما ام تحسبا لقوى خارجية طارئة ، والى اي مدى ، التزم كل منهما بذلك التعهد الشفوي ، وهل ظلت الاتفاقية في حد ذاتها سارية المفعول ، ام انها خضعت للظروف ، على كل نفضل ان نترك الاجابة لتتضح لنا ، من تلقاء نفسها ، من ثنايا تطور الاحداث .

ذكرنا ان تطلع السعوديين تجاه

البحرين ، توقف الى حد كبير ، بل توقف تماما في عام ١٨١٤ ، بسبب انشغالهم في حرب محمد على ، حاكم مصر ، في الجبهة الغربية لشبه الجزيرة العربية ، وانتهت تلك الحروب باستيلاء ابراهيم باشا ، قائد قوات محمد على ، على الدرعية ، عاصمة الموحدين السعوديين في سبتمبر عام ١٨١٨[١٤١] .

وبعد ان انسحبت قوات محمد علي من الجبهة الشرقية في عام ١٨١٩ ، تاركة حكم الاحساء الى «بني خالد» نيابة عن حكومة محمد علي في القاهرة ، انتهز السعوديون هذه الفرصة ، ودارت بينهم وبين الخوالد ، حروب استمرت اكثر من ست سنوات ، تمكن فيها آل سعود ، ان ينتصروا على الخوالد ، ويبسطوا سيطرتهم على الاحساء في عام ١٨٢٠[١٤٢] .

هذا ويبدو ان السلطان العثماني ، كان قلقا على احداث نجد ، وكانت حكومة الباب العالي ، تخشى ان يستعيد الموحدون قوتهم ، لأن ذلك يعنى ، تجدد غاراتهم على املاك الدولة العثمانية في الجناح الاسيوي ، كما كان يحدث ، قبل حروب محمد على ، معهم ، فطلب السلطان من «محمد علي» ان يعيد فتح بلاد نجد ، وان يقضي على النشاط السعودي ، ولكن «محمد علي» كان مشغولا في ذلك الوقت بحروبه في الموره ، ومن ثم لم يستجب لطلب السلطان[١٤٣] .

كما يبدو ان السعوديين ، وقفوا على الظروف وتورط الاسطول المصري في حرب اليونانيين الذين كانوا يريدون الانفصال عن الدولة العثمانية ، وتطور العلاقة بين «محمد علي» والسلطان العثماني «محمود الثاني» عقب موقعه نوارين في ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧ ، وتمرد «محمد علي» ، على الدولة العثمانية وحروبه في الشام لضمها الى دولته الحديثه[١٤٤] .

وعلى ضوء كل ذلك ، قدر السعوديون ، ان «محمد على» لن يفكر وقتذاك في اعادة قواته الى الجبهة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، فأخذوا يتطلعون من قاعدة الاحساء الى الخليج ، والبحرين .

ولعل حاكم البحرين ، كان ينتظر من سلطان عمان ، تنفيذ الاتفاقية التي ابرمت بينهما في ٢ ديسمبر ١٨٢٩ ، خاصة «التعهد الشفوي» الذي تضمن ان يساعد كل منهما الاخر ، في حالة هجوم طرف ثالث عليه ، ولكن الذي حدث ان سلطان مسقط كان :

١ ـ لا يزال يقرب اليه «بشر بن ارحمه

بن جابر الجلاهمة» بعد موت والده ، رغم العداء الذي كان بين حكام البحرين وبين ارحمة وابنه بشر .

٢ ـ لا يمانع في تحقيق هدف آل سعود ، من ان يقيم «بشر» في الدمام ، ليكون مصدر قلق واضطراب لشيوخ البحرين ، على امل ان يزداد التقارب بين السلطان وبشر ، ومن ثم يتمكن السلطان من غزو البحرين والاستيلاء عليها من جديد [١٤٥]

٣ ـ ارسل السلطان الى الرياض ، بأنه يرغب في الاستيلاء على البحرين ، وعبر عن استعداده لدفع الزكاة لآل سعود ، ولكن امام الموحدين رد عليه بلغة دبلوماسية ، بأنه وان كان لا يعارض رغبة السلطان ، الا ان هناك ما يمنعه من ذلك ، وهو ارتباطه مع شيوخ البحرين ، بحمايته لهم ، وان يدفعوا له الزكاة سنويا ، مثل كل بلاد الشاطىء العربي من الخليج ، من رأس الحد الى جران ، باستثناء ابوظبي ، التي صار حاكمها الشيخ طحنون بن شخبوط خاضعا للموحدين [١٤٦] .

وقد فطن شيوخ البحرين لهذه اللعبة السياسية ، خاصة وان آل سعود اخذوا يتمادون في طلباتهم منهم ، مثل تنازلهم عن قلعة الدمام على شاطىء الاحساء ، ولم تفت عليهم هذه المسألة ، من انها كانت بايعاز من بشر بن ارحمه الجلاهمه ، فعملوا على افساد هذه اللعبة ، وذلك بمهادنه الموحدين ، فوافقوا على ان يدفعوا لهم ، ٤٠ الف كراون الماني [١٤٧] لحساب خيول كان السعوديون تركوها في عهدة الشيخ عبدالله ، منذ عدة سنوات سابقة ، وان يدفعوا لهم الزكاة في مقابل مساعدتهم ضد سلطان مسقط [١٤٨] .

وسرعان ما أسفر هذا التقارب البحريني ـ السعودي ، عن تسوية بين الطرفين في عام ١٨٣١ ، وان تظل قلعة الدمام تحت سيطرة آل خليفة ومن ثم فشلت رغبة سلطان عمان ، في مهاجمة البحرين والاستيلاء عليها ، بمساعدة «بشر بن ارحمه» ، وان كان السعوديون قد وافقوا على ان يقيم «بشر» في جزيرة تاروت المواجهة للقطيف [١٤٩] .

ولكن «بشر بن ارحمه» ، لم يمكث طويلا في «تاروت» فقد تشاجر مع سكان القطيف ، الذين تغلبوا عليه ، ودمروا حصنه ، ولم يجد بدا من الفرار الى مسقط ، ليكون على مقربة من السلطان سعيد [١٥٠] .

وسرعان ما توترت الاوضاع في منطقة الاحساء ، حيث اخذت «قبائل العماير» على ساحل القطيف ، تغير

على السفن التجارية ، ولم تسلم سفن البحرين من غارات هذه القبائل ، فقد حدث ان قتل من بحارة سفن البحرين اثنا عشر رجلا ، فاضطر شيخ البحرين والحالة هذه ، ان يجهز حملة عسكرية ، وفرض الحصار على سواحل القطيف والعجير ، وتحكم في الطريق البحري اليهما(١٥١) ، مما ترتب عليه ان حدث احتكاك بين البلدين ، فقد كان السعوديون ، يرون ان هذه المناطق ، بما فيها البحرين ذاتها ، تحت حمايتهم ، وان تحكم البحرين في الطريق المؤدي الى السواحل الشرقية ، يعتبر نقضا لاتفاقية الصلح التي ابرمت في عام ١٨٣١ ـ السابق الاشارة اليها ـ بين الطرفين .

حدث ذلك في وقت كان فيه الامير «تركي بن عبدالله آل سعود» مشغولا بصراعه مع «مشارى بن عبدالرحمن بن سعود(١٥٢) ، الذي كان يعتقد انه احق بامارة نجد من عمه الامير «تركي» وانتهى الصراع بينهما ، بأن دبر «مشارى» مؤامرة ، ادت الى اغتيال الامير «تركي» في عام ١٨٣٣ ، فاضطر ابنه الامير «فيصل» الذي كان يحارب في القطيف والسواحل الشرقية ، الى العودة الى الرياض للانتقام لوالده(١٥٣) .

ساعدت هذه التطورات ، حاكم البحرين ان يضم جزيرة تاروت الى بلاده في عام ١٨٣٤ ، ويشدد من حصاره على مينائي القطيف والعجير ، وانتهى الامر بأن سيطر آل خليفة على الدمام في عام ١٨٣٥(١٥٤) ، ووافق شيخ البحرين ان يدفع للامير «فيصل بن تركي آل سعود» مبلغا قليلا من المال «حوالي الفين من الروبيات» ، وكان السبب في دفع هذا المبلغ ، من وجهة نظر حاكم البحرين ضمان تأييد الامير السعودي له ، اذا حدث واتحد سلطان مسقط مع حكومة فارس(١٥٥) ، وكان الامير السعودي من جانبه ، يرتاح لهذه التسوية نظرا للاضرار التي لحقت برعايا السعوديين في الاحساء ، بسبب حصار الاسطول البحريني لشواطئها ، وكانت جدت تطورات على الجبهة الغربية ، ممثلة في قوات «محمد على» ، فكان عليه ، والحالة هذه ان يتحالف او على الاقل ، يكسب شيخ البحرين الى صفه ، اي ان الاحساس بخطر قوات محمد علي من ناحية ، وبخطر حكومة فارس وحكومة عمان من ناحية اخرى ساعد على ايجاد الصلح بين آل خليفة والسعوديين ، الامر الذي ترتب عليه ان اعيد فتح طريق المواصلات بين

البحرين وسواحل الاحساء[١٥٦] .

وكـان «الخوالد» يعيشـون هـذه التـطورات ، ورأوا في اغتيال الامـير «تركي بن عبدالله آل سعود» فرصة طيبـة لاسترداد نفـوذهم السابق في الاحسـاء ، فقامـوا بـالهجـوم عـلى الموحدين في الهفوف والقطيف ، ولكن عامل السعوديين في الهفوف «عمرو بن عفيصان» تمكن من ان يصد غارات «الخوالد» ويكبدهم خسائر فـادحة ، فـاضطر «بنـو خالد» ان يلجـأوا الى جزيرة تاروت في حماية حامية شيوخ البحرين هناك[١٥٧] .

لكن سـرعـان مـا قـامت قبـائـل «العماير» وهم من «الخـوالد» ومعهم بعض «الهـواجـر» المستقـريـن في الدمام ، وكانـوا اسميا عـلى الاقل ، يعتبرون رعايا لشيخ البحرين ، بحملة قـرصنة عـلى سفن ميناء القـطيف ، وتعدوا على بعض القـوارب التابعـة للبحـرين ، فتحـرك شيـخ البحـرين بسرعة واوقع الهزيمة بهم ، واستولى على قاربين من قواربهم ، وقد اسفرت هذه المعارك عن قتل خمسة اشخاص من هذه القبائل[١٥٨] .

## امـتـداد الخط الاحـمـر الى البحرين :

لم يستمر الهدوء كثيرا في الخليج ، عقب اتفاقية السـلام العامـة ، التي عقدت بين مشايخ الخليج العربي وبين الانجليز في عام ١٨٢٠ ، اذ سرعان ما استـؤنفت المنازعـات بين القـواسم بزعامة الشيخ «سلطان بن صقـر» ، وبني ياس بزعامة الشيخ «طحنون بن شخبوط» شيخ ابوظبي .

ورغم ان تلك المنـازعات ، كـانت محليـة ، تقـودهـا روح العصبيـة القـبـليـة ، ورغـم ان السـلطات البريطانية في الهند وفي الخليج ، كانت لا تمانع في ان تتطاحن القبائل العربية مع بعضها البعض ، الا أنها خشيت ان تتسع تلك المنازعـات ، وتمتد الى عرض الخليج ، مما يؤدي الى احياء القوة العربيـة البحريـة ، بصورة او بأخرى ، من جديد ، ومن ثم تتعرض السفن البريطانية لعمليات القرصنة - كما يطلق عليها الانجليز .

ويبدو ان الكابتن «جون ماكلويد» المقيم السياسي الجديد في بوشهـر ، تحسب لهذه القضية ، ومن ثم ضمن تقريره ، الذي رفعه الى حكومته في ١٠ فبراير ١٨٢٣ ، بعـد جولتـه في بلاد الخليـج ، فكـرة حـظر المنـازعـات البحـرية ، بـين شيوخ العـرب تحت ضمان بريطانيا[١٥٩] .

واستمرت الحروب المحلية بين تلك القبائل ، تشتـد حينا ، وتهـدأ حينا آخـر ، الامر الذي تـرتب عليه ، ان

لحقت الخسارة المادية والبشرية بالجميع(١٦٠) وضعفت قواهم بالشكل الذي وضح تماما أمام السلطة البريطانية في الخليج .

وهنا رات تلك السلطة ، ان الظروف مناسبة للتدخل لتظهر امام شيوخ العرب ، بأنها تعمل لصالحهم ، وفي الوقت نفسه ، تشعرهم بأنها القوة الرئيسية في الخليج ، التي تملك بيدها زمام الامور في المنطقة .

فحين لاحظ المقيم البريطاني في الخليج الكابتن «صمويل هينل» رغبة من كل الأطراف العربية ، في انهاء صراعاتهم ، بادر بارسال دعوة الى الشيوخ العرب المتنازعين ، لحضور اجتماع ، او من ينوب عنهم ، في «باسيدو» بجزيرة «قشم» لايجاد حل لمنازعاتهم ، والموافقة على هدنة بحرية خلال موسم الغوص(١٦١) .

ونظرا للحالة التي وصل اليها هؤلاء الشيوخ ، وفشل الوساطات السابقة ، سواء من جانب سلطان مسقط ، أو من جانب شيخ «لنجه» ، وافقوا على مبادرة «هينل» ، وفي ٢١ ابريل ١٨٣٥ ، تم عقد اجتماع في بوشهر ، اسفر عن توقيع اتفاقية بين شيوخ الشارقة ودبي وعجمان وابوظبي ، تعهدوا فيها بالمحافظة على هدنة بحرية مدتها ستة شهور ، تبدأ في ٢١ مايو ١٨٣٥ ، وعقب توقيع هذه الاتفاقية ، اقترح «هينل» اقامة خط حاجز ، بمثابة خط احمر ، لا يسمح بعده بارتكاب اعمال عدوانية في البحر ، بين ساحل عمان المتصالح والساحل الايراني ، وقد وافق الشيوخ على هذا الاقتراح ، وتعهدوا بالمحافظة عليه(١٦٢) ، دون توقيع اتفاقية رسمية .

وقد تلاحظ ان «هينل» لم يوجه الدعوة الى شيخ البحرين ، رغم انه كان من بين الموقعين على معاهدة السلام العامة في ١٨٢٠ ، ولعل الاسباب تعود الى :

١ ـ ليس من الضرورة دعوة البحرين ، لعدم اشتغالها بالقرصنة .

٢ ـ الخوف من ان تطالب البحرين ، اذا انضمت الى المعاهدة ، الحماية او التعويض من السلطات البريطانية ، اذا وقع هجوم عليها من قبل سلطان مسقط(١٦٣) .

لكن بعد ذلك تم الاتفاق مع شيخ البحرين على تحديد جديد لسير الخط

ولكن يبدو أن اهل الحويله ، خاصة «عيسى بن طريف» الذين هجروا قطر الى ابوظبي ، شكلوا عقبة

في اطار سياسة حكام البحرين العامة ، التي كانت تحبذ اقرار السلام ، وتوطيد الامن في الخليج ، لانعاش الحركة التجارية ، وكان شيخ البحرين يأمل في :

١ ـ عقد اتفاقية للصلح ، بضمان الحكومة البريطانية معهم .

٢ ـ ان يعود هؤلاء المهاجرون الى البحرين .

٣ ـ عدم التورط في حرب مع شيخ ابوظبي

ولكن طبقا للسياسة الانجليزية العامة ، التي كانت ترمي الى عدم التدخل في الاشتباكات المحلية بين عرب الخليج ، الا عند اللزوم ، فقد رفض المقيم البريطاني في الخليج ، ضمان حكومته لأي اتفاقية صلح بين شيخ البحرين وأعدائه المهاجرين في ابوظبي .

وعندما توترت الأمور ، وجرت المعارك بين البحرين وبين المهاجرين ، اسرعت السلطة البريطانية ، وابلغت كلا الطرفين ، ضرورة الالتزام بان العمليات الحربية في البحر ، لا تتعدى الخط الاحمر .

ويبدو ان شيخ ابوظبي ، صار يضيق ذرعا من تصرفات «عيسى بن طريف» فطلب منه ان يترك بلاده ، او ان يقيم فيها بشرط عدم القيام بمغامرات حربية او اعمال عدائية ، مع شيوخ البحرين أو غيرهم .

ويلاحظ انه حدثت مراسلات ودية ، بين شيخ البحرين وشيخ ابوظبي ، لتنقية العلاقات بينهما ، وكان من ثمارها عقد معاهدة دفاعية هجومية بين الشيخين ، وموافقة «عيسى بن طريف» ، على تجميد كل اعماله العدائية ، ومغادرة ابوظبي الى مكان آخر ، بعد انتهاء موسم الغوص لسنة ١٨٣٩(١٦٥) ، وكان يهدف من وراء ذلك الى استئناف نشاطه ضد البحرين .

وعلى ضوء كل ما سبق ، نلاحظ ان الخليج العربي ، كان يعيش منذ بداية القرن التاسع عشر ، وحتى وجود «محمد على» حاكم مصر ، في اواخر الثلاثينات من ذلك القرن ، في حروب مستمرة ، نستطيع ان نحصرها في دوائر الصراع الاتية :

١ ـ بين العرب بعضهم البعض ، كما نراه على سبيل المثال ، بين مسقط وعرب القواسم ، او بين اهل عمان ضد القواسم وحلفائهم ، او بين مسقط والبحرين ، او بين الموحدين وعمان ، او بين الموحدين والبحرين .

٢ ـ بين العرب والفرس ، كما نراه ،

بين عمان والفرس ، او بين الفرس والبحرين ، او بين عرب القواسم والفرس .

٣ ـ بين العرب والدولة العثمانية ، كما نراه بين الموحدين والاتراك او بين عمان والاتراك في البصره .

٤ ـ بين الفرس والدولة العثمانية ، كما نلاحظه في العراق .

٥ ـ بين المسلمين والانجليز ، تارة مع الفرس ، وتارة مع عرب القواسم وحلفائهم ، الذين كانوا يشكلون قوة عربية بحرية ، مناوئه للوجود البريطاني في منطقة الخليج .

وكانت هذه الصراعات ، تحدث على فترات متلاحقة ، ولم تسلم البحرين منها ، بسبب موقعها ومواردها الاقتصادية ، والطامعين فيها .

لذلك نستطيع القول ، أن كثرة الصراعات التي كانت تحدث في الخليج ، وتنعكس على البحرين ، كانت نتائجها وبالا على كل بلاد المنطقة ، فقد ترتب عليها ان صارت القوة الانجليزية ، تعربد في الخليج ، وتزيد من تدخلها ونفوذها السياسي في شئون بلاده ، منتهزة الفراغ من وجود قوة موحدة عربية او اسلامية حتى مجيء قوة «محمد على» الى الخليج ، في اواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، الذي ترتب عليه تغيرات في الميزان السياسي للمنطقة ..

# الهوامش والمصادر


١ ـ Information Office: Bahrain Antiquites. "Manama 1971"

هذا وقد ورد في اساطير «سومر» تعبير جنة تلمون «Tilmon» والمقصود به جزيرة البحرين ، انظر :

د . احمد فخرى : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ص ٢٨ «القاهرة ١٩٦٣» .

٢ ـ محمود بهجت سنان : البحرين درة الخليج . ص ١٣ ـ ١٤ «بغداد ١٩٦٣» .

٣ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان . جـ٣ . ص ٧٢ ـ ٧٣ (القاهرة ١٩٠٦) .

٤ ـ الحيدرى «ابراهيم بن فصيح بن السيد صبغة الله» : عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد «بغداد» .

٥ ـ Wilson, Sir, A: The Persian Gulf. PP 2-3 "London 19 54".

٦ ـ وزارة الاعلام : البحرين على طريق التقدم . ص١٢ وما بعدها «دولة البحرين» .

٧ ـ محمد بن خليفة النبهاني : التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية . ص١٣ وما بعدها ط ٢ القاهرة ١٣٤٢ هـ» .

٨ ـ Hoskins, H.G. British Routes to India. P.20. "London 1964"

٩ ـ قدم الدكتور على ابا حسين دراسة في تاريخ العتوب ، اعتمد فيها ، على وثيقة عثمانية مستخرجة من ارشيف رئاسة الوزراء العثماني باسطنبول ، في دفاتر المهمة رقم ١١١ ، تثبت وجود العتوب في البحرين منذ عام ١٧٠٠ ـ انظر : الوثيقة ـ العدد الاول ـ السنة الاولى ، رمضان ١٤٠٢ ـ يوليو ١٩٨٢ ص ٧٨ وما بعدها «مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين» .

١٠ ـ د . جمال زكريا قاسم : الادعاءات الايرانيــة في الخليج العــربي ص ١٧٩ «المجلة التاريخية المصرية عدد ٢٠ سنة ١٩٧٣» .

١١ ـ رغم ان التاريخ الحديث للعالم العربي ـ بصفة عامة ـ يبدأ منذ القرن السادس عشر الا ان عام ١٧٨٣ بالنسبة للبحرين ، يشكل ظاهرة لها مدلولها السياسي ، ومن ثم لا بأس من اتخاذ هذا العام ، بداية لتاريخ عصر جديد ، يختلف عن العصور السابقة عليه .

١٢ ـ لوريمر ، ج.ج : دليل الخليـج ـ القسم التـاريخي ، جـ ٣ ، ص ١٢٧١ ـ ١٢٧٢ .

١٣ ـ مولى ايزارد : الخليج ـ محاولات الغرب للتقرب الى شبه الجزيرة العربية ـ ص ١٥٣ «الهيئة المصرية العامة للاستعلامات ـ القاهرة ١٩٨٠»

١٤ ـ لوريمر : مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص ١٢٧٤

١٥ ـ نستخدم من الان لفظ جزيرة بدلا من جزر

١٦ ـ ويلسون : تاريخ الخليج ، ترجمة محمد امين عبد الله ، ص ١٤٣ وما بعدها «سلطنة عمان ١٩٨١»

١٧ ـ د . أحمد مصطفى ابو حاكمة : تاريخ الكويت ، جـ ١ ق ١ ، ص ١٦ وما بعدها «الكويت ١٩٧٠» .

١٨ ـ لوريمر ، مرجع سابق ، جـ ٣ ص ١٢٧٣ ـ ١٢٧٤

١٩ ـ حكم في الفترة من ١٧٩٢ الى ١٨٠٤

٢٠ ـ للمزيد انظر :

د . جمال زكريا : دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا . «١٧٤١ ـ ١٨٥٦» ، «القاهرة ١٩٦٧»

٢١ ـ امين سعيد : الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة . ص ٤٩ وما بعدها «بيروت ١٩٦٥»

٢٢ ـ أرامكو ، شركة الزيوت العربية الامريكية بالظهران : عمان والساحل الجنوبي للخليج . ص ٢ وما بعدها «القاهرة ١٩٥٢»

٢٣ ـ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب . تحقيق د . احمد مصطفى ابو حاكمه ، ص ٧٦ وما بعدها «بيروت ١٩٦٧»

٢٤ ـ للمزيد عن القواسم انظر :

صالح محمد العابد : دور القواسم في الخليج العربي «بغداد ١٩٧٦»

٢٥ ـ احمد قاسم البوريني : الامارات السبع على الساحل الاخضر ص . ١٤٠ وما بعدها «بيروت ١٩٥٧»

٢٦ ـ د . صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ص ٩٧ «القاهرة ١٩٧٤» .

هذا ويلاحظ ان معظم المؤرخين والكتاب الأجانب ، يطلقون على مجاهدي الاسلام في البحار لفظ «القراصنة» ويسقطون اللفظ نفسه ، وما يحمله من معنى بالنسبة للاوروبيين ، الذين كانوا يعترضون السفن الاسلامية .

٢٧ ـ الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة : دراسة بعنوان «الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة» ، الوثيقة ، العدد الثامن ، السنة الرابعة ـ ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ ـ يناير ١٩٨٦ م ص ١٢ وما بعدها .

٢٨ ـ د . جمال زكريا : مرجع سابق ص ٨٤ وما بعدها .

٢٩ ـ للمزيد انظر :
د . يونان لبيب رزق واخرون : اوروبا في عصر الراسمالية ص ٢١١ وما بعدها «القاهرة ١٩٨٣»
٣٠ ـ Ghorbal, Shafik: The beginnings of the Egyption question and the rise of Mohemet Ali. "1928".
٣١ ـ استمرت حرب الاستقلال الامريكية من ١٧٧٦ الى ١٧٨٣ ، انظر :
د . رأفت غنيمي الشيخ : امريكا ـ العلاقات الدولية ـ ص ٣٥ وما بعدها «القاهرة ١٩٧٩»
٣٢ ـ د . صلاح العقاد : مرجع سابق ص ٦٨ وما بعدها .
٣٣ ـ لم تهدأ بريطانيا حتى انتهى الامر باجلاء الحملة الفرنسية نهائيا عن مصر في عام ١٨٠١ .
٣٤ ـ Aitchison, C. U. : A collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and the neighbouring countries, Vol. XI, "1933" PP. 207-208
٣٥ ـ روبرت جبران لاندن : عمان منذ ١٨٥٦ ـ مسيرا ومصيرا ـ ترجمة محمد امين عبدالله ص ٦١ وما بعدها «سلطنة عمان»
٣٦ ـ الباحث : الرقيق والجندية في نظر محمد على ، «المجلة التاريخية المصرية ١٩٨٣» ص ١٣٣ وما بعدها .
٣٧ ـ Miles, S.B.: The Countries and Tribes of the Persian Gulf. PP. 290-292. "London 1919"
٣٨ ـ يلاحظ انه بعد رحيل «نابليون بونابرت» عن مصر ، وتولية «كليبر» قيادة الحملة الفرنسية ، كان اغتياله على يد «سليمان الحلبي» من سوريا ، الامر الذي يدل على الروابط القوية بين الشعوب العربية والاسلامية وان ما يحدث لدى احداها ، ينعكس بصورة او باخرى على الاخرى . ولعل هذه المسالة بالذات ، جالت بخاطر «محمد على باشا» حاكم مصر ، حين اراد ان يكون من الشعوب العربية وحدة سياسية مرتكزة على ترابطها الطبيعي والحضاري .
٣٩ مثلت هذه المعاهدة بداية العلاقات السياسية الوثيقة مع عمان ، انظر :
ويلسون : تاريخ الخليج ، الترجمة العربية ، مرجع سابق ص ١٦٢ ـ ١٦٣
٤٠ ـ Bombay Political and Secret Proceedings. No. 3057-70, D-, 8-4-1799, From Imam of Muskat to Governer of Bombay, PP 381-383
نقلا من : سمير محمد على ابو ياسين : العلاقات العمانية البريطانية (١٧٩٦ ـ ١٨٥٦) ص ٣١ ، ١٣٨ «البصرة ١٩٨١»

٤١ ـ George, H.B.: Historical Geography of the British Empire . P. 124

٤٢ ـ Bombay Political and Secret Proceedings No. 3071-73, D., 30-5-1799, From Governor of Bombay to Seyyed Sultan PP. 381 - 383.

نقلا عن سمير ابوياسين : مرجع سابق ص ٣٢ ، ١٣٨

٤٣ ـ انظر التقرير الذي رفعه «مالكولم» الى «ويلسلي» في عام ١٨٠٠ اثناء بعثته الى ديوان شاه ايران في :

India office, Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Vol. 22, PP. 53-120

٤٤ ـ Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of the Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856. Historical Sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs; "Bahrain" P. 366

٤٥ ـ يعترف الباحث ان الدراسة التي قدمها الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة عن الشيخ سلمان بن احمد آل خليفة ، في العدد الثامن للوثيقة ، جعلته يعيد النظر من جديد في هذه القضية ، من منطلق ايمانه ودعوته الى عدم الاعتماد كلية على المصادر الاجنبية ، والاخذ منها بحذر ، وضرورة استخدام المنهج التحليلي ، الامر الذي وجده الباحث واشبعه في تلك الدراسة ، ومن ثم يرى الباحث انه من الجائز جدا ، ان غزو البحرين كان في عام ١٨٠٢ ، بعد ان اجرى مقارنة بين ما تقول به المصادر الاجنبية ، والوثائق الانجليزية نفسها ، من ان السلطان هجم على سفن البحرين في عام ١٧٩٩ ، وكان عددها ثلاث سفن ، في طريق عودتها من الهند ، ثم نزل البحرين في عام ١٨٠٠ ، وترك ابنه السيد «سالم» فيها ، وزوده بمستشار موثوق به ، لرعاية مصالحه ، ولكن آل خليفة ، استردوها منه ، ثم لم يلبث السلطان ان هجم على البحرين مرة اخرى ، ويشير لوريمر «جـ ٣ ص ١٢٧٥ ـ ١٢٧٦» الى ان العتوب ارغموا سلطان مسقط على الجلاء في ذلك العام (١٨٠١) ونزلوا في العام الثاني «١٨٠٢» البحرين بمساعدة «بوشهر» وهكذا ، وبين مخطوط عقد جيد الدرر في معرفة حساب نوروز اهل البحر ، لكاتبه جابر بن عبدالخضر بن هلال بن محمد بن بدر ، وهو شاهد عيان ، سجل حوادث هذا الهجوم الذي كان قد تم في عام ١٨٠٢ بقلمه وحددها باليوم والساعة .

انظر الوثيقة : العدد الثامن ص ١٢ وما بعدها

٤٦ ـ الوثيقة : مرجع سابق ، العدد الثامن . ص ٢٢ وما بعدها

٤٧ ـ محمد خليفة النبهاني : مرجع سابق . ص ١٢٩ ـ ١٣١

٤٨ ـ د .صلاح العقاد : مرجع سابق ص ٥٥

٤٩ ـ Kelly, J.B.: Britain and the Persian Gulf, "1795-1880" PP 110-134, "London 1968"

٥٠ ـ انظر : د . احمد مصطفى ابو حاكمه : تاريخ الكويت جـ ١ ق ٢ ص ١٦٢ وما بعدها «موجز تاريخي عن قبيلة القواسم ١٧٤٧ ـ ١٨١٩ ، اعده المستر فرانسيس واردن عضو المجلس ببومباي ومساعد المقيم البريطاني في الخليج سنة ١٨١٩

٥١ ـ لوريمر : مرجع سابق جـ ١ ص ٢٥٨ وما بعدها

٥٢ ـ د . صلاح العقاد : مرجع سابق ص ٩٤

هذا وكان السلطان «بدر» على علاقة طيبة مع الامير سعود بن عبدالعزيز في تلك الفترة ، مما ترتب عليه ، اغتياله في عام ١٨٠٦ ، وتربع السيد «سعيد بن سلطان» على عرش السلطنه بعده .

٥٣ ـ لوريمر : جـ ٢ ص ٩٧٧ وما بعدها

٥٤ ـ Aitchison, ... OP Cit. PP. 197-198

٥٥ ـ Arabian Gulf Intelligence, Selections from the records of the Bombay Government, New series, No. XXIV, 1865, Historical sketch of the Wahabee Tribe of Arabs; P. 431

٥٦ ـ لوريمر . جـ ١ ص ٢٩٠ وما بعدها

٥٧ ـ Belgrave: The Pirate Coast, PP-29-31 "Beirut 1972"

٥٨ ـ صالح محمد العابد : مرجع سابق ص ٢١٤ وما بعدها

٥٩ ـ د . صلاح العقاد : مرجع سابق ص ٩٣

٦٠ ـ استسلمت جزر القمر في شهر ديسمبر ١٨١٠ ، امام قوة بريطانية قادها الجنرال «ابو كرومبي» وبذلك وضعت حدا للانتهاكات الفرنسية في البحار الشرقية ، انظر :

ويلسون : تاريخ الخليج . الترجمة العربية . مرجع سابق ص ١٦٥ ـ ١٦٦

٦١ ـ يلاحظ انه منذ اقدم العصور ، كانت السفن التجارية للعرب والفرس تجوب سواحل الهند والخليج وشرق افريقيا في امان ، وقد ازدهرت التجارة في المياه الشرقية في عصر الدولة العباسية ، واستمر الوضع على هذا الحال ، حتى مجيء الاوروبيين في اواخر القرن الخامس عشر ، فحدث خلل في الميزان التجاري ، حيث رجحت كفة الاوروبيين على المسلمين ، بسبب غزوهم واستعمارهم لكثير من مناطق اسيوية وافريقية ، واحتكار مواردها

الاقتصادية ، وتحويلها من الطرق العربية الاسلامية الى طريق رأس الرجاء الصالح في جنوب افريقيا ومنه الى المحيط الاطلسي .

٦٢ ـ Historical Sketch .... Wahabees, op. cit. p. 432

٦٣ ـ Historical Sketch ... Wahabees, op. cit. p. 431

٦٤ ـ مولى ايزارد : مرجع سابق ص ١٥٨

٦٥ ـ للمزيد عن ارحمه بن جابر الجلاهمه انظر :

د . جمال زكريا قاسم : حوليات كلية الاداب ، جامعة عين شمس ، المجلد التاسع ١٩٦٤ . ص ٧٦ ـ ٩٨

٦٦ ـ لوريمر جـ ١ ص ٢٩٣ وما بعدها

٦٧ ـ لوريمر جـ ١ ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥

٦٨ ـ محمد خليفة النبهاني : مرجع سابق ص ١٣١ ـ ١٣٢

٦٩ ـ Historical Sketch ... Wahabees. Op. Cit. PP. 432/4333

٧٠ ـ Ibid. p.434

٧١ ـ الوثيقة : مرجع سابق ، العدد الثامن ص ٢٦

٧٢ ـ د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : الدولة السعودية الاولى «١٧٤٥ م ـ ١٨١٨» ـ «١١٥٨ هـ ـ ١٢٣٣» ص ١٠٠ «معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥» .

٧٣ ـ النبهاني : مرجع سابق ص ١٣٣ ـ ١٣٤

٧٤ ـ الوثيقة مرجع سابق ـ العدد الثامن ص ٢٧ وما بعدها

٧٥ ـ Historical sketch ... Wahabees op. Cit. pp. 432-436

٧٦ ـ حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ـ ص ١١٨ وما بعدها ، القاهرة ١٩٤٦» .

٧٧ ـ Fuad, I. Khuri: Tribe and State in Bahrain. P.26 ''London 1980''

٧٨ ـ د . جمال زكريا قاسم : الاصول التاريخية لقضية عمان . ص ١٨٦ «المجلة التاريخية المصرية ـ المجلد الثاني عشر ـ القاهرة ١٩٦٤» .

٧٩ ـ Arabian Gulf Intelligence, Selections from the Records of Bombay Government, New Series, No. XXIV, 1856, Historical sketch of the Rise and Progress of the Governemnt of Muskat; PP. 186-187.

٨٠ ـ Hoskins, H.G. Op. Cit. 'p. 31

٨١ ـ Historical Sketch ... Muskat Op. Cit. P. 186

٨٢ ـ أحمد محمود صبحي : البحرين ودعوى ايران . ص ٩٩ ـ ١٠٠ «الاسكندرية ١٩٦٣» .

٨٣ ـ Historical Sketch ... Uttoobees op. cit. PP. 368-369

٨٤ ـ شارك ارحمه بن جابر الجلاهمه في هذه المعركة ، التي قتل فيها قائدان هامان من قادة امام مسقط احدهما اخوه الاصغر «سالم» كما يقول النبهاني : مرجع سابق ص ١٤١ ـ ١٤٤ ، بينما يشير لوريمر الى انه كان السيد «حمد» جـ ٣ ص ١٢٧٩

٨٥ ـ لاحظ الباحث ان علم البحرين يجمع بـين اللونين الابيض عـلامة السـلام والاحمر علامة حماية السلام بالقوة .

٨٦ ـ كان يشارك اخاه الشيخ سلمان في حكم البحرين .

٨٧ ـ Historical Sketch ... Uttoobees. Op. Cit. PP. 369-370

٨٨ ـ Kelly, J.B.: Britain ... Op. Cit. PP. 146-160

٨٩ ـ د . أبو حاكمة : تاريخ الكويت ج ١ ق ٢ ص ١٧٠ وما بعدها.

(٩٠) Fuad, I. Khuri, op. cit. p. 20.

(٩١) India office, Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Vol. 32, Court of Directors, London to Bombay Government, 26-2-1817.

(٩٢) Kelly, Britain ... op. cit. pp. 134-140.

(٩٣) لوريمر جـ٣. ص١٢٨٠ وكذلك Historical sketch ... Uttoobees. op cit. p. 372.

(٩٤) صالح محمد العابد: مرجع سابق. ص٣٠٠ وما بعدها

(٩٥) للمزيد انظر :

د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: مرجع سابق. ص٣٤٣ وما بعدها

(٩٦) Miles, S.B.: OP- Cit-P324

(٩٧) العابد: مرجع سابق. ص٣٠٢ وما بعدها

(٩٨) د. عبدالحميد البطريق: ابراهيم باشا فى بلاد العرب، ص٣٦ وما بعدها (كتاب ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ـ القاهرة ١٩٤٨).

(٩٩) محفظة رقم ٦، وثيقة رقم ١١٥، بحر برا، المدينة فى ٢١ ذى القعدة ١٢٣٤ (دار الوثائق القومية بالقلعة ـ القاهرة)

(١٠٠) Kelly,: Britain....Op. Cit. p. 142

(١٠١) Historical sketch... Muskat-Op.Cit.PP.188-189.

(١٠٢) للمزيد انظر :

د. بدرالدين عباس الخصوصي: دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر الجزء الاول (الكويت ١٩٨٤)، ص٢٠٤ وما بعدها

(١٠٣) د. صلاح العقاد: مرجع سابق . ص١٠٣

(١٠٤) Fuad,I.Khuri.:Op. Cit. P.20
(١٠٥) مولى ايزارد: مرجع سابق. ص١٥٩ وما بعدها
(١٠٦) نص المعاهدة في: Aitchison,... Op. Cit. PP. 245-248
(١٠٧) انظر د. صلاح العقاد: مرجع سابق. ص١٠٥ وما بعدها
(١٠٨) لوريمر. جـ٣ . ص١٢٨٤
(١٠٩) Historical Sketch...Uttoobees. Op. Cit. pp. 373
(١١٠) Historical Sketch ... Utoobees, op. cit. p. 373.
(١١١) Kelly, Britain ... op. cit. pp. 163-164.
(١١٢) Kelly, op. cit. p. 182.
(١١٣) لوريمر. جـ٣ . ص١٢٨٦ ـ ١٢٨٨
(١١٤) لوريمر . ج ٣ . ذات الصفحات

والواقع ان هذا الاجراء الذى اتخذه الانجليز، ليس جديدا، ولن يكون الاخير في سياستهم، فكانت الحكومة البريطانية، تستخدمه مع ممثليها في الخارج، اذا لاحظت، ان عمل احدهم، او حتى وجوده في اى بلد، غير مرغوب فيه، ويثير استياء ضدها، فتسرع بنقله، وتعيين اخر، ترضية لحكومة ذلك البلد، وامتصاصا لغضب شعبه، وهناك عشرات الامثلة في التاريخ الحديث والمعاصر تشير الى تلك السياسة.

(١١٥) لوريمر. جـ٣. ص١٢٨٦ ـ ١٢٨٨ وكذلك
Kelly, Britain ... op. cit. pp. 181-182.
(١١٦) Abbas Faroughy.: The Bahrein Island, "750-1951" p. 81, "New York 1951."
(١١٧) د. جمال زكريا: الادعاءات الايرانية.. مرجع سابق ص١٩٧
(١١٨) ولعل عدم اشراك آل خليفة في هدنة ١٨٣٥ البحرية في الخليج، بسبب عدم ميولهم الى الاشتغال بالقرصنة.
(١١٩) لم تهدأ انجلترا منذ ذلك الوقت حتى فرضت الحماية رسميا على بلاد الخليج العربية، وفرضت الاحتلال على مصر.
(١٢٠) د. احمد عزت عبدالكريم: مقدمة الاستعمار في الخليج، ص٩ (القاهرة ١٩٥٦)
(١٢١) لوريمر، جـ٣ ص١٢٨٣
(١٢٢) Kelly, Britain...Op. Cit. pp164-165
(١٢٣) بعد ان قضى في الحكم مدة سبعة وعشرين سنة، انظر الوثيقة العدد الثامن، ص١٢ وبعدها.

(١٢٤) لوريمر جـ٣ ، ص١٢٩٠

(١٢٥) Historical Sketch. Muskat, op. Cit. p.191

(١٢٦) أحمد محمود صبحي: مرجع سابق: ص٩٩ ـ ١٠٠

(١٢٧) لم يطبق البند الخاص بتحريم تجارة الرقيق في معاهدة السلام العامة على سلطان مسقط وشعبه، انظر:ـ
مو لي ايزارد: مرجع سابق ص١٦٣

(١٢٨) د. شوقي الجمل: تاريخ كشف افريقيا واستعمارها. ص١٨١ وما بعدها (القاهرة ١٩٧١)

(١٢٩) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا: زنجبار. ص٤٣ وما بعدها (القاهرة ١٩٥٩)

(١٣٠) Historical Sketch... Uttoobees, Op. Cit PP.378-379

(١٣١) النبهاني: مرجع سابق. ص١٤٢ ـ ١٤٤

(١٣٢) Historical Sketch.. Muskat. Op. Cit.pp. 196-197

(١٣٣) تنص هذه المادة على ان العرب المتصالحين، يتعهدون بعدم الدخول في حرب ضد بعضهم البعض.

(١٣٤) لوريمر، جـ٣، ص١٢٩٠ ـ ١٢٩٣

(١٣٥) Historical Sketch...Uttoobees, Op.Cit. p.380 وكذلك لوريمر. جـ٣ ص١٢٩٣ ـ ١٢٩٤

(١٣٦) Historical Sketch...Uttobees,OP.Cit.pp.380

(١٣٧) Historcal Sketch..Muskat,op. Cit.pp.197-198 وكذلك لوريمر جـ٣. ص١٢٩٥

(١٣٨) لوريمر، جـ٣، ص١٢٧٩

(١٣٩) لوريمر، جـ٣، ص١٢٩٥

(١٤٠) Historical Sketch..Uttoobees, Op. Cit.p.381

(١٤١) يلاحظ انه اذا كانت الدولة السعودية الاولى سقطت سياسيا اثر سقوط الدرعية، الا ان الدعوة السلفية التى قامت عليها الدولة ظلت كامنة في النفوس، يتدارسها العلماء والفقهاء في نجد والحجاز وغيرهما، بل لقيت الدعوة بتعاليمها صدى في الدوائر الاسلامية خارج شبه الجزيرة العربية، في مصر والعراق والشام والمغرب والهند، وعقدت مجالس من العلماء للمناظرة والمناقشة، وقد ترتب على ذلك ان احدثت نوعا من اليقظة الفكرية، كان المسلمون في اشد الحاجة اليها.

(١٤٢) Historical Sketch...Wahabees, Op. Cit.pp.437-439

(١٤٣) للمزيد انظر:ـ

عبدالرحمن الرافعي: عصر محمد على (القاهرة ١٩٥١)

(١٤٤) تحالفت كل من قوات بريطانيا وفرنسا وروسيا ضد الاسطول العثمانى المصرى الجزائرى، واوقعت به هزيمة ساحقة، وترتب على ذلك استقلال اليونان من الدولة العثمانية، وبداية الحرب الساخنة بين محمد على والسلطان العثمانى

(١٤٥) لوريمر، جـ٣ . ص١٤٣٣

(١٤٦) Historical Sketch. Wahabees.Op.Cit.pp439-440

(١٤٧) لوريمر، جـ٣، ص١٢٩٦

(١٤٨) Historical Sketch... Uttoobees, Op. Cit.p.381

(١٤٩) لوريمر، جـ٣٠، ص١٤٣٤

(١٥٠) Historical Sketch... Uttoobees, Op. Cit.p382

(١٥١) ٦٠ Historical Sketch..Wahabees, Op.Cit.pp.441-442

(١٥٢) كان هذا الامير معتقلا فى مصر، وتمكن من الفرار فى عام ١٨٢٥

(١٥٣) كان من بين حاشية الامير (فيصل) شخص يدعى (عبدالله بن الرشيد من حائل، تمكن من اغتيال ( مشارى) ومنحه الامير (فيصل)، امارة حائل، وهناك تأسست امارة بيت الرشيد، التى لعبت دورا فى تاريخ الجزيرة العربية

(١٥٤) لوريمر، جـ٣، ص١٤٣٥ ـ ١٤٣٦

(١٥٥) Historical Shetch.. Uttoobees,Op.Cit.p385

(١٥٦) لوريمر، جـ٣، ص١٢٩٨

(١٥٧) لوريمر، جـ٣ ، ص١٤٣٥

(١٥٨) لوريمر، جـ٣، ص١٣٠٢

(١٥٩) د. الخصوصى: مرجع سابق ص٢٢٢ وما بعدها

(١٦٠) لوريمر جـ٢، ص١٠٤٤ وما بعدها

(١٦١) لوريمر، جـ٢، ص١٠٥٤ وما بعدها

(١٦٢) د. الخصوصى: مرجع سابق . ص٢٣٠

وطبق نظام الهدنة البحرية للمرة الاولى عام ١٨٣٥، ثم جدد فى ١٣ ابريل ١٨٣٦، وقد زيدت مدة سريان الهدنة الى ثمانية شهور، ثم جدد فى ابريل ١٨٣٧ على التوالى، ثم وافق الجميع على ان تكون الهدنة سنوية فى ١٨ ابريل ١٨٣٨، حيث ظلت تجدد سنويا بعد ذلك خلال اعوام ١٨٣٩، ١٨٤٠، ١٨٤١، ١٨٤٢، وفى اول يونيو ١٨٤٣، وافق الشيوخ العرب على عقد هدنة لمدة عشر سنوات تنتهى فى مايو ١٨٥٣ ثم تحولت الهدنة الى معاهدة دائمة

اطلق عليها اسم (معاهدة السلام البحري الدائم) وقع عليهـا فى ٤ مايـو ١٨٥٣ كل من الشيخ (سلطان بن صقر) شيخ راس الخيمة، والشيخ (سعيد بن طحنون) شيخ ابوظبى والشيخ (سعيد بن بطى) شيخ دبى والشيخ (حميد بن راشد) شيخ عجمان والشيخ (عبدالله بن راشد) شيخ ام القوين، انظر بنود المعاهدة فى:ـ

سيد نوفل: الخليج العربى، ص٤١١ وما بعدها (بيروت ١٩٦٩)

(١٦٣) Kelly, Britain...op.Cit.p.359

(١٦٤) لوريمر، جـ٣ ، ص١٣٠١

(١٦٥) لوريمر، جـ٣، ص١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣١٣

# الصِّلة التاريخيّة بَين البحرين والمملكة في عهد الملك عبد العزيز

بقلم: الدكتور علي عبدالرحمن أباحسين

**أنها صلة القربى والنسب فان اسرة (آل خليفة) في البحرين وأسرة آل سعود في المملكة العربية السعودية تنتميان الى قبيلة (عنزة). قال الشيخ عثمان بن سند في حديثه عن بني عتبة. (ومنهم آل خليفة): ان لهم في (عنزة) بن أسد (بن ربيعة) نسبة.**

**(والعتوب) حلف يضم بطونا وأفخاذا كثيرة تنتمي لعدة قبائل هاجرت من مساكنها في (نجد) واستقرت على ضفاف الخليج العربي، وتحالفت هذه القبائل مع بعضها البعض وتصاهرت فيما بينها فأصبحت تمثل قبيلة (العتوب) وأقدم من ذكر ذلك عنهم الشيخ (عثمان بن سند الوائلي) المتوفى عام ١٢٤٢هـ الموافق ١٨٢٦م حين قال في معرض بحثه عن بني عتبة**

والذي يظهر ان بني عتبة متباينو النسب لم تجمعهم في شجرة أم وأب ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض وما قارب الشيء يعطى حكمه على الفرض)[١]: لقد كان التاريخ ضنينا علينا بمعرفة بدء هذا الحلف أو كيف



ولماذا اختاروا اسم العتوب الذي أطلقوه على انفسهم فربما كان بعد ارتحالهم أو عتبهم نحو الشمال

فأصبحت الكلمة مشتقة من الفعل (عتب) أي انتقل وارتحل[٢]. والذي

نقوله ان من العتوب من ينتمي الى قبيلة (عنزة) ومنهم من تميم وآخرون من سليم وغيرهم. فأما أولئك الذين ينتمون الى عنزة فمنهم آل سعود

وآل خليفة ، وآل صباح وآخرون. والدارس لتاريخ العرب يجد الترابط القبلي وأثره الواضح حتى في يومنا هذا خاصة عند أهل نجد أو من نزح من نجد وهم يشعرون انهم ينتمون الى أب واحد وأنهم بنو عمومة يتناصرون لبعضهم ويتفقون حين يداهمهم العدو وان كانوا من قبل لمختلفون. قال الشاعر العربي القديم :



الكلام على بلدة الكويت

ذكر انتقالهم من الكويت الى الاحساء من البحرين

صفحة من كتاب ـ سبائك العسجد للشيخ عثمان بن سند المتوفى ١٢٤٢ هـ ـ ويشير فيها الى العتوب في الكويت



صورة الوثيقة الموجودة بارشيف رئاسة الوزراء العثماني في مدينة استنطبول بدفتر المهمة رقم ١١١ صفحة ٧١٣ والمؤرخة في ٢١ رجب ١١١٣ هجرية ـ ٢٣ كانون اول (ديسمبر) ١٧٠١ ميلادية (مشار فيها للجزء الخاص باتجاه العتوب للبحرين)

وان الذي بيني وبين بني أبى
وبين بنى عمي لمختلف جدا
فان أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا احمل الحقد القديم عليهمو
وليس كبير القوم من يحمل الحقدا[٣]

وقال غيره :

يقول عشيرتي قومى بلادي
همو نخرى اذا ما الدهر مالا
بهم اعتز ان عزوا والا
فمجدى باطل يحكي الزوالا

تحت هذه المعاني كانت صلة البحرين بالمملكة العربية السعودية حكاما ورعية فان كلتا الاسرتين الحاكمتين في الدولتين تنتميان الى قبيلة واحدة وأن الصلة صلة القرابة أو ذوي القربى والتي أوصى بها ديننا الحنيف في مواضع كثيرة[٤] وسوف تجد أثار تلك الصلة في التشاور والنصح والتعاون بين آل خليفة وآل سعود بما يحفظ لرعيتهم من خير وأمن واستقرار ولبلادهم من سيادة واستقلال مما ستوضحه الوثائق المصورة في البحث والمتبادلة بين المغفور لهما جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود والشيخ عيسى بن على آل خليفة .

أما أصل هذه الصلة عند الرعية أو شعب البحرين والمملكة العربية السعودية فان سكان البحرين عبر التاريخ ينتمون في الغالب الى قبائل عربية نزحت في فترات تاريخية من الجزيرة العربية وسكن بعضهم في السواحل الشرقية من الخليج العربي ثم تحولوا منها الى البحرين وهم الذين يدعون (بالهولة). ومنهم من سكن البحرين بعد نزوحهم من نجد واستقروا بها الى الوقت الحاضر لذا فان الصلة بين شعبي البلدين تعود الى فترة طويلة .

كما تتخذ الصلة بين البحرين والمملكة العربية السعودية جانبا آخر هو (الوطن الواحد) فان آل خليفة ومن والاهم من سكان البحرين هاجروا مع من هاجر من العتوب في وقت ما من القرن الحادي عشر الهجري أو القرن الثامن عشر الميلادي من موطنهم (الهدار) و(الأفلاج) في نجد تلك المنطقة الغنية بالمياه الكثيرة والعيون الجارية وما فلج (بفتح أوله وثانيه) الا النهر الصغير، أو الماء الجاري من العين لانفلاجه أي انفتاحه. وكانت ولا زالت تلك الأماكن تحمل معنى الماء الكثير أو الجاري او السريع فمثلا (الغيل) وهو ماء على سطح الأرض ثم السيح (وهو ماء ظاهر يجري على الأرض و(الهدار)

وهـو سيل مجلجـل متـدفق و(بـرك) و(السحـاب) وهو الوادي الذي تقـع عليه مدينة ليلى). و(القمع) و(المعيذر) و(نباع). هذه منـطقة الافـلاج التي يبلغ طولها نحو مائتي كيلومتر وفيها أكثـر من ثمانيـة عشر واديا. ووادي الهدار تجتمع سيوله في وادي الجدول شرقي قرية (البديع) الذي استوطنته (جميله) من قبيلة عنزة والبديع تبعد عن ليـلى، باثنـين وثلاثـين كيلومترا. ويسقى وادي الهدار قريـة تاريخيـة تسمى (صداء).

من هذه البيئة التي تكثر فيها مياه العيون والآبار وتسود الزراعة الى بيئة البحرين ذات العيون الكثيـرة والمياه الوفيرة وغابات النخيل المنتشرة نزح آل خليفـة مع من نـزح من العتـوب وتأقلموا في البيئـة الجديـدة في فترة قصيرة.

وجدير بالذكر ان بعض ما أوردناه من مسميات في نجد نجده في البحرين (كالبديع) (وصبحا) وهى القلعة التي بنـاها (فيصـل الجميلي) في الهـدار وسماها (صبحا) أو (صبحة) كما بنى احـد احفاده وهـو الشيخ محمـدبن خليفة آل خليفة في (الزبارة) قلعة في ١٧٦٢م أو ١١٧٦هـ وسـمـاهـا (صبحا). وهكذا فان الخلف كثيرا ما يحافظ على التسميات ينقلها معه سواء لأسمـاء الأمـاكن أو الاشخـاص أو المعارك وهذا يدل على عمق الصلات الروحية بين المرء وأصله وموطنه الذي نزح منه.

## التاريخ والمصير المشترك:

ان الدارس لتاريخ البحـرين يجد أن البحرين كانت تضم رقعة واسعة تشمل الساحل الشرقي من كاظمة الى عمـان وكانت ولايـة البحـرين تضم الاحساء والقطيف بالاضافة الى جزر البحرين وعليها وال يضم اليه اليمامة التي تتسع فتشمل مساحة واسعة من شبه الجزيـرة العربيـة وذلك في عهد الراشـدين فالأمـويين وخـلافـة بني العبـاس[٥] واستمـرت حتى عهـد العيـونيين والجبـور وكانت الظروف السياسية التي تتعرض لها البحرين بمساحتها الواسعة متشابهة الى حد كبير منذ ان دخلت في الاسلام فارتدت ثم عادت الى الحظيرة الاسلامية كما تعرضت لحركات الزنج والقرامطة ثم للنفـوذ الأجنبي في العصر الحـديث خاصة البـرتغاليـين والانجليز. حتى كتب الله ان تحكم من قبـل أبنائهـا العرب ورغم ذلك فقد تعرضت لضغوط اجنبية تحاول أن تفرض على حكامها العرب السير في ركابها ومنع كل ما من شأنه الاتحاد والتقارب والمحبة بينهم وذلك بإذكاء نار الفتن والاضطرابات

الطائفية والعنصرية لكي يتسنى لهم التدخل وتفرقتهم سواء على مستوى الحكام أو الشعوب حتى من الله على منطقة الخليج والجزيرة العربية باعلان مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

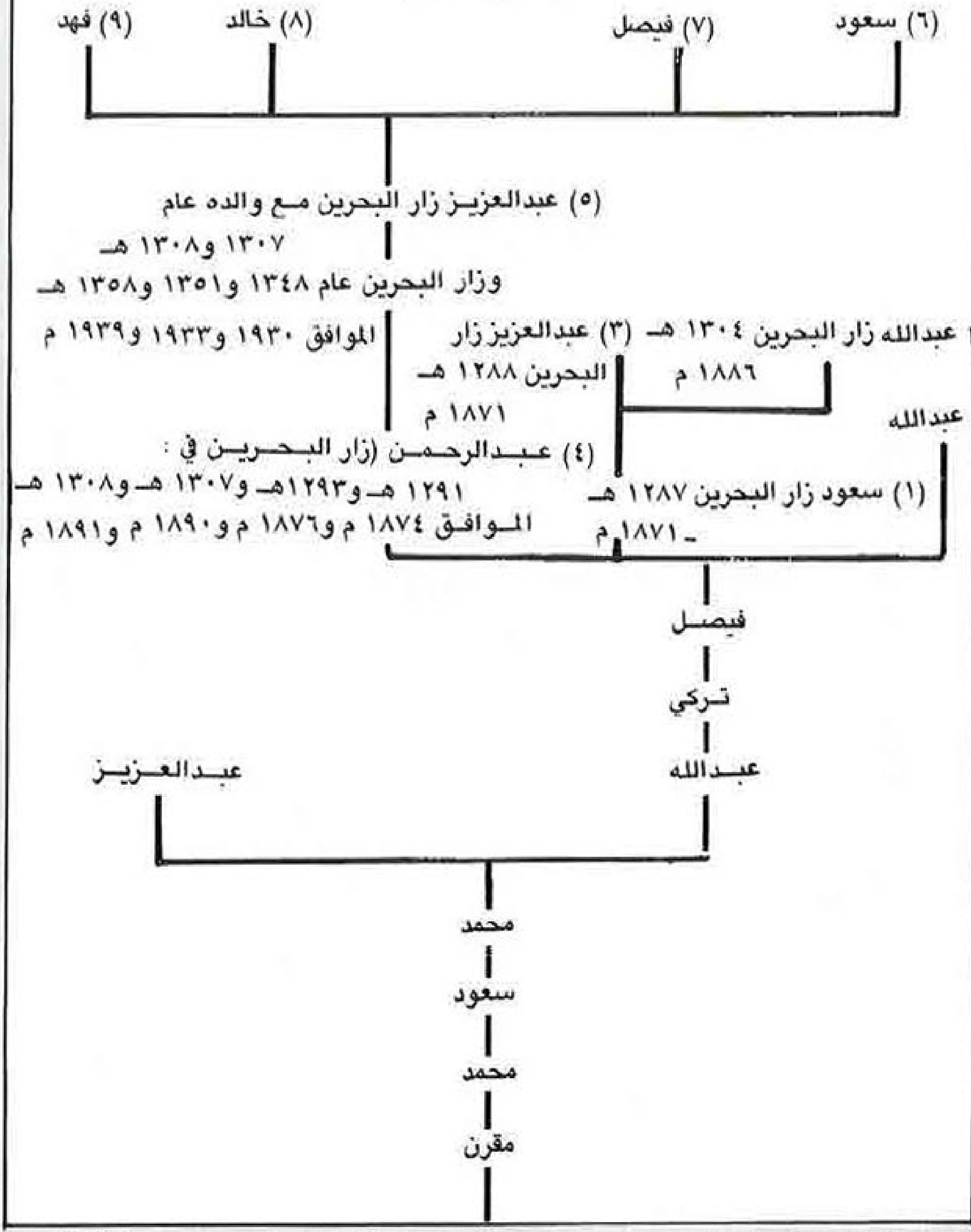
وأما الفترة التاريخية موضوع البحث فهي تعاصر كلا من عهد (الشيخ عيسى بن على بن خليفة آل خليفة) المتوفى ١٣٥١هـ وابنه (الشيخ حمد) المتوفى ١٣٦١هـ وحفيده (الشيخ سلمان)(٦).

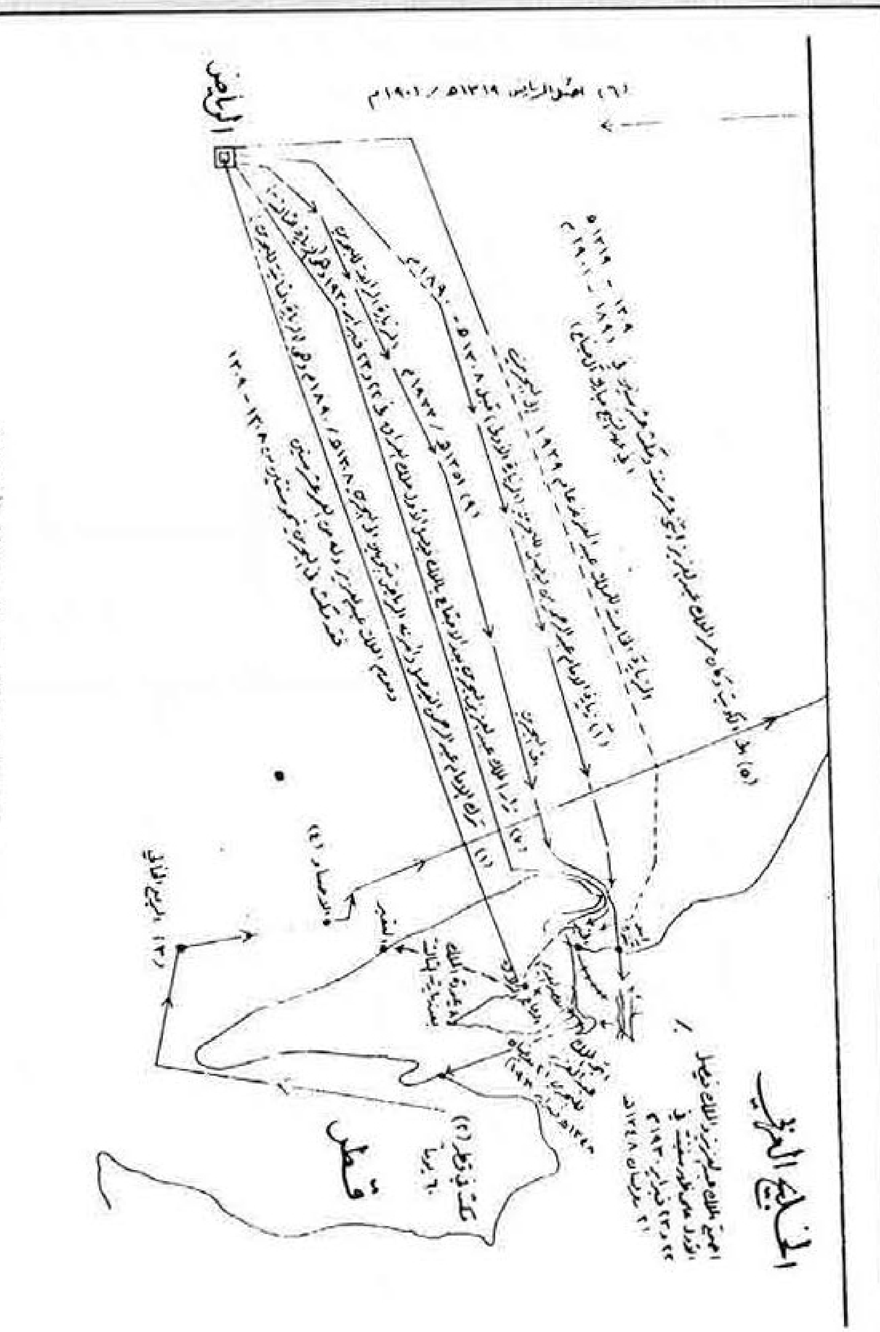
هذه الرحلة الطويلة من العمر التي عاشها المغفور له (الملك عبدالعزيز) والتي عاصرت ثلاثة شيوخ من حكام البحرين تكون جانبا من الصلة العريقة بين المملكة العربية السعودية والبحرين لذا نرى ان نلقي الضوء بايجاز على تاريخ الفترة التي سبقت عهد الملك عبدالعزيز من خلال الزيارات التي قام بها حكام البلدين الشقيقين وذلك لأنها ذات صلة بحكم الشيخ عيسى بن على آل خليفة الذي عاصر الملك عبدالعزيز ووالد الملك وهو (الامام عبدالرحمن) وجده وهو (الامير فيصل بن تركى)(٧) .

ولا شك ان تلك الزيارات المتبادلة بين الاشقاء أمراء وشيوخ البلدين انما تعبر عن الروابط المتينة بينهم ولابد ان لكل زيارة دافعا وسببا ظاهرا او خفيا في ظروف سياسية عصيبة لعب فيها الأجنبي دور التفرقة ونشر الفتن وذلك للسيطرة على هاتيك البلدان. ولم تدع تلك الزيارات بين البلدين الشقيقين مجالا للأجنبي ان يحقق مأربه اذ ان النتائج دلت على ذلك .

فقد زار الأمير (سعود بن فيصل بن تركى) البحرين أكثر من مرة ولم تطل اقامته في البحرين فخرج الى قطر ثم عاد الى البحرين ثانية(٨) الا انه غادر البحرين الى الاحساء والقطيف وذلك في السادس من شهر فبراير عام ١٨٧١م الموافق ١٤ذي القعدة ١٢٨٧هـ ومعه عدة رجال من اهل البحرين وانضم اليه في العقير العجمان وآل مرة فدخل الاحساء، وكان سكان (سيهات) قد سكنوا البحرين فدعاهم الأمير سعود للعودة الى بلادهم لأنهم من رعاياه السابقين فعادوا وأصبحوا خاضعين لحكمه الذي امتد بعد هذا التاريخ ولمدة خمس سنوات من ١٨٧١الى ١٨٧٥م. وهكذا كانت البحرين في عهد الامير (سعود بن فيصل) مركزا للتشاور وتنسيق العمل، وقد أهدى السيف المدعو بالأجرب وهو سيف جده (تركى) الى الشيخ عيسى بن على

## تخطيط يوضح زيارات امراء وملوك آل سعود للبحرين وسنى زياراتهم





تخطيط يمثل زيارات الملك عبد العزيز الى البحرين

آل خليفة[٩] .

كما زار الأمير (عبدالله بن فيصل) البحرين في عام ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٦[١٠]. وتحدثنا الوثائق المرفقة صورتها عن زيارات الامير (عبدالعزيز بن سعود بن فيصل) ومنها تلك الزيارة التي اوردت ذكرها رسالة كتبها (ميرزا أبوالقاسم المنشى) الى المقيم البريطاني في الخليج والتي ذكر فيها : ان الشيخ عيسى بن على آل خليفة يقول : ان الأمير عبدالعزيز بن سعود يريد الاقامة في البحرين [١١] وتستطرد الرسالة ان الامير ليس معه احد وانما يريد ان يستقر ويزاول مهنة التجارة .

وفي تقرير لـ (ميرزا ابى القاسم) من البحرين : ان شيوخ (المرة) كانوا مع الأمير عبدالعزيز بن سعود[١٢].

وفي السابع والعشرين من شهر اغسطس ١٨٧١م عقد الأمير (عبدالعزيز بن سعود) مقابلة مع حاكم البحرين وكانت المقابلة رائعة على حد قول الكابتن (وليام غوترى) قائد السفينة الحربية (هيوغ روز) اذ كان هناك أربعة فرسان يقف كل فارسين منهما على أحد جانبي باب قصر الشيخ عيسى بن على آل خليفة بالمنامة وحوالي مائة من الاتباع المرافقين للأمير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل. وتستطرد الوثيقة بالقول : بأن الأمير قد بلغ سن الرشد ويفهم مسئولياته لا كما أورد (ميرزا) بأنه صغير السن. ويختم صاحب التقرير قوله بأن هناك عددا كبيرا من البدو في البحرين حاليا.[١٣].

وكان اللقاء بين الشيخ عيسى بن على والامير عبدالعزيز بن سعود أثر مرور بعض السفن بالبحرين وهى في طريقها من القطيف الى العقير حاملة بعض المؤن والسلع للأتراك العثمانيين. وقد تعرضت هذه القافلة ـ التي يحرسها ثلاثون فارسا عثمانيا بعد مغادرتها الاحساء ـ لهجوم من قبل البدو فقتل من البدو ثلاثون رجلا اثناء مناوشات حدثت بين حرس القافلة والبدو. وتحدث شاهد عيان ممن كان مع القافلة بأن (فروخ باشا) دعا الامير ابن سعود لكي يتفاهم معه حول الأوضاع هناك فلم يستجب الأمير لطلب الوالي العثماني الذي سبق ان احتل الاحساء في ٢٨ يوليو ١٨٧١، وعلى اثر هجوم البدو في العقير أرسل الاتراك تعزيزات في الاحساء والقطيف خوفا من ابن سعود. اما موقف الشيخ عيسى بن على من هذه التطورات والاحداث التي تمر بها منطقة الاحساء والقطيف فانه لم يتدخل فيها

No 297 dated Bahrain 9th Jemmadeeool Sanee 1288/26 August 1871.
Translated purport of a letter from Mirza Abool Casuim, Moonshee to Residence in The Gulf.

Since the return of Gunbout 'Hugh Rose' to Bahrain I have joined her. I land daily to collect information and return at sunset to inform Capt. Guthrie. Today according to custom, when I landed I saw a crowd collected round the house of the late Ali Bin Khuleefa at Menama and in which house the present chief, Esau bin Ali, now resides. On enquiry I learnt that Abdul Azeez Bin Saud was visiting Shaikh Esau. I remained at a distance until Abdool Aziz arrived on horseback with ten attendants following and four in front, together with a crowd of attending Bedouins. Abdool Azeez is a tall lad and goodlooking. They say his age is more than that which I formerly reported, and he looks like a chief. Abdool Azeez then entered Esa Bin Ali's house; as far as I could learn he, Abdool Azeez, defrays his own expenses. An opportunity offering I will forward to you these notes.

القلم ١٩٤/٢٩٧/١٨٧١م وجمادي الثاني ١٢٨٨/٢٦أغسطس ١٨٧١

نص رسالة من ميرزا ابو القاسم ( الكاتب ) الى المقيم في الخليج .

بعد عودة السفينه المسلحة ( هيوج روز ) الى البحرين قد التحقت بها ، انزل بدورياتي في الجزيره كل يوم لاجمع المعلومات وارجع الى متن السفينه مساء كي أخبر الكابتن ( جوثري ) بما حصلت عليه من المعلومات .

عندما نزلت اليوم على الجزيره كالعادة رأيت حشدا كبيرا حول منزل الراحل علي بن خليفه بالمنامه الذي يسكنه حاليا الرئيس الحالي الشيخ عيسى بن علي .

لقد قمت بتحقيق الامر بما حدث وعلمت بانهم كانوا في انتظار الامير عبدالعزيز بن سعود توصل عبدالعزيز بن سعود بعد قليل وهو يركب حصانا ومعه عدد من الخدم اربعة منهم في الامام وعشرة في الوراء ويرافقه حوالي مائة من البدو . رأيت ان عبدالعزيز بن سعود شابا طويل القامة جميل الوجه يقول الناس انه اكبر سنا مما اخبرتكم عنه سابقا وله شخصية مهابة ورغم صغر سنه تبدو عليه سمات الرئاسه والسيادة .

دخل عبدالعزيز الى منزل الشيخ عيسى بن علي فيما بعد . سمعت ان عبدالعزيز متمتع باكتفاء ذاتي يدفع نفقاته بنفسه . واذا تتاح لي الفرصة سأرسل لكم هذه المذكرات .

---

هو الأمير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل المتوفى ١٩٠١م ، أنا ارلوريمر ٣ / ٤

(١٠)

نص رسالة من ميرزا ابو القاسم (الكاتب) الى المقيم فى الخليج

لأنها تحدث خارج بلاده[١٤] .

وقد تكررت زيارات الامير عبدالعزيز للبحرين فقد زارها في التاسع من شهر جمادى الثانية ١٢٨٨هـ/ ٢٦أغسطس ١٨٧١م فوصف تلك الزيارة (ميرزا أبوالقاسم المنشى) وهو الكاتب لدى المقيم البريطاني في الخليج العربي حين عودة السفينة الحربية (هيوغ روز) الى البحرين. يقول ميرزا المنشى : «قد التحقت بالسفينة (كجاسوس) وكنت كل يوم أنزل على شاطىء البحرين فأجمع المعلومات وأرجع عند غروب الشمس الى السفينة لانقل المعلومات الى القبطان (غوترى). ويستطرد المنشى فيقول : واليوم كالعادة لما نزلت رأيت زحاما حول منزل الراحل الشيخ (على بن خليفة آل خليفة)[١٥] بالمنامة حيث يسكن فيه الحاكم الحالي الشيخ عيسى بن على آل خليفة. لقد قمت بتحقيق الأمر وعلمت بأنه يتوقع زيارة (عبدالعزيز بن سعود) فمكثت على بعد حتى جاء عبدالعزيز راكبا فرسا وحوله عشرة من الخدم، أربعة منهم يسيرون أمامه ومعه جماعة من البدو. كان عبدالعزيز شابا طويل القامة حسن الوجه والمظهر ويقولون بأنه أكبر سنا مما يبدو في مظهره كما أخبرتكم عنه سابقا. وتعكس شخصيته عن نبل الرئاسة. ثم دخل (عبدالعزيز بن سعود) الى منزل الشيخ عيسى بن على آل خليفة. ولحد معرفتي ان عبدالعزيز يدفع نفقاته بنفسه وختم المنشى رسالته بقوله : واذ تتاح لى الفرصة سأرسل لكم هذه المذكرات .

الأمير عبدالعزيز بن سعود والذي زار البحرين في هذا العام وذكره صاحب التقرير ميرزا ابوالقاسم المنشى ليس هو بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود لأن تاريخ الرسالة ١٢٨٨هـ بينما ولد الملك عبدالعزيز سنة ١٢٩٧هـ. كما ان عبدالعزيز بن سعود بن فيصل بن تركي المذكور في الوثيقة قد اسر في الدمام حين غزا الأتراك الاحساء ونجا من الأسر سنة ١٢٨٨هـ ١٨٧١م ثم ذهب الى البحرين في زيارة للشيخ عيسى بن على آل خليفة[١٦] .

ان زيارة الامير عبدالعزيز بن سعود للبحرين واجتماعه مع الشيخ عيسى بن على آل خليفة اثر تولى الشيخ عيسى مشيخة البحرين بعد سنة وبضعة شهور وقبل ان يعود الامير عبدالعزيز الى حايل انما جاءت للتشاور مع شيخ البحرين في الوقت الذي كانت تسود المنطقة الاضطرابات نتيجة للتوسع العثماني

في الاحساء المتاخمة للبحرين .

فان احتلال الاحساء من قبل العثمانيين كان قبل شهرين من قدوم الأمير عبدالعزيز للبحرين واجتماعه بالشيخ عيسى الذي حدث في ٢١ مايو ١٨٧١م/١٢٨٧هـ وكان محتملا ان يتقدم الاتراك العثمانيون نحو البحرين. فربما ان الأمير عبدالعزيز تباحث مع الشيخ عيسى بن على آل خليفة حول اطماع بعض الدول في الاستيلاء على البحرين وان الشيخ طمأنه بأن العثمانيين لن يبذلوا أية محاولة بالنسبة لاحتلال جزر البحرين(١٧).

وفي ديسمبر ١٨٧١م طلب القائم مقام التركي في القطيف الى شيخ البحرين تسليم قاربين كان الامير (سعود) قد قدمهما لبعض أهل البحرين قبل وصول الاتراك الى الاحساء، فوافق شيخ البحرين على اعادتهما له(١٨) .

وممن عاصر الشيخ عيسى بن على آل خليفة هو الامام (عبدالرحمن بن فيصل آل سعود) ويحدثنا كثير ممن كتبوا عنهما سماعا عن الملك عبدالعزيز او عن الشيخ عيسى بن على آل خليفة ومن هؤلاء (محمد المانع) الذي يبلغ من العمر ثمانين عاما أو يزيد وكان مترجما خاصا ومرافقا لجلالة الملك عبدالعزيز منذ سنة ١٩٢٦ ولمدة تسع سنوات وقيل ١٢ سنة ملازما له في حله وترحاله، مرافقا له في حملاته وحروبه ثم كتب كتابا بعنوان «Arabia unified».

ومما قال فيه :

«ان الملك عبدالعزيز كان بمعية والده الامام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود وبعض أفراد أسرة آل سعود لما تركوا الرياض عام ١٨٩٠م/١٣٠٧ ـ ١٣٠٨هـ واتجهوا صوب البحرين أولا حيث استقبلوا بالترحيب من قبل حاكم البحرين عيسى بن على آل خليفة(١٩) .

ويذكر الشيخ حافظ وهبه ان الأمام (عبدالرحمن بن فيصل) حينما ترك بغداد سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م ذهب الى الاحساء وحاول استعادتها فلم يفلح فرحل للرياض ولما توفى أخوه الأمير (سعود) ١٢٩١هـ/١٨٧٤م بايع أهل الرياض الامام (عبدالرحمن بن فيصل) ومضى ذلك نحو سنة ثم اتجه من الرياض الى البحرين(٢٠).

والمعروف ان الأمير (سعودبن فيصل) لم يقتل كما ذكر الاستاذ حافظ وهبة بل توفى اثر اصابته بمرض وقد توفى فى ١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م بعد أن تولى الحكم كأمير من ١٨٧١ م الى ١٨٧٥ م (٢١).

كما أنه لم يذكر متى اتجه الامام عبدالرحمن من الرياض الى البحرين لكن يفهم من سياق الكلام انه اتجه الى البحرين بعد وفاة أخيه الامير سعود سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م. فاذا صح هذا الخبر فان أول زيارة للبحرين (للامام عبدالرحمن بن فيصل) كانت سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م بعد نحو سبع سنوات من تولى الشيخ عيسى بن على الحكم في البحرين قبل ولادة الملك عبدالعزيز بأربع سنوات ولا زال كثير من المعمرين في البحرين، يذكرون هذه الزيارة حيث قدم الامام ومعه احد اتباعه ونزلا ليلا في البحرين فاتجها الى (المحرق) وفي الصباح ذهبا للسلام على الشيخ عيسى بن على آل خليفة(٢٢).

أما الزيارة الثانية فهى التي أشار اليها المانع والتي كانت في ١٨٩٠/١٣٠٧ ـ ١٣٠٨هـ.

وكانت هى الزيارة الاولى لجلالة الملك عبدالعزيز للبحرين بصحبة والده وأسرته. هذه الزيارة تتزامن مع اهتمام الدولة العثمانية بتقوية ادارة سواحل البحرين ونجد والاحساء وتوثيق الروابط بين سكان هذه المنطقة والدولة العثمانية(٢٣). ويستطرد المانع بقوله. وكان الشيخ عيسى مقدرا للامير الشاب عبدالعزيز وله من العمر وقتئذ نحو عشر سنين وظل صديقا ومستشارا ناصحا وأمينا للامير طوال حياته ـ ورغم ان ترحيب الشيخ عيسى بالامام عبدالرحمن آل سعود كان حارا وكريما الا انه لم يكن وقتئذ في موقف تقديم المساعدة لآل سعود في استرداد حكمهم فقرر الامام عبدالرحمن آل سعود مغادرة البلاد وربما نقل معه اسرته وأتباعه واستقر في قطر نحو ستين يوما(٢٤) ثم غادر قطر لأن الظروف لم تساعده لان توفر له قاعدة للانطلاق منها، وقيل ان الامام عبدالرحمن آل سعود مكث قرب الاحساء نحو سبعة أشهر(٢٥). وقد استفاد الملك عبدالعزيز ولا شك من حياة البادية في اطراف الربع الخالي وما فيها من قساوة الصحراء فتعلم كثيرا من مهارات سكانها فكانت دروسا قيمة مما ساعده في حياته المقبلة كثيرا(٢٦).

ويبدو ان الامام (عبدالرحمن بن فيصل) وصل البحرين سنة ١٨٩٠/١٣٠٧ ـ ١٣٠٨م(٢٧) حين قدم من الرياض مع اسرته ثم ترك اسرته في البحرين وذهب الى قطر ليستقر فيها ستين يوما(٢٨) وبعدها خرج الى الربع الخالي فالاحساء حيث لحقت به أسرته فكان بقاء أسرة

محل وجود الوثيقة : ارشيف رئاسة الوزراء

اسم التصنيف : ادارة

القسم : داخلية

الرقم : ٤٦٩٩

التاريخ : ٢٠ جمادى الاول ١٣٠٧

( الوثيقة عبارة عن تذكرة قدمتها دائرة الصدارة الى
سر كاتب شهرياري )

باب العالي
دائرة صدارة

مهردى همايون

حضرة صاحب الدولة

تقدم المضبطة التي نظمها مجلس مخصوص حول تقوية ادارة سواحل البحرين ونجد ولحسا وتوثيق روابط سكان هذه المنطقة بالدولة العلية مع ملفوفاتها للعمل حسب الاوامر التي ستصدر من حضرة خلافتنا هي حول الموضوع .

٣١ كانون اول ٣٠٥

٢٠ جمادى الاول ٣٠٧

صدر اعظم

كامل

( الوثيقة عبارة عن جواب السلطان على التذكرة الصدارة عن طريق
سر كاتب شهرياري )

قدمت تذكرة الصدارة مع ضبطة مجلس وكلاء واورق اخرى ملفوفة فيها الى مقام الشاهنشاهية حيث صدرت ارادته السنية في ذيل ضبطة المذكورة واعيدت جميع الاوراق .

الامر والفرمان لمن له الامر

١١ جمادى الاخرة ٣٠٧

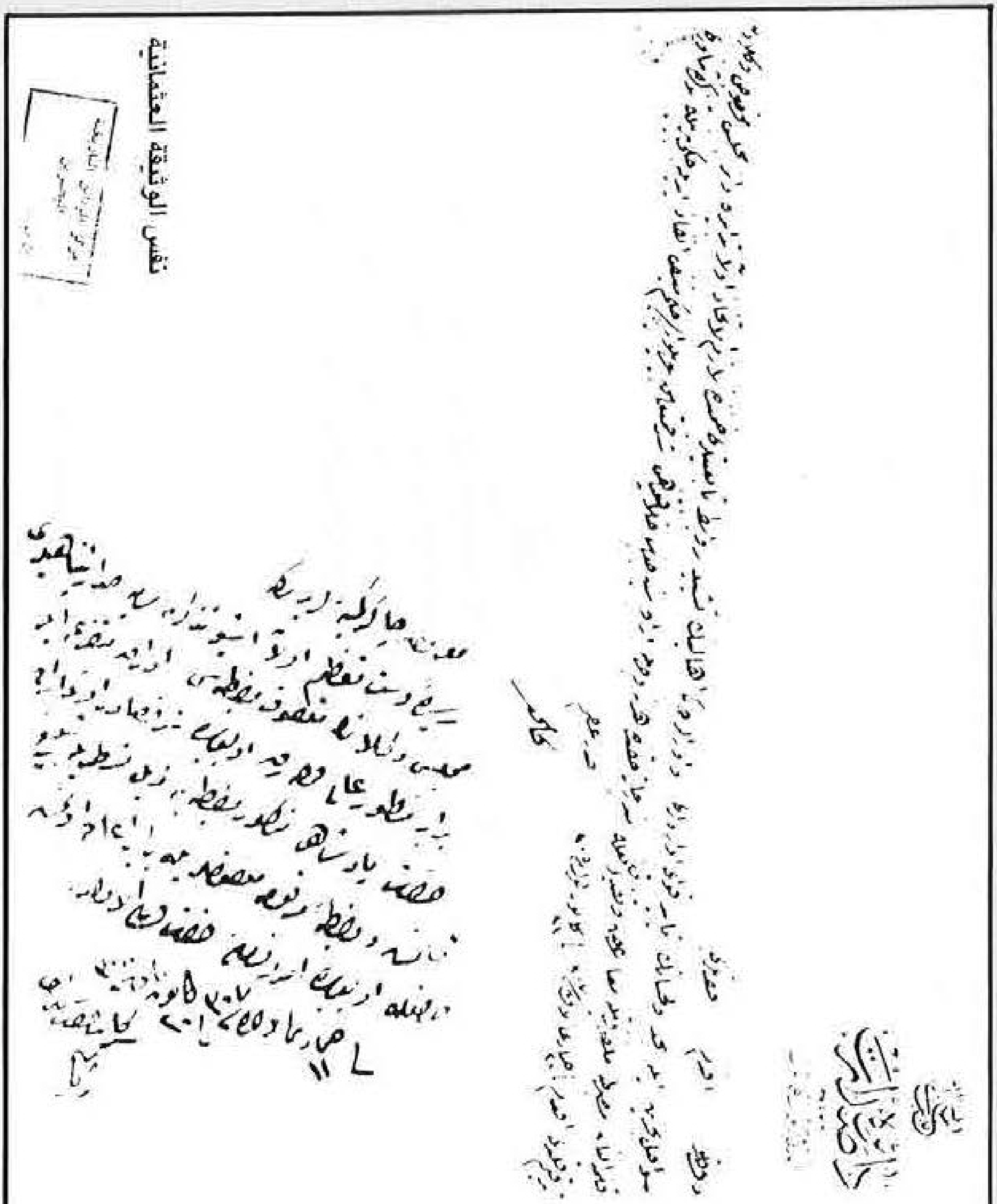
٢٠ كانون الثاني ٣٠٥

سر كاتب شهرياري

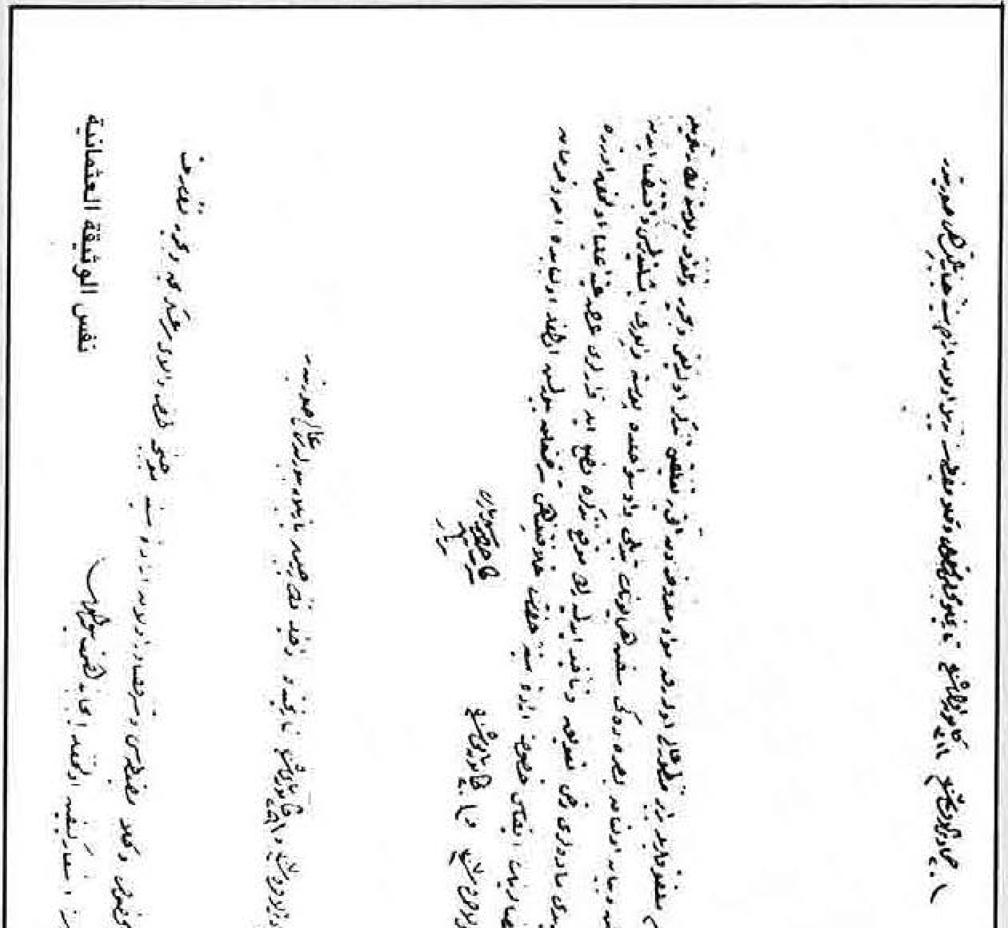
ثريا



**وثيقة عثمانية مؤرخة في ١٣٠٧ هـ حول تقوية روابط سكان سواحل البحرين ونجد والاحساء بالدولة العثمانية**



نص الوثيقة العثمانية



نص الوثيقة العثمانية

آل سعود في البحرين من ١٨٩٠م/١٣٠٨هـ الى جمادي الأولى ١٣٠٩هـ/نوفمبر ١٨٩٢م(٢٩) اما فيلبي فيقرر ان الامام عبدالرحمن اسكن عائلته في البحرين بعد يناير ١٨٩١م ويبدو ان عائلة الامام عبدالرحمن ومنهم الملك عبدالعزيز بقوا في البحرين اكثر من سنة (٣٠) لأن الامام عبدالرحمن عاش في قطر في الفترة من شهر صفر الى شهر جمادي الأولى من عام ١٣٠٩هـ الموافق من شهر اغسطس الى نوفمبر ١٨٩٢، وكان قد ترك أسرته في البحرين في ١٨٩٠م ثم لحقت به الاسرة السعودية في الاحساء حيث ظل مقيما في الاحساء فترة قصيرة ثم ترك الاحساء ١٣٠٩هـ ليستقر في الكويت.

## زيارة الملك عبدالعزيز للبحرين عام ١٩٣٠م :

وجهت دعوة الى جلالة الملك عبدالعزيز للاجتماع مع الملك فيصل الاول ملك العراق بهدف دعم العلاقات الودية بين الدولتين الشقيقتين. فوافق الملك عبدالعزيز على الدعوة واتجه الى (رأس تنوره) ومن هناك استقل سفينة تابعة لشركة الاتصالات السلكية (باتريك ستيوارت) وكان بمعيته كاتبه ومترجمه الذي كتب يقول : وبينما وصل الملك فيصل على ظهر سفينة اخرى تسمى نيركس Nearchus ثم وصل القنصل العام همفرى على سفينة شراعية تسمى (لوبين) وعقد الاجتماع في ٢٧ فبراير ١٩٣٠م الموافق ٢١ رمضان ١٣٤٨هـ(٣١) وذلك على متن سفينة الشركة كما أورد ذلك (المانع) الذي كان على ظهر السفينة يكتب ويترجم للمجتمعين لا كما ذكر (حافظ وهبه) و(أمين سعيد) اللذان ذكرا ان الاجتماع حدث على ظهر السفينة لوبين(٣٢). وبذا قام السعوديون بدور المستضيف وقد صدرت رسالة من القبطان (سي جي برايور) المعتمد في البحرين الى المقيم في الخليج وفيها ان الملك عبدالعزيز وصل الى البحرين في ٢٥ فبراير وانه غادر الى العقير في اليوم نفسه(٣٣).

وهنا يبدو ان رسائل أو ما يسمى اليوم وثائق ليس من الدقة بمكان بحيث ان تريفور اعطى تاريخا يسبق تاريخ الاجتماع وجعله تاريخ عودة الملك عن طريق البحرين الى العقير لذا فنحن نعتمد التاريخ الذي ذكره المانع لانه المترجم والكاتب الذي دون محضر الاجتماع ثم نشره في كتابه. وبعد ان تمت الاجتماعات حيث عقدت

ثلاثة لقاءات اعرب فيها الملكان عن الصداقة وحسن النية نحو بعضهما البعض. ثم غادر جلالة الملك عبدالعزيز الى الاحساء وفي طريقه قرر زيارة صديقه القديم الشيخ عيسى بن على آل خليفة حاكم البحرين وكان دائما متعاطفا مع طموحات الملك، فأمر الملك قبطان السفينة ان يتوجه الى المنامة في البحرين ويقول الاستاذ المانع وهو خير من يعتمد عليه في نقل هذه الاخبار لأنه شاهد عيان فهو في صحبة الملك عبدالعزيز : «لقد أمرني جلالة الملك ان أبعث برقيتين احداهما الى الشيخ عيسى بن على في البحرين والثانية الى القنصل البريطاني همفرى اشعارا له برغبة الملك في زيارة الشيخ عيسى بن على آل خليفة في البحرين ولكنه تلقى ردا من القنصل البريطاني في منتصف الليل والسفينة على وشك الارساء في البحرين وجاء في رد القنصل البريطاني بأن الشيخ عيسى بن على مريض وليس هو الان في المنامة لذا لا يمكن ان يرحب بصاحب الجلالة كما نصح المقيم البريطانى الملك بعدم القيام بالزيارة وفى الوقت نفسه أبلغ المقيم الشيخ حمد بأن الملك الغى زيارته.(٢٤).

اضطر جلالة الملك عبدالعزيز على كره ان يبقى على ظهر السفينة ثم يغادر في وقت لاحق الى العقير، لكن البرقية المزعومة من القنصل البريطاني كانت كاذبة. ففي الصباح الباكر عندما سمع أبناء الشيخ عيسى بأن الملك لا ينوي النزول في الميناء بل يبقى على ظهر السفينة جاءوا جماعة في مراكب صغيرة والتمسوا من جلالة الملك النزول في الميناء حيث ينتظره أبوهم. لقد قالوا لصاحب الجلالة : «اما تنزل وتجتمع مع والدنا والا نحن نسافر معك الى الرياض انهم كانوا مصرين على ذلك فوافق الملك على النزول لكنه قال بالتأكيد لا أريد ان أزور القنصل البريطاني في البحرين. لقد غضب الملك من حيلة القنصل على الرغم من تفهمه السبب الذي كان وراء الاحتيال(٢٥). ويصف القبطان (برايور) المعتمد في البحرين الاستقبال الرائع الذي استقبل به الملك عبدالعزيز في البحرين من قبل نحو خمسة الاف شخص معظمهم من العرب وخاصة من النجديين حتى ان حرس الشرف شاركوا الجماهير في الاستقبال. ودخل الملك في السيارة بصعوبة واتجه الى القصر حيث رحب به الشيخ عيسى وابتهج بلقاء الضيف الكريم بعد عدة سنوات مرت منذ لقائهما الأخير ومما قال الشيخ عيسى لضيفه الملك انني كنت خائفا أن أموت

دون أن أراك ثانية لكني الآن سأموت وأنا مطمئن ومرتاح البال بعد ان تشرفت بلقائك وأنت في هذا الشرف والعز. فأجابه ابن سعود قائلا : لقد توفي والدي وليس هناك من استشيره عداك[٣٦] .

ودار حوار بينهما لعدة ساعات تضمن طرح المشكلات التي واجهها الملك وأعرب عن رغبته في انشاء مملكة موحدة حيث يعيش فيها الجميع بأمان ورخاء ثم تناول جلالة الملك العشاء مع الشيخ عيسى وأسرته وبعد قليل قام الملك والشيخ حمد بزيارة لمدينة الرفاع ويصحبتهما مندوب الملك في البحرين وهو القصيبي وعند مغادرة جلالة الملك رافقه الشيخ حمدبن الشيخ عيسى آل خليفة لتوديعه على شاطيء الزلاق) . لقد كان الشيخ حمد رجلا وشيخا بحق. وقد عرض عليه جلالة الملك ان يؤدي فريضة الحج اذ قال جلالته في آخر كلمة له وهو يودعه : «لن أرضى حتى أراك في مكة»[٣٧]. ولبى الشيخ حمد دعوة الملك عبدالعزيز فحج سنة ١٣٥٧هـ وذلك عن طريق البحر .

ومما كتبه القبطان (برايور) من البحرين الى المقيم في الخليج ان برقية وردت من المقيم بعدم الموافقة على الزيارة وأبلغ الشيخ حمد بأن الملك الغى زيارته لكن لم يلبث الشيخ حمد الا ان كان على ظهر سفينة (باتريك ستيورات) التي كان يستقلها الملك وحاشيته وذلك في الصباح الباكر دون ان يخبر المعتمد السياسي او المستشار في البحرين. ويستطرد القبطان برايور بقوله : «ان ابن سعود ذو تأثير قوي على شخصية الشيخ حمد كالتأثير القوي للقيصر الالماني على الحكام في عهده[٣٨] .

ان وجهة نظر القبطان (برايور) هذه ليست بالأمر الغريب فهو كغربي لا يدرك عادات العرب وخاصة بين أولئك الذين تربطهم روابط القربى والصداقة والمصير المشترك ويرى ذلك الاستقبال الرائع اكثر من رسمي كما هو العادة عند الغربيين .

لم ينس جلالة الملك عبدالعزيز البرقية الكاذبة التي وجهها (المقيم) او القنصل في البحرين وفي العام التالي سنحت للملك الفرصة ليرد بالمثل اذ جاء له طلب الحكومة البريطانية عن طريق سفيرها في جدة لاصدار تصريح لكل من الاميرة الس وايرل ارثلون Earl of Arthlone & Princess Alice لزيارة جلالة الملك ومرورهما عبر الجزيرة العربية من جدة الى العقير، وهنا رفض الملك ويستطرد الاستاذ المانع بقوله : وأمرني بارسال

برقية جوابية تتضمن الرفض(٣٩)، مما أشعر بريطانيا بأن سبب الرفض هو موقف المقيم البريطاني من زيارة الملك للبحرين فعالجت الموقف بالاعتذار لما بدر من المقيم وتحقق للانجليز ضرورة احترام شخصية جلالته(٤٠).

وجدير بالذكر ان القبطان (برايور) كتب الى المقيم في الخليج عن نتائج زيارة الملك عبدالعزيز للبحرين بأنها شجعت الوعي الوطني وكشفت ضعف السيطرة البريطانية على البحرين بكل وضوح(٤١). وكان جلالته على اتصال بما يجري في البحرين من تطورات اقتصادية فقد أرسل جلالته رسالة مؤرخة في ٨ شعبان ١٣٥٠/١٩٣٠م الى فرنك هولمز مدير شركة النفط فى البحرين يبدى اهتمامه بالأعمال التى تقوم بها شركة استخراج النفط فى البحرين ويبدو أن مدير الشركة قد أرسل رسالة يريد مقابلة جلالة الملك الذى رحب به على أن يحدد موعد المقابلة فى وقت لاحق . وربما تكون المقابلة فى الاحساء حين زيارة جلالته الى هناك .

وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد ٤٤ ـ ١ ـ ٢٤

الرياض فى ٨ شعبان سنة ١٣٥٠

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى حضرة البارع فرنك هولمز ـ المحترم أما بعد فقد تلقينا كتابكم المؤرخ فى ١ ديسمبر ١٩٣١ م ، وأحطنا علما بما ذكرتم وأنا نشكركم على ما أبديتموه من حسن وفائكم بصداقتكم واهتمامكم باطلاعنا على ما تقومون به من الأعمال وقد طالعنا باهتمام أخبار أعمالكم العظيمة التى تقومون بها لاستخراج النفط فى البحرين ونتمنى أن تكلل أعمالكم بالنجاح . أما من قبل رغبتكم فى مقابلتنا فنحن نحب ذلك ولكن ما ندرى ان كنا نتمكن من القدوم للاحساء لتقابلونا فيها أو لا نتمكن وعلى كل حال سننظر فى الفرصة المناسبة لذلك . واقبلوا احترامنا الفائق (٤٢)

## التعاون بين البحرين والمملكة في المجال الصحي :

تشير الوثائق المرفقة صورها عن تعاون صحي كما تذكر انتشار بعض الامراض في بعض القرى ففي الوثيقة المؤرخة عام ١٣٣٥/٢٤ جون ١٩١٧م(٤٣) طلب جلالة الملك عبدالعزيز حضور بعض الاطباء الحاذقين للكشف عن أسباب ظهور هذه الامراض ومنع انتشارها. كما يذكر جلالته عن موافقته على طلب

مدير شركة النفط في البحرين يبدي اهتمامه بالاعمال التي تقوم بها شركة استخراج النفط في البحرين ويبدو أن مدير الشركة قد أرسل رسالة يريد مقابلة جلالة الملك الذي رحب بعطى أن يحدد موعد المقابلة في وقت لاحق . وربما تكون المقابلة في الاحساء حين زيارة جلالته الى هناك .

وهذا نص الرسالــــة :

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد ٤٤ - ١ - ٢٤

الرياض في ٨ شعبان سنة ١٣٥٠

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة الهارع فرنك هولمز ـ المحترم أما بعد فقد تلقينا كتابكم المؤرخ في ١ ديسمبر ١٩٣١م ،وأحطنا علما بما ذكرتم واننا نشكركم على ما أبديتموه من حسن وفائكم بصداقتكم واهتمامكم باطلاعنا على ماتقومون به من الاعمال وقد طالعنا باهتمام أخبار أعمالكم العظيمة التي تقومون بها لاستخراج النفط في البحرين ونتمنى أن تكلــل أعمالكم بالنجاح . أما من قبل رغبتكم في مقابلتنا فنحن نحب ذلك ولكــن مانرى أن كنا نتمكن من القدوم للاحساء لتقابلون فيها أو لا نتمكن وعلى كل حال سننتظر فى الفرصة المناسبة لذلك . واقبلوا احترامنا الفائق "

---

رسالة مؤرخة في ٨ شعبان ١٣٥٠ هـ تؤكد اهتمام جلالة الملك عبدالعزيز باستخراج النفط في البحرين منذ ١٩٣٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد ٤٤ - ١ - ٢٤

الرياض في ٨ شعبان سنة ١٣٥٠

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى حضرة البارع فرنك هولمز - المحترم

أما بعد فقد تلقينا كتابكم المؤرخ في ١ دسمبر ١٩٣١م ، وأحطنا علما بما ذكرتم وانا نشكركم على ما أبديتموه من حسن وفائكم بصداقتكم واهتمامكم باطلاعنا على ما تقومون به من الاعمال وقد طالعنا باهتمام أخبار أعمالكم العظيمة التي تقومون بها لاستخراج النفط في البحرين ونتمنى أن تكلل أعمالكم بالنجاح . أما من قبل رغبتكم في مقابلتنا فنحن نحب ذلك ولكن ما ندري أن كنا نتمكن من القدوم للاحساء لتقابلون فيها أو لا نتمكن وعلى كل حال سننظر في الفرصة المناسبة لذلك . واقبلوا احترامنا الفائق .

From, H. E. Shaikh Sir Abdul Aziz bin Abdur Rahman al Faisal as Saud K.C.I.E. Ruler of Najd

To. Captain P. G. Loch, I.B.R. Political Agent, Bahrain

Dt 4th Ramadhan 1335 / 24th June 1917.

بسم الله الرحيم

[illegible]

Translated [illegible] 10/7/17

After Compliments,

In these days some of the usual diseases have broken out in some of the villages and the outbreaks for which I desire the presence of an expert doctor in order to examine the cases of the outbreak and to adopt measures to prevent their spread.

I have herewith sent you enclosed a letter for the American Doctor who is at Bahrain and [illegible] wishing since sometime to say that he has been [illegible]. I have informed the Amir? to come to our side.

الوثيقة رقم ١٢٢٥/١٩٢ مؤرخة في ٤ رمضان ١٣٣٥هـ الموافق ٢٤ يونيو / حزيران ١٩١٧م

من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الى قنصل بريطانيا في البحرين .

وفيها يطلب جلالته ارسال طبيب حاذق لعلاج المرضى في بعض القرى [illegible] كما يستجيب

[illegible]

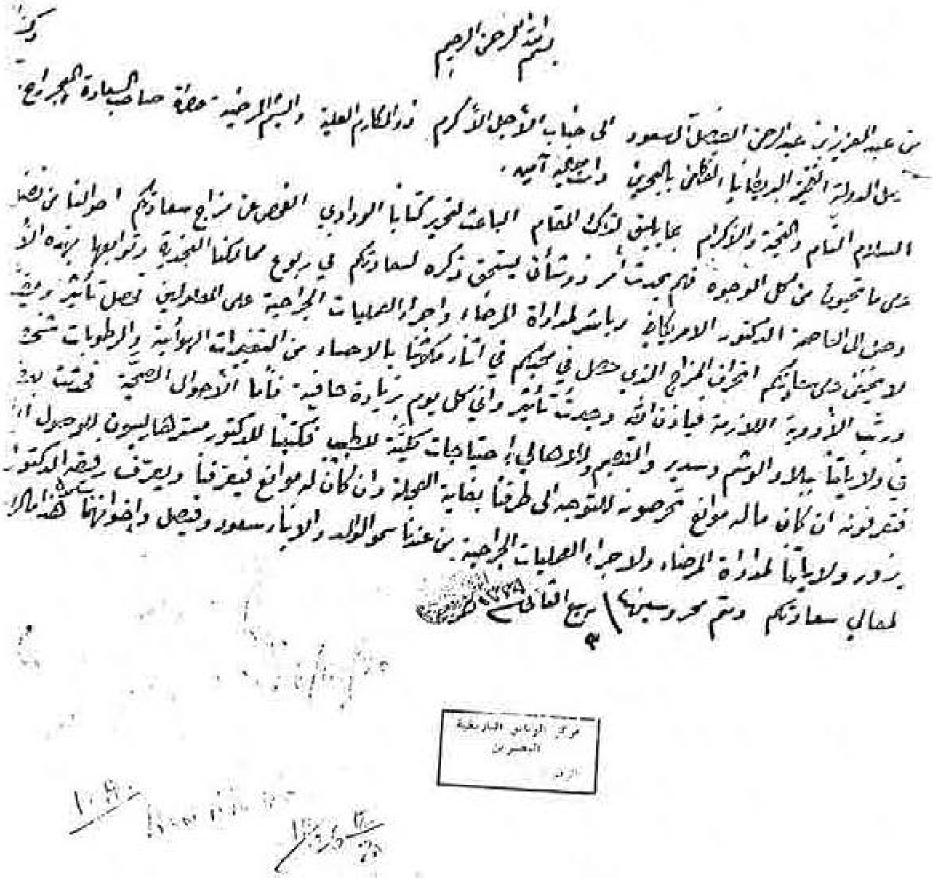
الرسالة التى أرسلها جلالة الملك عبدالعزيز الى قنصل بريطانيا فى البحرين طالبا ارسال طبيب

الطبيب الامريكاني في البحرين والذي رغب في زيارة المملكة ويحتمل ان يكون هو الدكتور (هاريسون) وقد طلب الملك من أمير الاحساء تسهيل قدومه الى نجد. وتشير رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز بتاريخ ٣ ربيع الثاني ١٣٣٩/٢٦ ديسمبر ١٩١٩م الى وصول الطبيب الامريكاني من البحرين وأنه باشر المداواة للمرضى واجراء العمليات الجراحية على المعلولين فحصل منه تأثير ونفع كثير. كما ان انحراف صحة جلالته بسبب مكوثه في الاحساء وتغير الهواء وزيادة الرطوبة تم علاجه وشفاؤه فكتب يشيد بعناية الله واهتمام الطبيب هاريسون بالعلاج اللازم حتى عافاه الله كما ان الرسالة تخبر عن الاحوال الصحية في بلاد الوشم وسدير والقصيم وحاجة أهاليها للطبيب وقد أرسل جلالته في طلب حضور الطبيب هاريسون بأسرع وقت ممكن وان تعذر حضوره فليخبر رفيقه الدكتور الاخر لزيارة ومداواة المرضى واجراء العمليات الجراحية. ويلاحظ ان جلالة الملك يكتب الى القنصل البريطاني في البحرين حين يطلب اطباء لعلاج المرضى في بلاده لأن هؤلاء الاطباء من الامريكيين فهم من الاجانب وتكون المخاطبة بشأنهم مع القنصل البريطاني وقد أوضحت الرسالة ان الامام عبدالرحمن كان على قيد الحياة(٤٤) وهناك وثيقة أرخت وفاة الامام عبدالرحمن عام ١٩٢٨(٤٥).

## زيارة الامير سعود في ١٥ ديسمبر ١٩٣٧ الموافق ١٠ شوال ١٣٥٦هـ:

كانت هذه الزيارة في عهد الشيخ حمدبن عيسى بن على آل خليفة ويصف الوكيل السياسي في البحرين زيارة الأمير سعود الى المنامة فقد رحب به لدى وصول سفينته كل من الشيخ (محمدبن عيسى آل خليفة) وكذلك الابن الاكبر وهو الشيخ (سلمان) مع بعض افراد الاسرة الحاكمة وحوالي اربعين من التابعين الذين رافقوا الامير الضيف الى سمو الشيخ (حمد) الذي كان في انتظاره مع المعتمد السياسي وضباط ادارة البحرين وذلك حين نزول الامير من سفينته وكانت ترتيبات الاستقبال حسنة للغاية في الميناء وكان حشد كبير من المستقبلين خارج الميناء ليشهدوا موكبه وقد نزل الامير في قصر المنامة وحضر حفلة عشاء أقامها صاحب السمو الشيخ حمد(٤٦).

هذه الزيارة لم تكن لها أهمية سياسية في نظر المعتمد السياسي لذا لم يكن لديه اعتراض عليها خاصة


بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى جناب الأجل الأكرم ذو المكارم العلية والشيم المرضية حضرة صاحب السعادة الجنرال [illegible] الدولة الفخيمة البريطانية القائم بالبحرين دامت محبته آمين

السلام التام والتحية والإكرام بما يليق لذلك المقام الباعث لتحرير كتابنا الودادي الفحص عن مزاج سعادتكم أحوالنا من فضل [illegible] ما تحبونا من كل الوجوه ثم بعدت أمر ذو شأن يستحق ذكره لسعادتكم في رجوع [illegible] النجدية [illegible] بهذه الأ[illegible] وصل الى [illegible] الدكتور الامريكاني [illegible] بمداواة المرضى واجرا العمليات الجراحية على المعلولين وحصل تأثير [illegible] لا يخفى على سعادتكم انحراف المزاج الذي حصل في جسمكم في [illegible] بالاحساء من [illegible] الهوائية والرطوبات [illegible] ومن الأدوية اللازمة فبإذن الله وجدت تأثير وفي كل يوم زيادة عافية. فأما الأحوال الصحية [illegible] في ولايتنا [illegible] احتياجات كلية للطب فكتبنا للدكتور مستر هاريسون بالوصول [illegible] فتعرفونه ان كان ما له موانع ترخصونه للتوجه الى طرفنا بغاية العجلة وان كان له موانع فتعرفنا [illegible] الدكتور [illegible] ولايتنا لمداواة المرضى ولاجراء العمليات الجراحية من عندنا سمو الولد والابنا سعود وفيصل واخوانهما [illegible] لمعالي سعادتكم وختم ٣ ربيع الثاني ١٣٣٨

مركز الوثائق التاريخية
البحرين

وثيقة ٤ /١٣٣٨/١٥ ـ ٢ ـ ٤٧ مؤرخة في ٣ ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ الموافق ٢٦ ديسمبر ١٩١٩ م من الملك عبدالعزيز الى قنصل بريطانيا في البحرين وفيها يخبره عن وصول الطبيب الامريكاني ومباشرته علاج المرضى ويطلب جلالته ان يتوجه الدكتور هاريسون الى هناك . ويلاحظ ان الملك عبدالعزيز يوجه رسالته هذه الى القنصل البريطاني بخصوص طلب الاطباء الامريكيين لانهم اجانب وتكون المخاطبة بشأنهم مع القنصل البريطاني في البحرين .

بعد ان استشار المستشار بلكريف وعلم ان الشيخ حمد شديد الرغبة في تحقيقها[٤٧] وسبق ان ارسل المقيم برقية الى وزارة الخارجية البريطانية في لندن للحصول على الموافقة لزيارة الامير سعود للبحرين فتمت الموافقة على الزيارة على شرط ان يحضر المعتمد السياسي في البحرين الاستقبال وجميع الحفلات كما يقيم للامير حفلة في مقر الوكالة البريطانية بالبحرين[٤٨] .

## زيارة الملك عبدالعزيز الى البحرين فى ٢ مايو ١٩٣٩:

وكان يرافق الملك كل من الامير سعود والامير فيصل وافراد من الاسرة السعودية وقد كان الملك مسرورا لحفاوة الاستقبال ودامت زيارته سبعة ايام حيث غادر البحرين فى السابع من مايو ويصف المعتمد السياسى فى البحرين تلك الزيارة وما دار بين الشيخ حمد آل خليفة وبين جلالة الملك من مباحثات[٤٩].

واعتاد شيوخ البحرين ان يسلموا على جلالة الملك عبدالعزيز حين يزور المنطقة الشرقية فقد اتجه الشيخ حمد بن عيسى بن على آل خليفة الى الظهران حيث استقبله جلالة الملك هناك وكان الهدف من هذه الزيارة هو توجيه الدعوة لجلالته فقبلها جلالته [٥٠] كما قدم الشيخ حمد للملك سيف الامير تركي بن عبدالله المتوفى ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٤م ويسمى السيف الذى قدمه (بالسيف الاجرب) فما كان من الملك عبدالعزيز الا ان قال (هذه ذكرى منا عندكم فابقوه لديكم) وكان هذا السيف قد سبق وان اهداه الامير سعود بن فيصل بن تركى حين زار البحرين اذ قدمه الى الشيخ عيسى بن على حينما كاتب الشيخ على بن خليفة آل خليفة فى انه يرغب ان يقدم للبحرين فقال له الشيخ على آل خليفة (حياك الله) ولما توفى الشيخ على بن خليفة خلفه ابنه الشيخ عيسى كتب له سعود يخبره بان له اتصالا بوالده فجاء للبحرين واستقبله الشيخ عيسى بن على بالاكرام وطلب منه المساعدة فساعده الشيخ عيسى بن على فقدم له سيف جده (السيف الاجرب) وكان ذلك فى السنوات الاولى من حكم الشيخ عيسى.

وشهدت الفترة ما بين سنة ١٣٤٥هـ وما بعدها فترة من العلاقات الطيبة التى تدل عليها الرسائل المتبادلة بين الملك عبدالعزيز والشيخ عيسى بن على وابنه الشيخ حمد من بعده لابل وحتى مع بعض أفراد الاسرة ووجهاء البحرين. لقد حوت

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل الى جناب الاجل الامجد الافخم بهي الشيم الوالد المكرم الشيخ عيسى بن علي آل خليفه المحترم سلمه الله تعالى وادام بقاه

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السوال عن شريف خاطركم العاطر لازلتم بكمال الصحه والبهجه والسرور احوالنا من كرم الباري جل وعلى بخير منه وانعام جعلنا الله واياكم شاكرين كتابكم المكرم وصل وما عرف حضرتكم كان لدي ابنكم معلوم خصوصا التهنيه بالعيد الشريف اعاده الله علينا وعليكم اعواما عديده وجعل الجميع حائزين الثواب الجزيل والجائزه الحميده بمنه وكرمه من قبل اخبارنا من فضل الله قسركم من كل جهه العدو من كرم المولى حاصرين المسلمين اشد الحصار وخذلانه وعجزه ظاهر وقريبا انشاء الله تعالى يجيكم منا الخبر السار هذا ما لزم تعريفه مع ابلاغ السلام الاولاد الكرام ومن هنا الاخوه والاولاد ينهونه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



صورة رسالة من جلالة الملك عبدالعزيز للشيخ عيسى بن على ال خليفة وفيها تبادل الأخبار بين العاهلين

كثير من الرسائل التطورات السياسية والحربية فى نجد والحجاز وغيرهما من المناطق التى جرت فيها المعارك وكان الملك عبدالعزيز يخبر الشيخ عيسى بن على آل خليفة اولا باول عن الاحداث وبشكل تفصيلى حتى ان تلك الرسائل (تعتبر سجلا تاريخيا لاغبار عليه خاصة وانها كتبت فى نفس الوقت الذى حدثت فيه الاحداث التاريخية وختمت بختم جلالة الملك عبدالعزيز.

## العلاقات السياسية بين البحرين والمملكة فى عهد الملك عبدالعزيز:

ان الباحث فى الوثائق سواء (المراسلات او التقارير) التى تلقى الضوء على تلك العلاقات فى عهد الملك عبدالعزيز يجد أنها كانت ترسل من والى وزارة الخارجية البريطانية عن طريق (البحرين) و (بوشهر) و (مكتب الهند) وكان المعتمد السياسى فى البحرين هو همزة الوصل بين الحكومة البريطانية والملك عبدالعزيز وذلك لعدم وجود معتمد او مقيم سياسى لحكومة الهند فى شرقى الجزيرة العربية.[٥١] كما ان ما كتب من وثائق يمثل وجهة النظر البريطانية. وسوف نستعرض تلك الوثائق والتقارير مع مقارنتها بما كتبه المعاصرون للاحداث من المؤرخين العرب فى كتبهم او رسائل الملك عبدالعزيز ووالده الامام عبدالرحمن او الرسائل التى ترسل الى الملك من شيوخ البحرين او من غيرهم. وقد خرجنا بنتيجة وهى: ان طابع العلاقات بين آل سعود وآل خليفة فى عهد الملك عبدالعزيز ووالده يتسم بالوفاء والمحبة والمجاملة التى تتمثل فى الرسائل المتبادلة بين حكام البحرين وهم الشيخ عيسى بن على آل خليفة وابنه الشيخ حمد وحفيده الشيخ سلمان وبين الملك عبدالعزيز ووالده، ولم نعثر على رسالة او وثيقة او تقرير يخالف ذلك حتى بين الوثائق البريطانية.

كما ان الزيارات بين الملك ووالده وبين آل خليفة كانت تمليها ظروف سياسية واقتصادية تحتاج الى التشاور وتنسيق العمل بين العاهلين العربيين، ومثلها الرسائل التى تتسم بطابع الاخوة والتعاون والتشاور واستعراض الاحداث التى تحدث فى نجد والحجاز وعسير وبشىء من التفصيل[٥٢]

فقد ارسل الامام عبدالرحمن والملك عبدالعزيز الى الشيخ عيسى رسائل وكان الملك يعنونها بقوله: (من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب الاجل الامجد الافخم بهى

الشيم حضرة المكرم الوالد الشيخ عيسى بن على آل خليفة المحترم سلمه الله تعالى آمين) وهكذا وضعه بمنزلة والده ومستشاره. فلقد ارسل الملك رسولا الى البحرين فى ٨ مايو ١٩١٢م/ جمادى الاخرة ١٣٣١ هـ. ثم عثرنا على رسالة مؤرخة فى ٨ رجب ١٣٣١هـ. وفيها يخبر الملك عبدالعزيز الشيخ عيسى بانتصاره على العسكر الذى هاجم العقير. فان الرسول قد جاء للتشاور مع الشيخ عيسى واستعراض الوضع واتخاذ الخطوات اللازمة لضم المنطقة الشرقية.

وحين دراستنا للزيارات التى قام بها الملك عبدالعزيز للبحرين وجدنا ان هناك اهدافا سياسية تقتضى التشاور مع (الوالد) وكان الهدف من ذلك هو استقلال البلدين الشقيقين والجارتين العربيتين ومحاولة عدم التدخل الاجنبى فى شئونهما الداخلية وترك امور الرعية لحكامهما، ولكن الوكيل (او المقيم) البريطانى فى البحرين كان يرى فى زيارات الملك عبدالعزيز خطرا على المصالح البريطانية فى البحرين لذا كان المقيم يسعى الى تحقيق هدفين هما:

اولا: الهيمنة على البحرين بفرض سياسة التدخل فى شئونها الداخلية والاستفادة من خيرات البلاد ومن موقعها الجغرافى والاستراتيجى.

ثانيا: ادخال اكبر عدد ممكن من الموظفين البريطانيين فى الادارة والمحاكم والجمارك.

وكانت العلاقات بين الامير عبدالعزيز وشيخ البحرين طبيعية وليس فيها ما يلفت النظر حتى بداية الحرب العالمية الاولى

وذكر فيلبى ان الامير عبدالعزيز حصل على تسهيلات لشراء ما يحتاج من الذخائر الحربية من البحرين[٥٣] وفى الثامن من شهر مايو ١٩١٣م استولى الأمير عبدالعزيز على الهفوف عاصمة الاحساء فانسحبت المفرزة التركية الى جامع الامام ابراهيم باشا ثم استسلمت فأرسل الامير عبدالعزيز اسرى الترك الى الساحل بأمان. وقد ذهب المقيم البريطانى فى البحرين لزيارة ابن سعود فى (العقير) ليقدم احتراماته له بعد دخوله الاحساء ثم واصل ابن سعود تقدمه للقطيف والعقير فتقهقر الترك الى البحرين وهناك وصلتهم امدادات جديدة فحملوا على ابن سعود فى العقير فهزمهم شر هزيمة.

واستقر الوضع بين البحرين والملكة مما لم يحقق للمقيم

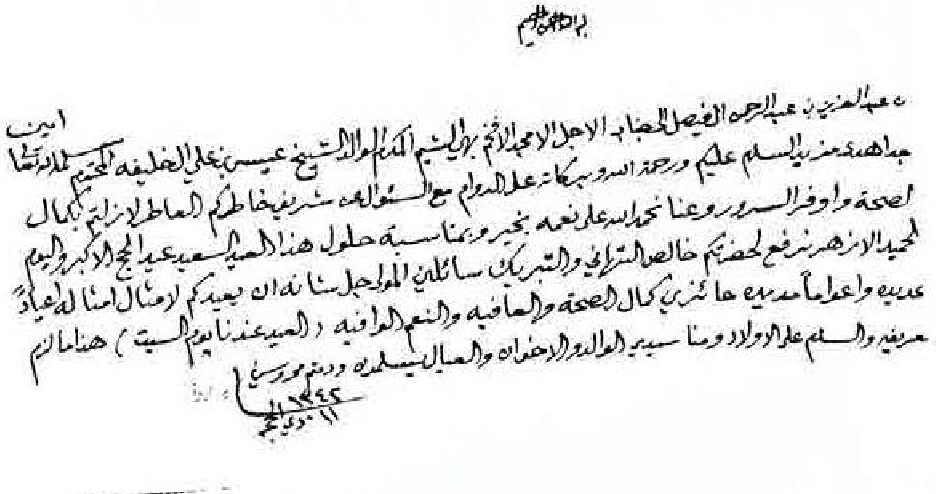

مركز الوثائق التاريخية
البحرين
الرقم: ١٨

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى جناب الاكرم الافخم الاخ الاكرم الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفه المحترم دام بقاه امين
بعد اهدى مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام والسؤال عن تلك الذات البهيه والاخلاق الرضيه
عنا ولله الحمد والمنه طيبين وللوازم المحبة والصداقة مراعين واحوالنا من كرم الله جميله تسركم من كل [illegible]
لدينا كتابكم رقيم ٥ جماد الثاني سرنا سلامتكم وما ذكرتم صار لدى المحب معلوم خصوصاً اشتراك جنابكم معنا
بالسرور بما من الله به علينا من الانتصار على العسكر الذي هاجم العقير ورد الله كيدهم بنحورهم [illegible]
الحمد لله رب العالمين والباري تعالى يبقي لنا حياة جميعكم ولا يبعد عنا شفقتكم [illegible]
والتصال اخبار سلامتكم والسلام على الوالد [illegible] والسلام

وثيقة رقم ١٨/١٣٣١ مؤرخة في ٨ رجب ١٣٣١ هـ الموافق ١٣ يونيو (حزيران) ١٩١٣ م من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الى الشيخ عبدالله بن عيسى ال خليفة . (وفيها تبادل اخبار الانتصارات في العقير) .

البريطاني ما يصبو اليـه من اهداف التفرقة وتطبيق سياسة (فرق تسـد) فاستغل المقيم موقف الشيخ عيسى بن على آل خليفة الذى كان وفيا فى ولائه محسنا ظنه بالسياسـة ظنا منـه ان بـريطانيـا لاتريـد اكثر من نشـاطها التجارى فوقف موقف المخلص الامين للاتفاقيات ولم يحنث بالعهد، حتى انه رفض مساعدة العثمانيين له على لسان (مـدحت بـاشـا) وقـال له: (حسبى وبـريطانيـا صديقـة وحليفـة) كمـا فاوضته (المـانيا) بـواسطة مقيمهـا التجارى فى البحرين فكان جوابه: (لا أعاون عليها احدا) [٥٤] بالاضافة الى



بسم الله الرحمن الرحيم

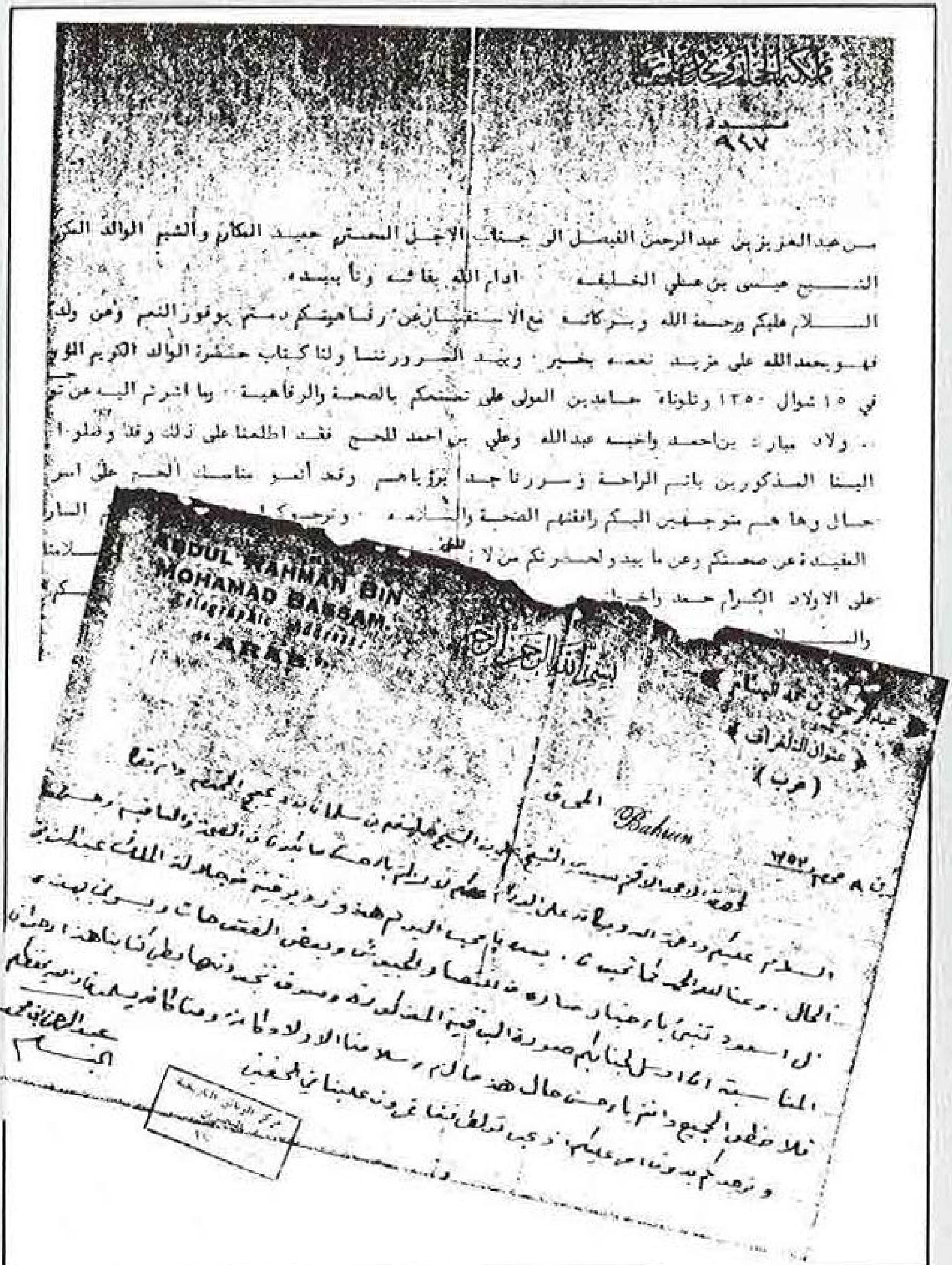
من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاجل الامجد الافخم ابن اخينا المكرم الشيخ عيسى بن علي الخليفه المحترم سلمه الله تعالى آمين

بعد اهدى مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لا زلتم بكمال الصحة واوفر السرور وعنا نحمد الله على نعمه بخير ومناسبة حلول هذا العيد السعيد عيد الحج الاكبر واليوم المجيد الازهر نرفع لحضرتكم خالص التهاني والتبريك سائلين المولى جل شانه ان يعيده لامثالنا وامثالكم اعواماً عديده واعواماً مديده حائزين كمال الصحة والعافيه والنعم الوافيه (العيد عندنا يوم السبت) هذا ما لزم عرفنا والسلام على الاولاد ومنا سيدي الوالد والاخوان والعيال يسلمون ودمتم محروسين

١١ ذي الحجه ١٣٤٢

ما اتصف به الشيـخ عيسى من كرم وعـدل فكسب ولاء رعيتـه وتقـديـر الحكـام من معاصـريـه ومنهم الملك عبد العزيز.

ولم تحـدث مشكـلات بـين الملك عبد العزيز والبحرين فى الفترة التالية واقترح ابن سعود توثيقا للعلاقات مع البحرين ايجاد مـواصلات لاسلكيـة بين البحرين والرياض بالاضـافة الى عقد معاهـدة اقتصاديـة [٥٥]. وكان لمعاهدة (جدة) بين الملك عبد العزيـز وبريطانيا عام ١٩٢٧م كبـير الاثر فى توطيد العلاقات مـع حاكم البحـرين وسائر حكام الخليج.



مسودة
٩٦٧

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الأجل المحترم حميد المكارم والشيم الوالد المكرم
الشيخ عيسى بن علي الخليفه ادام الله بقاءه ونا يبده
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع الاستفسار عن رفاهيتكم دمتم بوفور النعم ومن لدينا
فهو بحمد الله على مزيد نعمه بخير وبيد السرور تنا ولنا كتاب حضرة الوالد الكريم المؤرخ
في ١٥ شوال ١٣٥٠ وتلوناه حامدين المولى على تمتعكم بالصحة والرفاهية وما اشرتم اليه عن توجه
ولاد مبارك بن احمد واخيه عبد الله وعلي بن احمد للحج فقد اطلعنا على ذلك وقد وصلوا
الينا المذكورين باتم الراحة وسررنا جدا بروياهم وقد أتموا مناسك الحج على اسر
حال وها هم متوجهين اليكم رافقتهم الصحة والسلامة ...
المفيدة عن صحتكم وعن ما يبدو لحضرتكم من لا ...
على الاولاد الكرام حمد واخوانه ...
والسلام ...

ABDUL RAHMAN BIN
MOHAMAD BASSAM.
Telegraphic Address:
"ARAB."

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الرحمن بن محمد البسام
عنوان التلغراف
(عرب)

Bahrein

المملكة العربية السعودية
ديوان جلالة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٢/٢/٩٩
التاريخ ١٨/١/١٣٥٢
التوابع

ملحق خبر وسرور ان شاء الله تابعا لكتاب الشيخ حمد بن عيسى ال خليفه

ماعرف سمركم كان لدى محبكم معلوما مخصوصا من قبل وصول السيارات وليعلم جنابكم ان السلامه من الله

ثم من فضلكم واما رسائلكم عن هذه السيارات مثل ماقال الشاعر اوجب الرجاء كل عيب تبقيه امورا

اللهان لاى هدمنا بفائكم ، ثم اخي سمعنا ان الديم ليست موجودة لديكم ونحن قد ارسلنا عليها من والد

الجميع المرحوم الشيخ عيسى للوالد المرحوم الامام عبدالرحمن وهذه بنتها وامكم وابونا التصادق خيرا

قبولها كما اننا نؤمل مع قدومها لكم دوام الصحة والسرور والله يحفظكم ...

مركز الوثائق التاريخية
البحرين

## اسماء الامراء والملوك الذين زاروا البحرين وسني زياراتهم

| الاسـم | سنوات الحكم | تاريخ الزيارة الى البحرين |
|---|---|---|
| الامير سعـــود<br>بن فيصل بن تركي | ١٢٨٨ ـ ١٢٩١ هـ<br>١٨٧١ ـ ١٨٧٥ م | في ١٤ ذي القعدة ١٢٨٧ هـ<br>الموافق ٦ فبراير ١٨٧١ هـ |
| الامير عبدالله<br>بن سعود بن فيصل | ١٢٨٢ ـ ١٢٨٨ هـ<br>١٨٦٥ ـ ١٨٧١ م | ١٣٠٤ هـ<br>الموافق ١٨٨٦ م |
| الامير عبدالعزيز<br>بن سعود بن فيصل | ١٢٨٨ هـ<br>١٨٧١ م | في ٩ جمادي الثانية ١٢٨٨ هـ<br>الموافق ٢٦ اغسطس ١٨٧١ م |
| الامام عبدالرحمن<br>بن فيصل بن تركي | ١٢٩١ ـ ١٢٩٢ هـ<br>١٨٧٥ هـ<br><br>١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ هـ<br>١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ م | ١٢٩١ ـ الموافق ١٨٧٤ م<br>١٢٩٣ الموافق ١٨٧٦ م<br>١٣٠٧ الموافق ١٨٩٠ م<br>١٣٠٨ الموافق ١٨٩١ م |
| الملك عبدالعزيز<br>بن عبدالرحمن | ١٣١٩ ـ ١٣٧٣ هـ<br>١٩٠٢ ـ ١٩٥٣ م | مع والده في عام<br>١٣٠٧ و١٣٠٨ ثم في رمضان<br>في ١٣٤٨ الموافق ١٩٣٠<br>وزار في ١٣٥١ هـ<br>الموافق ١٩٣٣ م وزار في<br>١٣٥٨ هـ الموافق ١٩٣٩ م |


بسم الله الرحمن الرحيم

وثيقة رقم ١٣/ ١٣٢٥ مؤرخة في ٢٨ شوال ١٣٢٥هـ الموافق ٩/ ديسمبر (كانون اول) ١٩٠٧م
وفيها تبادل الاخبار بين الامام عبد الرحمن الفيصل و الملك عبد العزيز آل سعود و الشيخ عيسى بن علي آل خليفة

# الهوامش

(١ ) ابن سند. عثمان. سبائك العسجد. ص ١٨ . وفي رواية ان الشيخ عثمان بن سند توفي ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤م وانظر الوثيقة ١ / ٨٢ (صورة وثيقة صفحة ١٨ سبائك العسجد وصورة الوثيقة العثمانية)

(٢ ) لسان العرب ١ / ٥٧٩ . ودكسن . الكويت وجيرانها ص ٢٦ . ود. الخصوصي. دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث المعاصر ١ / ٩٩.

*(٣ ) اليمامة. العدد ٢٠ السنة الاولى. وفي قول: (وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا) للشاعر محمد بن ظفر بن عمير الكندى والملقب بالمقنع لانه يقنع وجهه لشدة جماله وهو من شعراء بني امية.

(٤ ) عبدالباقي. محمد فؤاد. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم. ص ٥٤١ بيروت. سورة البقرة ٢/٨٣ ٢/ ١٧٧ ، وسورة النساء ٤/٨، و ٤/٣٦ وسورة الشورى ٤٢/٢٣ .

(٥ ) البلاذري. فتوح البلدان. ص ٨٩ . وياقوت. معجم البلدان ج١ /٣٤٧.

(٦ ) ولد الشيخ (عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن احمد (الفاتح) بن محمد بن خليفة آل خليفة) في عام ١٢٦٥هـ /١٨٤٨م. وتولى زمام الحكم في البحرين عام ١٢٨٦ هـ. الموافق ١٨٦٩م وله من العمر واحد وعشرون عاما وذلك بعد وفاة والده وقد ارخ الشاعر هذه السنة بقوله:

عصرية الاثنين واحد وعشرين

باول جماد ست فوق الثمانين

وتوفي في العاشر من شهر شعبان ١٣٥١هـ /١٩٣٢ وله من العمر ستة وثمانون عاما هجريا. وقد عاصر الشيخ عيسى كلا من الامير (فيصل بن تركي) والامير (سعود بن فيصل) والامير (عبدالله بن سعود بن فيصل) والامير (عبدالعزيز بن سعود بن فيصل) والامام (عبدالرحمن بن فيصل) والملك (عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود).

وخلف الشيخ حمد اباه الشيخ عيسى في الحكم وذلك عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م وقد عاصره الملك عبدالعزيز حتى توفي الشيخ حمد في عام ١٣٦١هـ/١٩٤٢م فخلفه ابنه الشيخ سلمان الذي عاصر الملك عبدالعزيز ايضا.

(٧ ) وهبه. حافظ. جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٢٣٨ (توفي الامام فيصل بن تركي) في شهر رجب ١٢٨٢هـ/يونيو ١٨٦٥م انظر امين سعيد. وتاريخ الدولة السعودية ٢ /١٧٢.

(٨ ) امين سعيد. تاريخ الدولة السعودية ٢/١٧٢، والانصارى، تحفة المستفيد ص ١٦٨.

(٩ ) انظر البرقية رقم ٣١٨ ميك ١٩٤ من الشيخ عيسى بن على الى المقدم فى الخليج الكولونيل بيلى مؤرخه فى ٦ فبراير ١٨٧١م وفى تحفة المستفيد. ص ١٦٨: ان الامير سعود بن فيصل خرج من البحرين فى رجب ١٢٨٧هـ متوجها الى الاحساء ومعه عدة رجال من اهل البحرين.

انظر لوريمر. دليل الخليج جـ ٧/٤/١٣ (توفى الامير سعود بن فيصل بالجدرى عام ١٨٧٦م - ١٢٩٣هـ).

(١٠) لوريمر، شجرة ال سعود جـ ٧/٤/١٣. والزركلى، الاعلام ٢/٨٤. وتحفة المستفيد ص ١٦٨.

(١١) سجلات دائرة الهند رقم الوثيقة ٢٩٥ ميك م ١٩٤ مؤرخة فى ٥ جمادى الثانية ١٢٨٨هـ الموافق ٢٦ اغسطس ١٨٧١م.

(١٢) وثيقة رقم ٣٣٤/ميك م ١٩٤ مؤرخة فى ١٣ جمادى الاولى ١٢٨٨هـ الموافق فى الاول من اغسطس ١٨٧١م.

(١٣) وثيقة رقم ٢٩٩ من البحرين ميك م ١٩٤ مؤرخة فى ٢٧ اغسطس ١٨٧١م.

(١٤) برقية رقم ٣٠٠ ميك م ١٩٤. مؤرخة فى ٢٨ اغسطس ١٨٧١م.

(١٥) توفى الشيخ على بن خليفة بن سلمان بن احمد آل خليفة مقتولا عصر يوم الاثنين فى الحادى والعشرين فى شهر جمادى الاولى سنة ١٢٨٦هـ الموافق ١٨٦٩م فى (معركة الرفاع) بالبحرين.

(١٦) لوريمر شجرة آل سعود ٤/٣ الطبعة الانجليزية. توفى الامير عبدالعزيز بن سعود بن فيصل فى حايل سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م.

(١٧) لوريمر ٣/١٣٨٥.

(١٨) لوريمر ٣/١٣٦٢ و ١٣٨٥

(١٩) **Al Mana, Mohammed. Arabia Unified. Aportrait of Ibn Saud p.15.London.1982.**

ولد الملك عبدالعزيز فى الرياض ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م.

(٢٠) حافظ وهبه ص ٢٤٢

(٢١) لوريمر شجرة آل سعود جـ ٣/٣/١٤ (ولد الامام عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز فى ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م وتوفى فى اول يونيو ١٩٢٨م الموافق ١١ ذو الحجة ١٣٤٦هـ وفى رسالة رقم ٤٧ ١٧/ذو الحجة ١٣٤٧ فيها تحيات الوالد. انظر البرقية رقم ١٨٢/ميك ٢١٧ص ٢٣٣ مؤرخة فى ١٢ يونيو ١٩٢٨م من المعتمد فى البحرين الى المقيم فى بوشهر.) ويذكر جون فلبى ان الامام

عبدالرحمن توفى عن عمر يناهز ٧٨ عاما. انظر: فيلبي. العربية السعودية ص ٢٣٩ الطبعة الانجليزية ١٩٥٥م

(٢٢) تسجيل بصوت حفيد محمد بن خاطر البوعينين في مركز الوثائق التاريخية بالبحرين.

(٢٣) وثيقة عثمانية رقم ٤٦٩٩ مؤرخة في ٢٠ جمادى الاولى ١٣٠٧هـ وهي مذكرة قدمتها دائرة الصدر الاعظم الى رئيس الكتاب.

(٢٤) عسه ، احمد، معجزة فوق الرمال. ص ٤٥ ، ط٢ ، ١٩٦٦

(٢٥) حافظ وهبه، ص ٢٤٥

(٢٦) Al. Mana 29-30

(٢٧) المصدر السابق نفسه ص ٢٩ . ويذكر لوريمر ان الامام عبدالرحمن بن فيصل دخل البحرين في ١٨٩١ بعد معركة بريدة انظر لوحة النسب رقم (١) جـ ٧

(٢٨) عسه ص ٤٥

(٢٩) لوريمر، ١٦٩٤/٣

(٣٠) Philby.J.,Saudi Arabia,p.235,Lebanon.1955& Al Mana p.139

(٣١) امين سعيد، ص٧٥ و٧٦، ولوريمر ١٦٩٤/٢ والنبهاني. التحفة النبهانية. ص٦٦.

(٣٢) وهبة، ٢٤٥ . وامين سعيد ٢٤٨/٢ Al Mana, p.139

(٣٣) سجلات دائرة الهند ص١١٠/١٨ ميك م ٢١٥ الرسالة مؤرخة في ٥ مارس ١٩٣٠م وقد ذكر وهبة وامين سعيد ان الاجتماع في يومي ٢٢ و ٢٣ فبراير وربما كانا يعنيان ان هذا التاريخ هو من ٢٢ و ٢٣ من شهر رمضان وليس من شهر فبراير. وذكر برايور ان وصول جلالة الملك عبدالعزيز للبحرين في ٢٥ فبراير وهذا يناقض ما قاله (بيسكو) في البرقيتين المرقمتين ٢٠٠ ارسلهما في ٢٦ فبراير والاصح ما كتبه المانع ان الاجتماع في ٢٥ فبراير وان وصول الملك للبحرين في ٢٧ فبراير ١٩٣٠م.

(٣٤) وثيقة من سجلات دائرة الهند ص ١١٠ ميك م ١٨/٢١٥ مؤرخة في ٥ مارس ١٩٣٠ اما المعتمد البريطاني في البحرين فهو الكابتن (جارلس جوفري بريور) من ١٩٢٩ - ١٩٣٢م اما المستشار في البحرين وقتئذ فهو (جارلس بيلكريف) الذي عين مستشارا فيها ١٩٢٦ ثم اصبح وكيلا سياسيا بعد سنة ١٩٢٨م والبرقية بتوقيع القنصل البريطاني دون ان يذكر (المانع) اسمه الا ان القبطان (برايور) ارسل رسالة من البحرين الى المقيم في الخليج يخبره بوصول برقيتين من الملك الى الشيخ عيسى واخرى الى الشيخ حمد حول وصول الملك للبحرين كما يشير (برايور) في رسالته الى انه وصلت برقية المقيم

فى اليوم التالى والتى نصحت الملك بعدم القيام بالزيارة وابلغ الشيخ حمد بان الملك الغى زيارته لذا فان البرقية هذه ارسلت من المقيم فى الخليج ولدى مراجعتنا لاسماء المقيمين فى الخليج وجدنا ان الكولونيل (فنسنت بيسكو Lt. Col. Hugh Vincent Biscoe هو الذى كان مقيما فى الخليج من نوفمبر ١٩٢٩ الى يوليو ١٩٣٢ ولم نعثر حتى الان على البرقيتين اللتين ارسلهما المقيم الى الشيخ عيسى والشيخ حمد وقد اشار اليهما بيسكو برقم ٢٠٠ فى ٢٦ فبراير ١٩٣٠ (انظر قائمة المعتمدين السياسيين والمقيمين والفترات التى كانوا فيها فى الخليج والبحرين من كتاب (لتوسن ص ١٨٥) . (والمانع ص ١٤١ الطبعة الانجليزية. (وحسن بن صالح الرويعى الشاعر) تسجيل بصوته وهو الذى كان يسوق السيارة التى اقلت جلالة الملك والشيخ حمد).

(٣٥) تسجيل بصوت حسن بن صالح الرويعى. و Al-Mana, p.141

(٣٦) لقد روى هذه المقولة من سمعها عن جلالة الملك مباشرة او سمعوها عن آبائهم ومنهم الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة وحسن بن صالح الرويعى والشيخ خالد بن محمد بن عبدالله آل خليفة والشيخ راشد بن عبدالله بن حمد آل خليفة عن والده وغيرهم انظر وثيقة من سجلات دائرة الهند رقم ٤٧/٤٩ ميك م ٢١٤/ سى ٩٣٣ ـ ١٢/١١.

(٣٧) تسجيل بصوت حسن بن صالح الرويعى الذى سمع ذلك اللقاء التاريخى بين : جلالة الملك والشيخ عيسى والشيخ حمد. وذكر الشيخ احمد بن محمد بن خليفة آل خليفة ان الشيخ سلمان بن حمد استقبل والده الشيخ حمد فى بومباى لدى عودته من الحج عام ١٣٥٧ هـ.

(٣٨) سجلات دائرة الهند ميك م ٢١٥ ص ١١٠/١٨ وثيقة مؤرخة فى ٥ مارس ١٩٣٠

(٣٩) وختم البرقية بالمثل العربى القائل (والذنب لمن يحرص على الصراع) والبادى اظلم AL Mana p.142

(٤٠) Ibid.p.143

(٤١) سجلات دائرة الهند ص ١١٠/٣٨/ ميك م ٢١٥ تقرير مؤرخ فى ٥ مارس ١٩٣٠م من برايور فى البحرين الى المقيم فى الخليج.

(٤٢) الرسالة مرفقة بالبحث.

(٤٣) وثيقة رقم ٢٣/١٣٣٥ من الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود الى الكابتن لوخ.

(٤٤) وثيقة رقم ٢٤/١٣٣٨

(٤٥) برقية رقم ١٨٢/ ميك م ٢١٧ ص ٢٢٣ مؤرخة فى ١٢ يونيو ١٩٢٨م

(٤٦) سجلات دائرة الهند. ميك م ٢١٤ ص ٤٧/٤٩ سى ٩٣٣/١٢/١١

وثيقة مرسلة من الوكيل السياسى فى البحرين الى المقيم فى البحرين فى ٢٥ ديسمبر ١٩٣٧م.

(٤٧) سجلات دائرة الهند ميك ٢١٤/ص ٤٢/٤٤ سى ١٦٣/١٩ رسالة مؤرخة فى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٧م من المعتمد فى البحرين الى المقيم فى شيراز

(٤٨) سجلات دائرة الهند ٢١٤/٤٤/٤٦/١٦٣/١٩

(٤٩) سجلات دائرة الهند. ميك م ٢١٤ برقية رقم ١٢٣/١٢٢ من الوكالة الى لندن فى ٢ مايو ٩٣٩ وبرقية رقم ١٢٦/١٢٧ وتفاصيل الزيارة ص ١٢٩/١٣٠/١٩/١٦٣ وص ١٢٤ ـ ١٥٠/١٩/١٦٣ من المقيم فى الكويت الى لندن. وانظر: الزايد، عبدالله. صحيفة البحرين. وفيها وصف الزيارة فى ١١ ربيع الاول ١٣٥٨هـ

(٥٠) سجلات دائرة الهند ميك م ٢١٤/ص ٧٢/٢٣/١٦٣/١٩ سى. رسالة من الوكالة فى البحرين الى المقيم فى بوشهر بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٣٩م.

(٥١) Gary Troeller, The Birth of Saudi Arabia, p12. London. 1967

(٥٢) انظر الرسائل المرفقة صورتها فى البحث تحت رقم ١٣/١٣٢٥ من الامام عبدالرحمن بن فيصل ال سعود الى الشيخ عيسى بن على آل خليفة والمؤرخة فى ٢٨ شوال ١٣٢٥ هـ الموافق ٩ ديسمبر (كانون اول) ١٩٠٧م وفيها تبادل الاخبار والانتصارات التى احرزها الملك عبدالعزيز فى نجد ورسالة رقم ١٩/١٣٣٣هـ ورسالة رقم ٢٧/١٣٤٤هـ. وفيها وصف ضم الحجاز.

(٥٣) فلبى. ص ٢٧٢. وهبه ص ٢٥٣ و ٢٥٤. ووثيقة رقم ١٨/١٣٣١هـ من الملك الى الشيخ عيسى بن على فيها اخبار انتصارات الملك فى العقير. وانظر فلبى ص ٢٦٧ و ٢٧٠ الطبعة الانجليزية وجيرى تروللر نشوء العربية السعودية ص ٢٤ الطبعة الانجليزية. لندن ١٩٧٦م

(٥٤) الريحانى. ملوك العرب، ٢/٢٧٨ ـ ٢٨٠ بيروت ١٩٦٧م. وتروللر ص ٢٤. ووهبه ص ٢٥٢ ـ ٢٥٦ وفيلبى ص ٢٦٧ ـ ٢٧٢

(٥٥) الخليج العربى ص ٢٣٣

F.O.371-16019 of 11 May 1932.

F.O.371-16019 of 29 Jan 1932.

# المراجع


١ ـ الاحسائى، محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن الانصارى، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء القديم والجديد. دمشق، ١٩٦٣م
٢ ـ البلاذرى، فتوح البلدان. طبع مصر.
٣ ـ الخصوصى، الدكتور بدر الدين عباس، دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر. الجزء الاول. ط١ ١٩٧٨م. الكويت
٤ ـ الرميحى، الدكتور محمد. التغيرات السياسية فى البحرين، ط٢ الكويت ١٩٧٩م
٥ ـ الريحانى، امين. ملوك العرب. الجزء الثانى. ط٥. بيروت. ١٩٦٧م
٦ ـ الزايد، عبدالله. البحرين. ١٩٣٩
٧ ـ الزركلى. خيرالدين. الاعلام. طبع بيروت
٨ ـ الزيانى. د. آمل ابراهيم. البحرين بين الاستقلال السياسى والانطلاق الدولى القاهرة ١٩٧٦م.
٩ ـ سعيد، امين تاريخ الدولة السعودية. الجزء الثانى. مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز الرياض.
١٠ـ سنان. محمود بهجت. البحرين درة الخليج العربى، ط ١، بغداد ١٩٦٣م
١١ـ ابن سند، عثمان، سبائك العسجد، طبع بومباى، ١٣١٥هـ
١٢ـ عبدالباقى، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم. طبع بيروت.
١٣ـ عسه، احمد. معجزة فوق الرمال. ط٢، ١٩٦٦.
١٤ـ قاسم. جمال زكريا. الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات العربية من ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ القاهرة، ١٩٧٣م.
١٥ـ لوريمر، دليل الخليج. طبع الدوحة.

١٦ـ ابن منظور، لسان العرب. الجزء الاول، بيروت، ١٩٥٥م.
١٧ـ النبهاني، محمد خليفة. التحفة النبهانية. ط٢. مصر. ١٣٤٢هـ.
١٨ـ وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٦١م.
١٩ـ ياقوت الحموي. معجم البلدان. الجزء الاول. بيروت، ١٩٥٥م.
٢٠ـ وثائق عربية
٢١ـ وثائق بريطانية.
٢٢ـ وثائق عثمانية.
٢٣ـ مراجع انجليزية.
٢٤ـ مقابلات وتسجيلات لبعض المعمرين.

# REFERENCES


- Al Mana, Mohammed. Arabia Unified. A Portrait of Ibn Saud. Revised Edition. London-1982.
- Arabic Documents.
- Arabic Sources-Printed & Manuscript.
- Lacey, Robert. The Kingdom-Great Britain. 1982.
- Lorimer, Gazetteer of The Gulf. Historical-Part 3. Maps. England. 1970.
- Ottoman Sources.
- Philby, St. John. Sau'di Arabia. New York. 1955.
- Records of Personal Interviews with oldtimers.
- Troeller Gary. The Birth of Saudi Arabia. London. 1976.
- Tuson, Penelope. The Records of the British Residency & Agencies in the Gulf. I.O.R. R/15. London 1979.
- Valentine. Paper entitled 'The Independent State of Bahrain.'

# رحلة شاهد عيان للجزيرة

دراسة جغرافية
١٨٦٢م - ١٨٦٣م

# الشواهد الجغرافية تدل



**كلمة..**

هذا البحث او المشاهدات اقرب ما يكون الى التقرير الذى يعده بعض المبعوثين لاهداف معينة.. وهو على الرغم من دقته المتناهية الا انه يشير الى ان المهمة التى كان الرحالة الانجليزى يقوم بها هى شىء آخر غير البحث الجغرافى. فقد تنكر كما قال هو فى هيئة طبيب كما انه حشد كما كبيرا من المعلومات عن منطقة تعتبر من المناطق الصعبة بالنبسة للاوروبيين وحتى بالنسبة لغيرهم فى ذلك الزمان. الرحلة تمت سنتى ١٨٦٢م و١٨٦٣م وتليت الملاحظات فى ٢٢ فبراير ١٨٦٤م وسجلت فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن وان كان هذا لا يمنع من ان تقارير اخرى سرية قد اعدت اثناء الرحلة. والبحث مع ما يقدمه من معلومات ومشاهدات غاية فى الدقة ويلقى بعض الضوء على طبيعة المبعوثين الانجليز الذين جابوا الشرق كله خلال القرن التاسع عشر وقبله والذين يعتبرون مقدمات الاستعمار الذى وقع بعد ذلك..»

**الوثيقة**

# العربية والبحرين منذ أكثر من ١٠٠ عام

# على أن جزيرة العرب لم تكن صحراوية



## عواصف الرمال التي تبتلع القوافل

## أوهام نسجها خيال الغربيين

بقلم: و. ج. بلجريف



ان الطريق التى سلكتها اثناء عبورى لشبه الجزيرة العربية من غزة الى مسقط، مارا بأكبر عرض لهذه البلاد، قد هيأت لى فرصا خاصة لملاحظة الارض وسكانها. وان بعض الملاحظات التى نجمت عن تلك الرحلة قد تساعد على ملء تلك الفجوات التى توجد فى نظرتنا الى الجزيرة العربية.

وانني لاشعر بأن نظرتى ستكون غير كاملة، وانها ناقصة تماما فى بعض المواضع. ويرجع ذلك الى الظروف التى تم فيها بحثى واستقصائى. واذا كان قد تهيأ لى فى رحلتى الفرص الكثيرة والحرية الكبيرة للقيام بملاحظات جاء بعضها عن طريق التجربة الشخصية والبعض الآخر عن طريق الاستفسار من مصادر موثوقة، فلقد افتقرت فى ظروف ماسة الى الدقة المتناهية. ووفر تنكرى كطبيب تسهيلات كثيرة لمشروعى، ونجحت نجاحا تاما فى منع ريبة المواطنين او تخفيف هذا الشك، واستطعت ان ازور مطمئنا بعض الاماكن ذات الاهمية الخاصة، وابقى فيها او بالقرب منها من الزمن ما يكفى لغرضى. ولقد وفر لى ايضا فرصا مناسبة للقيام بالاستفسارات وجمع المعلومات عن المناطق التى لا استطيع ان اصل اليها او التى امر بها فى طريقى دون ان اخشى اثارة سوء ظن المواطنين المعتاد او ان ابدو بمظهر خطر من المبالغة فى حب الاستطلاع. ولكن هذا التنكر ذاته حرمنى من ان اصطحب معى ادوات حسابية وقياسية لا غناء عنها فى الملاحظات الدقيقة وحرمنى من الحرية اللازمة للرسم والتصوير، بل ومن اخذ الملاحظات فى الوقت المناسب مهما كانت هامة، بينما كانت الحكمة تفرض على احيانا ان اقلل من استفساراتى وبحثى واجعلها اقل دقة مما لو كنت فى ظروف اخرى وذلك لكى لا ابدى شيئا يفضح تنكرى بشخصية طبيب رحال.

أما المناطق التى زرتها بشخصى فهى اولا ـ الصحراء التى تقع بين معان والجوف. وقد كانت طريقى تختلف عن الطريق التى سلكها السيد (ولن) فقد كانت طريقى فى معظم الاحيان الى الجنوب من طريقه. وثانيا الجوف نفسه وما جاوره. وثالثا الطريق من الجوف الى شمر سالكا نفس الطريق التى سلكها ولن. ثم مدينة حايل وجزءا كبيرا من المنطقة المجاورة. ورابعا الطريق من هناك الى مدينة البريدة فى القصيم وجزءا كبيرا من المنطقة وبعض مدنها الرئيسية كعنيزة وغيرها. وخامسا الطريق من بريدة الى السدير ومعظم المنطقة الاخيرة. وسادسا منطقة عارض وعاصمتها الحقيقية الرياض وهى مقر ملوك الوهابيين، والمدينة الخربة الآن وهى الدرعية الخ. وسابعا جزءا من مقاطعتى اليمامة والافلاج. وثامنا الطريق من هناك والتى تتجه الى الشمال فتصل الى منطقة الحريق والى مدينة الهفوف فى مقاطعة الاحساء. وتاسعا جزءا كبيرا من تلك المقاطعة والقطيف وما جاورها. وعاشرا جزر البحرين. والحادى عشر قطر وساحل اللؤلؤ. والثانى عشر مدينة الشارقة وقنة البحر حتى رأس مسندم ثم الى الجنوب الى بطينة حتى صحار. والثالث عشر ذلك الجزء من عمان الذى يتصل بسماعيل ومسقط والزيب الخ .

وقد اوردت بين الحين والآخر نتفا عن اجزاء من الجزيرة لا تدخل ضمن المناطق التى ذكرتها، وقد جاءت نتيجة لسؤالى لنفسى وللمواطنين وللبدو. وفى الحقيقة ان على ان استثنى ساحل الحجاز واليمن، فلقد مكنتنى الملاحة من ان اتكلم عنه كثيرا.

وقبل ان ابدأ حديثى اود ان اقول بضع كلمات عن المعالم الجغرافية والملامح الرئيسية لشبه الجزيرة العربية، ولا سيما عن الصحراء: طبيعتها وحدودها. والهدف الرئيسى من وراء هذا هو سد بعض الثغرات التى تركها الرحالة السابقون من امثال (بوركهارت) و (ويلسند) و(ولن) وغيرهما فلقد كتبوا تقارير دقيقة ولكنها غير كاملة ولذا سأصف نجد والمناطق الوسطى من الجزيرة العربية وصفا اكثر تفصيلا، ثم اصف بعد ذلك المناطق الشرقية وعمان.

ان الفكرة الشائعة التى اعطاها لنا الرحالة وكثير من المصورات الجغرافية ايدت تلك الفكرة الى حد بعيد بل لقد اشتملت عليها وقالت عن الجزيرة العربية انها مساحة شاسعة من الصحراء، تتاثر عليها بعض البدو المتنقلين، وبها بعض الجبال الصخرية القاحلة، والخيام السوداء والسهول الرملية وبعض اشجار النخيل او الجمال لتكمل الصورة. واذا اخذت هذه الفكرة عن الجزء الاكبر من شبه الجزيرة فهى بعيدة عن الحقيقة. ولا شك ان الصحراء تشتمل على جزء معين منها، ولكن هذا

الجـزء هـو الذي يـعـرفـه الرحـالة الاوربيون ـ اى انهم لا يعرفـون سوى الحـواشي. وحقـا هنـاك بعض البقـع الصحـراويـة وسـاتكلم فيمـا بعـد عن طبيعتها وامتدادها، وهذه البقع القاحلة تتسـع كثيرا فى الجنـوب وتـطغى عـلى مساحة شاسعة فى الداخـل، ولكن هذه جميعها يمكن اعتبارها شواذ لا قـاعدة عـامـة. ان الطابـع الحقيقى للجـزيـرة العـربية انهـا ارض مستويـة شاسعـة خصبة فى الاصل وهى اما مزروعـة أو قابلة للزراعة على الاقل، وتروى وديانها ريا حسنا، وليست سهولها جافة ـ وهى ارض عـامرة بـالمدن والقـرى والحياة والسكان، وحول كل هذا دائرة صحراوية تضيق احيانا ضيقا كبيرا، فـلا يتجاوز عرضها ٥٠ او ٦٠ ميلا، ولكنها تتسـع احيانا اخرى فى الشمال وفى الجنـوب، واخيرا تحيط بكل هذا سلسلة من الجبال تتنوع فى طابعها وفى ارتفـاعها، ولكنهـا بوجه عام منخفضة وصخـرية وقـاحلة ويحدها ساحل قاحل فى معظم الاحيان، مع ان اليمن وسواحل عمان والاحساء تقدم ادلة رائعة على الخصب وشواهـد ملموسة على عدم اطراد القاعدة.

ثم ان هذه الصحراء نفسها يمكن ان تنقسم الى قسمين تلك الصحراء التى هى صحراء لانه ليس هناك فى الوقت الحاضر من يحتلهـا او يـزرعهـا ولذا يمكن ان نصفها فنقول انهـا «مهجورة»، وهنـاك الصحراء، بكل مـا فى الكلمة من معنى، بـلا امل فيها، ومهجورة وقاحلة ولا يمكن اصلاحها.

ويعم القسم الاول من الصحـراء او الصحراء المهجورة، الحـدود الشماليـة والغـربية، ويعم القسم الثـانى المناطق الشرقية والجنوبية.

ولنبـدأ بالكـلام عن الصحراء التى توالى الجهة الشمالية والجهة الغربيـة. فهنـا نجد طبقـة سفـلى من الصخـور، ومعظمها صخور جرانيتية، وفوقها تربة رملية او من الحصى، وهى توفر بدرجـة متفاوتة الظروف التى تسمـح بامكـانية الحيـاة والخضرة، ولكنهـا ليست ابـدا خـاليـة من هـذين النـوعـين ـ الحيـاة والخضـرة. وتتوقف هـذه الدرجة عـلى وجود الماء فوق السطح او على مسافـة قريبة منـه. واحدى السمـات الخاصـة بالجزيرة العربيـة ـ لسوء الحـظ ـ انه ليس هناك فى هذه الارض الشاسعة نهر يصح ان يسمى باسم نهر. وانني لا علم ان بعض الجغرافيين العطوفين قد اعطوا لنا بعض اسماء الانهـار، ويؤسفنى ان اقول انهم كانوا بذلك اكرم من الطبيعة. بل قلما تمر ببعض الجداول، اللهم الا فى الاراضى المنخفضة بالقرب من الساحل الشرقى وبين جبال عمان، كمـا سنرى فيما بعد.

والسبب فى هذا واضح. والجبال هى خزانات البلاد عادة، وكلما اقتربت تلك البلاد من خط الاستواء كانت الحاجة الى ارتفاع الجبال أكثر لكى توفر المياه طوال

السنة ولكن الجزيرة العربية بإستثناء عمان فقط - تفتقر الى جبال ذات ارتفاع يكفي لهذا الغرض. وسلسلة التلال القريبة من الساحل منخفضة كثيرا بوجه عام، ويتراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ و١٠٠٠ قدم وقلما تزيد عن ذلك، اما الوسط فهو مجرد سهوب او هضبة يكاد لا يصل ارتفاعها الى ٣٠٠ قدم فوق سطح البحر، مع ان السكان يطلقون عليها اسم الجبار تجاوزا.

ومن ثم فان اى مطر ينزل على تلك السهوب، وقد يهطل المطر بكميات غزيرة في بعض الاحيان ولا سيما في الشتاء واوائل الربيع، سرعان ما تمتصه الاخاديد التي توجد في التربة المفككة الذرات او في الوديان المتقاطعة الرملية، وهكذا تتجمع المياه في باطن الارض بدلا من ان تتجمع في ظاهرها. وهناك الى جانب ساحل البحر فقط حيث ينتهي طرف الهضبة فجأة او يتدرج، نجد ينابيع هنا وهناك مصدرها المياه الجوفية التي تجمعت وسط البلاد. وبما ان الساحل نفسه محاط عادة بسلسلة ضيقة من الجبال قريبة من الساحل فقلما تصل هذه النهيرات الى البحر، او تشكل انهارا تستأهل ان تجد مكانا فوق خريطة الجغرافي.

وسأتحدث حديثا اكثر تفصيلا عن وفرة المياه الجوفية في وسط الجزيرة العربية ووسائل الري المستعملة وذلك في سياق حديثي هذا.

وينشأ عن هذه الاسباب عينها جفاف مماثل بل اكثر للمياه التي في ظاهر الارض في الصحراء نفسها. فان مناطقها ترتفع ارتفاعا معقولا عن سطح البحر ثم انها تحاط كما اسلفنا بسلسلة من الجبال ولكنها منخفضة اكثر من سهوب الوسط، واستطيع ان اقول من قياس سريع وظني ان متوسط ارتفاعها يتراوح ما بين ٥٠٠ و١٠٠٠ قدم عن سطح البحر وربما اكثر من ذلك بقليل. وهكذا فهي ليست مرتفعة ارتفاعا كافيا حتى تجتذب الغيوم العابرة وليست منخفضة حتى تسمح للمياه الجوفية بالظهور فيها، وتربتها مفككة وكثيرة الشقوق ومن الطبيعي ان تبقى اكثر جفافا من الهضبة الوسطى او السواحل نفسها.

وعلى كل حال فان في هذه الصحراء او الارض المهجورة ماء، وان كان تحت سطح الارض وعلى عمق مناسب. ولقد رأيت آبارا يزيد عمقها على ١٠٠ قدم، ويصل الماء فيها الى مستوى قريب من سطح الارض في بعض الاحيان، لا سيما - كما يجب ان نتوقع - في الاراضي المنخفضة من هذه الاصقاع. ويدل في بعض الاحيان الخط الطويل من الآبار على وجود نهير في جوف الارض. وهكذا توجد المياه على امتداد وادي سرحان، من حوران في سوريا الى الجوف، على عمق ١٠ او ١٥ قدما بل احيانا على عمق اقل من ذلك. ولقد حفرت الآبار في اماكن اخرى مثل وادي فاروق، في الجهة

المقابلة من شبه الجزيرة، الى عمق ١٠٠ قدم واكثر دون الحصول على قطرة ماء.

ويلاحظ كل من يجوب هذه المناطق كثرة الآبار المعطلة او شبه المدفونة ويلاحظ ان جميع الآبار العميقة تقريبا، التى انفق عليها جهد كبير ومهارة فائقة، ترجع الى زمن قديم نسبيا. وتلقى هذه الحقائق ضوءا على ازدحام هذه البلاد بالسكان فى السابق، وتؤكد الفكرة القائلة بان ما يعتبر الآن ارضا صحراوية لم يكن فى اغلب الاحيان كذلك، ولا يلزم ان تكون صحراوية الآن، كما تشير الى ذلك صفاتها الطبيعية.

والى جانب هذا نجد ان الرطوبة الناجمة عن هذه المياه الجوفية المخزونة، حتى فى المناطق التى لا توجد فيها آبار، تظهر تدريجا على سطح التربة، وتساعد على نمو جدى معقول للحشائش والاعشاب والشجيرات بل للاشجار، هذا فى المناطق التى لا تكون فيها المياه الجوفية على عمق كبير أو التى تحول فيها الطبقة الصخرية أو الطبقة التى يستحيل ان تنفذ المياه منها، دون ظهور الماء. وقد ذكر ولن «الصمغ» من الاعشاب حينما وصف الصحراء المجاورة للجوف ثم شجيرة «المسع» ذات الاوراق البيضاوية الصغيرة، وهى ذات ثمار شبه حامضة تشبه الى حد بعيد الزبيب الاحمر الذى يوجد فى هذه المنطقة فى حجمها ولونها وطعمها.

وتتميز الصحراء الشمالية الغربية بهذه النباتات. ونجد فى الجنوب نباتات الخرتاء التى تستعمل اوراقها فى الدباغة، ثم القتاد الشوك، والسدر بتوته الصغير الجاف، والنبق، وهو شجيرات قصيرة ملفوفة تكون محملة ـ وقت الاثمار، بثمار كثيرة تشبه التفاح الصغير الحجم، وقد رأيت مثل هذه الشجيرات فى الهند الشمالية ـ وهذه النبتة تكثر فى الجهات الجنوبية الشرقية من الصحراء ثم شجر النبع الرشيق، وكثير من الشجيرات الاخرى والنباتات، ويشتمل بعضها على خواص طبية او مخدرة، وتشير اشارة واضحة الى امكانيات الارض الزراعية. وتنمو الاعشاب فى كل مكان بين الحصى ابان الربيع ويمكن ان نرى سيقانها الجافة الصفراء تهتز فى احضان الخريف.

وتكون هذه الاصقاع الجزء الاكبر من الحلقة الصحراوية فى الشمال والغرب، وتوجد بصفة اقل فى الجزء الشرقى من نفس الحلقة، وقلما توجد فى الجنوب. وهى الملاذ المعتاد لقبائل البدو الذين يمنعهم كسلهم من الاستفادة من ثروات التربة المدفونة، بينما يهيء لهم سطحها المراعى دون ان يبذلوا جهودا فى الحراثة، ويهيء لقطعانهم وسائل كافية للحياة وان كانت نزرة وقليلة. ومن ثم يتجمع اصحاب القطعان الذين يتصفون بالتنقل وبقطع الطرق فى اطراف شبه الجزيرة، ولا سيما عند حدودها الشمالية والغربية. وقد استنتج الرحالة من هذه

الظروف ـ وقليل منهم من اجتاز النطاق الصحراوى ونفذ الى داخل البلاد ـ ان الارض ومن عليها مشابهة لما وجدوا على الاطراف. ومن ثم نشأت المبالغات فى الكلام عن البدو من حيث القوة والعدد، وقد بخسوا شبه الجزيرة هذه حقها.

وفى الحقيقة فإن البدو، كالأصقاع التى يتنقلون فيها، لا يشكلون اكثر من حلقة مفرغة تحيط بمنطقة متوسطة مختلفة كل الاختلاف فى طابعها وسكانها. وعلى هذا فعندما نتوغل فى المناطق الداخلية نجد ان الزراعة تظهر مرة اخرى ثم تزداد واخيرا تعم المنطقة، بينما يسير البدو فى تدرج عكسى، اذ هم يقلون بسرعة حتى ينعدموا تماما.

ونجد فى بعض المصورات الجغرافية القديمة كلمة مناطق «اكلى لحوم البشر» عند نهاية المناطق المكتشفة، ولعلهم بذلك يبررون عدم الاستكشاف لها.

ولا يترك البدو من العرب الرحالة ولا سيما الاوروبيين منهم، يمرون دون ان يلحقوا بهم شيئا من الاذى، وهكذا ظل هؤلاء آخر ما وصل اليه الاستكشاف.
ولكن لنرجع الى موضوعنا ثانية.

لقد قلت ان هذه الارض المهجورة لا الصحراوية تقع فى الدرجة الاولى فى شمال وغرب الجزيرة العربية اى فى المنطقة التى تفصل سوريا عن الاراضى العربية المرتفعة أو نجد وفى الحجاز على طريق الفجاج المشهورة حتى حدود مكة.
وقد وصف كثير من الرحالة هذه المنطقة الاخيرة وصفا كافيا ان لم يكن مسهبا، ويعطى لنا (ولن) صورة صحيحة ودقيقة عن النطاق الشمالى بين سوريا والجوف ووادى سرحان.

ولكننا عندما نقترب من مستوى الجوف نلاحظ رقعا من الرمال البيضاء اللامعة، وهى فى أول الامر نادرة فى هذا السهل الاسود ذى الحصى، ولكنها تزداد كلما تقدمنا صوب الشمال حتى تلتقى كلها اخيرا الى الاسفل من الجوف وتكون منطقة رملية مستمرة واحدة، بينما يشوب بياضها احيانا شيء من الصفرة او اللون الاحمر البرتقالى. وهنا تبدأ المنطقة التى يسميها اهلها «بالنفود» اى «الممرات» وذلك لانه يجب ان يمر بها كل من يريد ان يتوغل فى الداخل. وقد قال (ولن) ان كلمة «النفود» ترادف «النقص» او «فقدان وسائل الرزق». وقد تحتمل الكلمة مثل هذا التفسير، ولكنها لا تحتمله هنا.

وتتألف «النفود» او الممرات الرملية من خطوط طويلة وعريضة ـ يكاد المرء ان يسميها انهارا من الرمال المفككة والعميقة وتكون عادة مكومة على شكل ربوات او امواج واتجاهها الدائم من الشمال الى الجنوب ـ وقد تظهر بعض الخضرة او لا تظهر فوق هذا السطح المزعزع.

وقد اعطى ولن، الذى لم يستطع متابعة رحلته الى الوسط والجنوب، عدة تخمينات سديدة حول أصل هذه

الاصقاع الرملية الواسعة وحول وجودها وعددها وامتدادها، كما قدم وصفا دقيقا ومفصلا عن تلك الاجزاء التى عرفها. ولكن ظروف رحلته لم تجعله يوفق فى تفسير اصل «النفود» الحقيقى، فلم يستطع ان يفسر الظاهرة تفسيرا شافيا، تلك الظاهرة التى اعتمد عليها فيما اعطاه لنا من تأملات هامة.

وعندما نتابع البحث والاستقصاء فى الجنوب سرعان ما نشعر بالطابع الحقيقى لهذا الصقع. والحقيقة ان هذه الانهر الرملية او «النفود» ليست سوى مداخل او قد نقول فروعا، الى الصحراء الرملية الجنوبية الكبرى التى تحجز المنطقة فى الجنوب الغربى وفى الجنوب والشرق عن الصحراء الصخرية الشمالية التى سبق وصفها، وهكذا تكمل دائرة شبه الجزيرة العربية. وهذه هى «الدهناء» او «النار الحمراء» كما يسميها العرب، وتتجمع هذه الكمية الضخمة من الرمال الى الاسفل من خط عرض ٢٣ و٢٢ والى الجنوب من الحريق ووادى الدواسر حتى تصل الى حضرموت والى حدود عدن نفسها. ويمتد ذراعا هذه الصحراء الى الشرق والى الغرب ويتجهان صوب الشمال حتى يلاقيا ذلك الجزء المنحنى أو الهابط من الصحراء العليا او الصخرية حيث يتركان ما يقرب من ثلث الدائرة يلتف حول المقاطعة الوسطى، بل تكاد تقطعها فى بعض الاماكن. ولكن الموضوع يستحق دراسة اوسع لما يلقيه من ضوء على جغرافية الجزيرة العربية.

لقد ذكرت ان «الدهناء» او الصحراء الجنوبية الكبرى تتفرع الى فرعين يمران بغرب الهضبة الوسطى وشرقها ويفصلانها عن الساحل وينتهيان اخيرا بالصحراء الصخرية، او الارض المهجورة فى الشمال.

ويتجه الفرع الشرقى من الدهناء التى تقع وراء عمان ويمر بالجزء الاخير من قطر وهو المنطقة البحرية الواقعة بين عمان والاحساء ويمر بين الحريق والطرف الجنوبى من الاحساء، ثم يتجه الى الشمال تاركا الاحساء الى الشرق منه والحريق واليمامة والعارض واخيرا السدير الى الغرب منه. ويبلغ متوسط عرضه ٨٠ ميلا وان كان لا يزيد عن ٤٠ ميلا فى بعض الجهات، ومنها جهات قد قطعتها بنفسى وطبيعته العامة مماثلة لطبيعة «النفود» التى سبق ان وصفتها وان كانت اكثر اجدابا وثباتا من طبيعة «النفود». وعندما يصل الى خط عرض ٢٨ شمالا، بالقرب من بلاد الكويت الصغيرة على الخليج تبدأ ارضه الرملية بالتحول الى ارض صلبة ثم ينتهى اخيرا بالارض الخراب التى تقع وراء الزبير والبصرة.

اما الفرع الآخر وهو الفرع الغربى فيبدأ من وراء اليمن ووادى نجران ويمر بالطرف الجنوبى من وادى الدواسر، ثم يسير الى الشمال تاركا قلعة بيشة الى

الغرب منه والجزء الرئيسى من وادى الدواسر الى الغرب منه. ثم يتجه الى المشرق حيث يمر امام مقاطعتى الافلاج والوشم ويمر بالطرف الغربى من القصيم. وهذا الفرع بوجه عام اقل اقفارا من الفرع الشرقى بكثير، وهو يفقد كثيرا من وحشة الدهناء كما يفقد اسمها قبل ان يفنى اخيرا فى المنطقة المجاورة لتيماء ذات الارض الطينية والحصى. وتتشعب من هذا الفرع الغربى من الصحراء فروع اخرى تكون «النفود».

وقد اجتزت. كما اجتاز (ولن) ذلك الفرع الشمالى من «النفود» الذى يقع بين الجوف وجبل شمر. وهو يبدأ الى الاسفل من تيماء بالقرب من خيبر ويسير فى اتجاه شرقى فى الشمال وهكذا يفصل ما بين جبل شمر وتيماء وهو طريق الحجاج حتى يصل الى ما يقرب من خط عرض ٢٨° ، ثم يتجه صوب المشرق ويسير بين الجوف وجبل شمر حتى يفصلها فصلا كاملا ثم ينتهى اخيرا فى اصقاع صخرية فى شرقى الجوف عند طرف طريق القوافل العادية من تلك المقاطعة حتى مشهد على. ومتوسط عرضه ٥٠ ميلا تقريبا.

وثانيا عندما نهبط الى الجنوب صوب القصيم نلتقى بواد رملى مشابه للفرع السالف الذكر وان كان اصغر منه ويمر هذا الوادى الى الاسفل من خيبر متجها نحو المشرق وهكذا يسير بين جبل سلمى فى الشمال ومقاطعة القصيم فى الجنوب. وتنتهى هذه «النفود» الثانية فى سهول القصيم الأعلى دون ان تقطعهما قطعا تاما.

وثالثا هناك مدخل آخر، الى الجنوب من الفرعين السالفين، مشابه لهما، وهو يسير فى الاتجاه الشمالى الشرقى ويسير موازيا لتلك السلسلة المنخفضة من الجبال التى يسير معها طريق الحجاج من مكة الى نجد. ويمر الى الأسفل من القصيم حيث يفصله عن الوشم، وبعد ذلك يتجه صوب الشمال على حدود مقاطعة السدير، ويمر بالطرف الغربى من جبل طويق والامتداد المتصل من وادى حنيفة (وهذه اماكن سأفيض فى الحديث عنها فى ملاحظاتى هذه) حتى يتصل اخيرا ويمتزج بالصحراء الصخرية التى تقع الى الشرق من جبل شمر.

وهذه باختصار الثلاثة الممرات الرئيسية او «النفود» فى وسط الجزيرة العربية. وكما رأينا تنشأ جميعها عند الذراع الرئيسى الغربى من «الدهناء» وتكون عنده زوايا قائمة او شبه قائمة. وتسير كلها بين الشمال والشرق متجهة صوب الهضبة الداخلية الكبيرة، وهى تكاد تقطعها وان كانت لا تقطعها كلية، وتتشابه جميعها فى صفاتها مع انها تختلف فى طولها وعرضها كما رأينا.

اما الفرع الشرقى من «الدهناء» فتلصق به من الجانبين سلسلتان عاليتان وهما الطويق من الغرب وسلسلة الأحساء البحرية من الشرق وتتفرع منه

بضعة فروع جانبية داخلية على شيء من الأهمية. ويبتدىء أحدهما من تلك الكثبان الرملية التى وراء الحريق ثم يسير صوب الشمال بين تلك المقاطعة واليمامة حتى ينتهى فى وادى «سلوى» الذى يقع الى الشرق من الرياض. ومنذ اربعين سنة فنى فى هذه «النفود» حسين باشا المصرى مع جزء كبير من جيشه وكان قد ارسل فى حملة ضد تركى والد فيصل. فقد غرر بهم المرشدون من النجديين حين ورطوا حسينا وجزءا كبيرا من جيشه وتركوهم بين هذه الكثبان الرملية حيث فنوا عن آخرهم من الظمأ والتعب مع ان مياه الحوطة كانت قريبة منهم وهم لا يعلمون. وقد ظلت ملابس واسلحة الضحايا تباع فى اسواق نجد بأسعار بخسة عدة سنوات.

وقد وقع فى العشر السنوات الأخيرة حادث لا يقل عن الحادث السالف هولا فى «النفود» التى الى الشمال من طريق الحجاج فى نجد. وكانت الضحايا فى هذه المرة جماعة من حجاج الفرس فى طريقهم الى مكة. وقد خيموا فى مدينة البريدة فى مقاطعة القصيم، وكان يحكمها ولا يزال (حتى وقت كتابة البحث) الزعيم النجدى مهنا بأسم فيصل. وقد أثارت وفرة امتعة الحجاج الفرس وغناها جشع مهنا فعمد الى تأخيرهم فى البريدة منتحلا عدة اسباب ثم اقنعهم بترك الجزء الأكبر من امتعتهم وراءهم فى كنفه حتى لا يداهمهم الأعداء الذين يوجدون ما بين مكة والقصيم فينهبوها. ثم اعطاهم ابنه الأكبر ليكون مرشدا لهم، ولقد كان حقا ولدا جديرا بأبيه (ويمكننى ان اذكر فى معرض الحديث انه قد اتيح لى ان اعرف الاثنين معرفة شخصية). فقد اضلهم هذا الخائن عن الطريق وقادهم الى متاهات من «النفود» لا ماء فيها، وهرب بعد ان تركهم يموتون من الظمأ والحر. وقد فنى معظمهم، اما القليلون منهم ممن اسعفهم الحظ فقد شقوا طريقهم بين هذه المتاهات الرملية الى البريدة حيث وصلوها وقد اسقمهم السغب واضناهم التعب. وهناك قابلهم مهنا فأنكر انكارا شديدا ان شيئا من امتعتهم او امتعة رفاقهم التعسين موجود عنده، وكان على هؤلاء الباقين ممن قاسوا الخيانة مرتين ان يشقوا طريقهم الى مشهد علي ثم الى بلاد فارس بأسرع ما يمكن.

وقد تعطى هذه الحوادث فكرة عن طبيعة «النفود» العربية ومخاطرها خاصة وسمك الطبقة الرملية الكبير لا يقل عن مئات الاقدام، كما استطيع ان اؤكد من القرائن والملاحظات، ولذا كان الماء ومسألة وجوده شيئا مستحيلا فى الجزء الأكبر منها، وان قلة الماء وشدة الحر فى تلك الاصقاع وقلة المراعى والفقدان التام للظل او المأوى والجهد المبذول فى خوض هذه الجبال المتموجة ذات الرمال المفككة والمحرقة، كل هذه تجعل من سلوك هذه الطرق شيئا خطرا ولا سيما فى اشهر الصيف الحارة.

ان هذه الصفات القاحلة لا تخلو من استثناءات حسنة ومتفرقة. وتنحسر هذه الأمواج الرملية فى هذا المحيط الرملى بين الحين والآخر على احد الجوانب تاركة حفرة مخروطية الشكل شديدة العمق (ولقد رأيت منها حفرا يبلغ عمقها العمودى ٤٠٠ بل حتى ٥٠٠ قدم) وفى قعرها طبقة سفلى تتكون احيانا من الجرانيت ومن الصخور الكلسية احيانا اخرى، حيث توجد المياه عادة بين شقوقها او فى الآبار التى حفرها العرب. ولما كانت هذه النقط هى الأماكن الوحيدة للراحة والتموين فانها تحدد خط سير المسافر فى هذه المناطق، ولكن القليلين - الذين عرفوا هذه الأماكن بعد خبرة طويلة - هم الذين يعرفون كيف يجدونها، ويزيد المسألة تعقيدا انه ليس هناك من قرائن تشير الى قربها، وحتى على بعد معقول جدا - ومن ثم كانت الحاجة ماسة الى اصطحاب مرشدين مجربين وأمناء لقطع هذه «النفود».

وترتفع احيانا قمة صخرية سوداء وبارزة فوق الرمال وهكذا تقطع ذلك الاطراد الممل فى المنظر مثل الصخرتين المنفصلتين المرتفعتين فى «النفود» والواقعتين فى منتصف المسافة بين الجوف وجبل شمر ويطلق عليهما اعلام السعد. وقد مررنا بهما فى طريقنا جنوبى الجوف وكم أدهشنا شكلاهما الهرميان المتناسبان. وقد مررت فى اثناء طريقى بقمة مشابهة فى «النفود» تتصل بمقاطعة الوشم.

لقد وجدت تموجات الرمال المتناسقة فى موازاتها لمحور الأرض تفسيرا صائبا مأخوذا من عدم المساواة فى الحركة الدائرية للكرة الارضية عندما تنتقل من القاعدة الصخرية الصلبة الى الرمال المفككة والزلقة التى فوقها. ولما كانت هذه المناطق قريبة الى حد ما من خط الاستواء فان سرعة الدورة اليومية تكون اكبر والظواهر الطبيعية المترتبة عليها اوضح مما هى عليه فى المناطق المقابلة لها فى الشمال. ان الأخاديد الضخمة والمنتظمة فى «النفود» لتختلف عن تلك الاجرف المتغيرة والتى توجد فى اماكن اخرى، وهى تنشأ عن عملية الرياح التى تجعد سطح الرمال فى كل اتجاه حتى تصبح الصحراء كلها وكأنها محيط متلاطم لعبت به عاصفة عاتية فاضطرب بعد ان مرت عليه عدة شهور من الشهور الموسمية المنتظمة.

وخفة الرمال هى على هذا الحال، ولا سيما فى الاتجاه الجنوبى، حتى ان أثار اقدام الجمال تختفى فى الغالب حالما تنطبع على الرمال، بالرغم من ان هذه الحيوانات البائسة تغوص حتى ركبها فى طريقها المضنى. ان العواصف الرملية، كعواصف الغبار فى الهند الشمالية، كثيرة هنا، اما تلك القصص التى تروى عن اعمدة الرمال المتحركة والتى تطوى فى جوانحها فجأة قوافل كاملة، فقد سخر جميع من قابلتهم من البدو من تلك القصص ووصفوها بأنها من نسج خيال

المسافرين. واستطيع ان اؤكد بعد خبرة طويلة في الصحراء وفي أكثر الأشهر حرارة ومايتبعها، انني لم اقابل شيئا من هذا القبيل.

ولا تخلو من السراب بكل ما فيه من مظاهر خداعة. وقد واجهتنا مرة ريح السموم المميتة وتمكنا من مشاهدة ظواهرها الغريبة. وسوف لن الجأ الى اعطاء وصف مفصل لقبائل البدو التي تنتقل بين هذه الصحاري وما يجاورها من «النفود»، فالموضوع طويل جدا وليس جديدا كل الجدة. فهذه القبائل هي باختصار كما يلي. الشريعات (وهي قبائل عنيفة جدا) السورية العربية، والحويطات، وبنو عطية وقبيلة بشير، المغيرة في الشمال، هذا بالاضافة الى القبائل التي تزور المنطقة بين الحين والآخر كقبائل رولى وطيء وصقر وولد الى آخر هذه القبائل. ونجد في الجنوب الشرقي عشائر كثيرة من امثال عشيرة شمر والمنتفك والمساليخ وبني لام المفزعين، اما في الغرب الجنوبي فنجد قبائل مغر وحرب وعن قبيلة قديمة مزعجة هي قبيلة قحطان وقد وجدت في المناطق الوسطى قبيلة (سبأ) وهي تختلف عن سميتها في سوريا وقبيلة مطير (وهي قبيلة غنية) وعتيبة قبيلة الدواسر او آل علام، واخيرا وفي الشرق نفسه قبائل العجمان وبني خالد، وهي عشيرة واسعة الانتشار وبني حجر. وتتباين هذه القبائل في عددها وقوتها، ولكنها لا تزيد مجتمعة عن ٤٠٠ الف نفس، وهذا، على الأقل، هو ما وصلنا اليه بعد عد هذه القبائل واحدة اثر الاخرى وجمع عددها. ويوجد بين هذه القبائل فروع واختلافات في الاسم والصلة لا حد لها، ولكنها ترتبط كلها تقريبا بالقبائل الرئيسية المذكورة. ويكفينا هذا القدر الان. فهناك في وسط الجزيرة العربية ميدان مهم وجديد ينتظرنا.

وقبل ان اترك الصحراء نهائيا وانتقل الى السهوب وقرى الارض المعمورة يستحسن ان اضيف بضع كلمات عن الصحراء العربية الكبيرة الشاسعة وهي «الدهناء» نفسها. وهي تمتد من قطر وعمان في الشرق الى اليمن ووادي نجران في الغرب، وتحدها مناطق الاحساء والحريق والأفلاج ووادي الدواسر من الشمال وحضرموت من الجنوب، وهذه هي حدود هذه القاعدة العريضة من الدائرة الصحراوية.

اما طابعها العام - بالقدر الذي تسمح لي تجربتي الخاصة بالتحدث عنه - فهو مبالغة «للنفود» التي سبق ان وصفناها، بها اصقاع شاسعة ذات ارض يباب لم يمر بها او يزرها حت اكثر البدو تنقلا. ونجد بين الفينة والأخرى «واحات»، وهي عبارة عن جزر صغيرة مطروقة وموجودة في هذا الخضم من الرمال القاحلة لا سيما في المناطق التي تبرز فيها الطبقة الجيرية، ويتفجر الماء من بين هذه الشقوق فتنبت حوله اشجار النخيل

القصيرة او شجيرات الغضا المشعشعة التى ورد ذكرها كثيرا فى الشعر العربى.
ويقال ان الكثير من هذه البقع تقع على خط يمتد من الجنوب الشرقى من عمان الى اليمن، وتزداد عندما نقترب من حدود حضرموت. وهنا ايضا وكما قيل لى (لأن معرفتى الشخصية للدهناء تنحصر فى المناطق الشمالية والشرقية منها) تظهر قمم صخرية فوق الرمال بين الحين والآخر، ويذكر العرب ان هناك سلسلة كلسية منخفضة تقع فى الشمال الغربى من عمان وتحمل اسم «الاحقاف».

وقد اخذت بعض معلوماتى عن «الدهناء» عن بدويين ذكيين احدهما من قبيلة المناصير والآخر من قبيلة آل مرة، وكانا قد قطعا «الدهناء» فى اعرض نقطة فيها مصادفة ولم يكن هناك اى قصد للكشف من تلك الرحلة. وقد وصفا لى الواحات المذكورة آنفا وانه يسكنها نفر قليل من الزنوج والأحباش، اما الاجزاء البعيدة، فهى كما وصفاها، غير مسكونة ولا يمكن ان تسكن. وقد اخبرنى البدوى المناصيرى انه قد قطع الصحراء من حدود عمان الى حدود اليمن فى ثلاثة شهور تقريبا، ومن ثم لم يوفر هذا الظرف فكرة دقيقة عن العرض الجغرافى والحقيقى «للدهناء».

وتطوف القبيلتان المشار اليهما - اى المناصير وآل مرة - الاطراف الشمالية والشرقية من المنطقة بينما تحل قبيلة قحطان والقبائل اليمنية الأخرى فى اطرافها الغربية. ومعظم سكان الاطراف الجنوبية منها من السود، من اصل زنجى او افريقى على اقل تقدير.

ولكن هذه القبائل قليلة العدد نسبيا وفى حالة شديدة الفقر نتيجة لطبيعة البلاد التى يعيشون فيها.

وتشارك قبيلة المناصير ببعض خيرات عمان بحكم قربها منها. اما بدو آل مرة فهم متوحشون، اما لغتهم، فمع انها لا تختلف كثيرا عن اللغة العربية العادية فى شبه الجزيرة حتى تستأهل ان نصفها بأنها لهجة متميزة، فلها بعض الخواص المتعددة التى تحير سكان عمان ونجد عندما يتصلون بهم وهؤلاء البدو اصغر فى احجامهم واغمق فى الوانهم من بدو الشمال بل ان بعضهم - كما سبق ان قلت - سود تماما، ولكن هذا يرجع الى اختلاف الجنس.

ويكفينا هذا القدر من الكلام عن الصحراء. ولنعد الى ذلك الجزء من الجزيرة العربية وهو المناطق الوسطى، والمعلومات المعروفة عنها اقل دقة من تلك المعروفة عن غيرها. وسأبدأ بوصف ملامحها العامة وصفا موجزا وامضى بعد ذلك الى التفصيلات التى يتطلبها الموضوع والتى يتسع لها المجال.

ان تلك الهضبة الكبيرة التى يطلق عليها معظم الكتاب من العرب او الاوروبيين اسم نجد لا تبدأ، كما اكد البعض، من الجوف الذى هو عبارة عن تجويف، بينما تعنى الكلمة العربية

«نجد» على العكس من ذلك، «الاراضي المرتفعة» والجوف عبارة عن واد طويل في وسط الصحراء الصخرية يقع عند الطرف الجنوبي لوادي سرحان وعلى بعد متساو من جنوب شرقي دمشق وجنوب غربي بغداد. ويقع بينه وبين جبل شمر «النفود» التي سبق ان وصفتها. ومتوسط عمقها عما يحيط بها يتراوح ما بين ٢٠٠ و٣٠٠ قدم. وهو يحتوي على قرية كبيرة هي سكاكة وقرية الجون ودورا وسبع قرى غيرها بالاضافة الى مدينة الجوف نفسها التي هي عبارة عن ثماني مدن صغيرة مجتمعة. ويقدر مجموع عدد السكان ب٢٨ الف نسمة. وتكثر الينابيع في هذا الوادي الخصيب الذي تكثر فيه الحدائق وبساتين النخيل. وقد مكثنا في هذا المكان ما يقرب من عشرين يوما ثم قطعنا النفود الى جبل شمر. وهنا تبدأ الحدود الشمالية الاولى لنجد نفسها ويدل عليها ارتفاع جبل شمر تلك السلسلة ذات الصخور الجرانيتية الكبيرة التي تقطع اكثر من نصف شبه الجزيرة في اتجاه شمالي شرقي من الشرق، مبتدئة من جوار الحجاز العليا، ومنتهية في الصحراء بالقرب من الكوفة التي تعرف الآن باسم مشهد علي. ان هذه الجبال، او الصخور على وجه التحديد - لانها ليست اكثر من ذلك - ترتفع ارتفاعا مفاجئا وغريبا عن السهل، وتشكل السور الاول لنجد. ولا يزيد ارتفاعها على ١٢٠٠ قدم عن سطح السهل. لقد وصف (ولن) كثيرا من هذه الخواص الطبوغرافية بل وكثيرا من المدن والقرى المتناثرة في هذه المنطقة، ولكن هناك اشياء كثيرة يمكن التحدث عنها حينما يتسع المجال لذلك ويطلق اسم شمر، من الناحية السياسية، على تلك المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية التي تتألف من الجوف وتيماء وخيبر وجبل شمر وسلمى والقصيم الاعلى. ويحكم هذه المنطقة، التي تمتد من الصحراء المجاورة لمشهد علي في الشرق الى طريق الحجاج الكبير في الغرب، طلال بن رشيد الذي يقيم في عاصمته حايل. وعدد سكان هذه المدينة الحديثة الشهرة يزيد على ٢٠ الف نسمة، وقد بنى سوقها ومسجدها والقصر خلال الخمس والعشرين سنة الماضية. وهي مدينة ناشئة ناجحة تتجر مع مشهد علي والمدينة. وهي السوق الرئيسي للخيل والجمال للمناطق الشمالية في الجزيرة العربية. ويقدر عدد القرى الموجودة في جبل شمر باربعين قرية، واكبرها قانه ولقيطة وموجة وقفار وعدوة. ومجموع السكان الخاضعين لحكم طلال بن رشيد يزيد على نصف مليون نسمة وثلثهم من البدو. سكان جبل شمر من أحسن الناس، ولغتهم افصح لغات الجزيرة العربية.

وقد بقيت في حايل وما جاورها شهرا ونصف الشهر، ثم استأنفت رحلتي صوب الجنوب. وقد وصلنا الى جبل

سلمى بعد ان كنت قد اجتزت آخر سلسلة من سلاسل جبل شمر وقطعت واديا يقرب عرضه من ٢٠ ميلا ، وجبل سلمى عبارة عن سلسلة جرانيتية طويلة موازية لجبل شمر ولكنها اقل منه ارتفاعا وامتدادا، وقد دفن بين قممها النافرة حاتم طيء وهو من سكان هذه المنطقة ويضرب به المثل في الكرم العربي وحسن الضيافة. وتلي جبل شمر هضبة عرضها ٨٠ ميلا، واكبر طول لها هو من ناحية الغرب الى الشمال الشرقي. وهذا هو الجزء العلوي من القصيم. وهو سهل خصيب بوجه عام، ففي وديانه الكثيرة الممتدة من الغرب الى الشرق والتي تسقى وتزرع بالقرب من القرى الكثيرة المتجاورة التي ترصع صدر المنطقة، تنتج الارض من الرزق ما يكفي لعدد كبير من السكان.

وتكثر في تلك الحدائق التي تسقيها مياه الآبار الدائمة الموالح والقثاء والذرة والبقول والمشمش والدراق وغيرها من الفواكه، وتتكاثر اشجار النخيل، واشجار الأثل التي يستفاد من خشبها (والاثل) نوع من انواع شجر الطرفاء الذي يشبه شجر اللاريس، وهو شائع كثيرا في الجزيرة العربية وفي بلاد النوبة ايضا، اما اوراقه، فكأوراق فصيلته، تظل خضراء طول السنة، اما ثمارة فصغيرة مخروطية الشكل تشبه ثمار السرو، وخشبه خفيف ومتين تنبعث منه رائحة (التربنتين) وأصناف اخرى من النباتات مما يثبت خصب البلاد. ويتراوح عدد القرى بين ٢٠ و٣٠ وبعضها كقرية رقفا، يسكنها ما يقرب من ٢٥٠٠ نسمة.

وقد استولى امير جبل شمر طلال بن رشيد على هذه المنطقة من الوهابيين.

وتوجد بين هذه الوديان قطع من الأرض مرتفعة تغطيها الاعشاب العطرة والمراعي المختلفة. وتسمع وشوشة نسيم الصباح العليل، بفضل ارتفاع المنطقة، بين الأعشاب الطويلة والأشجار الملتفة، واذا كان المسافر على علم بالشعر العربي فانه يستطيع ان يفهم ويتذوق الثناء العاطر الذي كاله الشعراء، الذين نشأوا في الحجاز القاحل او في تهامة ذات الحر اللافح، لنجد بهوائها العليل ومراعيها الوافرة.

وقد عبرت هذه المنطقة في شهر سبتمبر. ولا يمكن ان تتصور ان هناك رحلة اجمل من تلك الرحلة. وقد اخضعت حكومة طلال بن رشيد البدو والعناصر التي تغير وتغزو، ولذا يسير المسافر في طريقة مطمئنا، وقلما يشعر بمثل هذا الاطمئنان في الشرق، فلا يخشى ان يسلب او يقتل في الليل او النهار. واتمنى لو يستطيع المرء ان يقول مثل هذا القول عن البلدان الواقعة تحت الحكم العثماني.

ونقطع هذا السهل في اتجاه جنوبي شرقي من الشرق مسافة تقارب ٨٠ ميلا. واقول «تقارب» ٨٠، لأنه لم يكن لدي وسائل اقيس بها المسافة المقطوعة وانما كنت آخذ متوسط المسافة المقطوعة

بحساب سير الجمل في الساعة الذي يتراوح ما بين ٤ و٥ اميال او اكثر من ذلك او اقل. هذه الملاحظة تنطبق على جميع المسافات المذكورة في هذا البحث.

ويتغير مستوى السطح كله على بعد ٨٠ ميلا او اكثر قليلا جنوبي جبل سلمى فيهبط هبوطا مفاجئا قدره ٣٠٠ قدم، بينما يشرف على هذا المنظر سهل فسيح هو سهل القصيم الرئيسي. وتتناثر الابراج والقرى والحدائق وبساتين النخيل كثيفة فوق سطح مستو يمتد حتى نهاية الافق، وهو منظر جميل وممتع جدا. وتبدأ هنا المقاطعة الجديدة، او القصيم الاسفل، الى الشرق من طريق الحجاج العريض في الحجاز وراء الذراع الصحراوي الذي مر ذكره مباشرة، ومن ثم تمتد في اتجاه شرقي عبر المنطقة الوسطى حتى تصل اخيرا الى ارض جبل طويق المرتفعة، وتعين منطقة السدير آخر حدودها. ويوجد في الاتجاه الجنوبي فرع صحراوي - « النفود » الذي فنيت فيه جماعة الفرس البائسة التي حلت في ضيافة مهنا - وتتفرع سلسلة منخفضة من الجبال من جبل طويق نفسه متجهة الى الغرب وتمر شمالي طريق الحجاج بين اواسط نجد ومكة، وتحدد الوادي.

ويمكن ان اشير هنا الى انه يوجد في بعض اواسط الجزيرة العربية اربعة ممرات متميزة او طرق مطروقة تتجه صوب الساحل الغربي، جميعها تقطع الدائرة الصحراوية عند ارق اطرافها.

واول هذه الطرق ذلك الذي يبدأ من حايل وجبل شمر الى المدينة ثم الى مكة، ويتصل بالحجاز عند خيبر. اما الطريق الثانية فتبدأ من عنيزة والقصيم وتنتهي بالمدينة، وتتصل بالمنطقة الغربية بالحناقية. اما الطريق الثالثة فتبدأ من الرياض والدرعية وشقرة، في وسط نجد، وتنتهي بمكة، وتدخل في منطقة مكة عند محطة المغاسيل - وهذه هي طريق الحجاج. اما الطريق الرابعة فهي ابعدها صوب الجنوب وتبدأ من اليمامة والافلاج وتسير في وادي الدواسر الى وادي نجران واليمن، وتتفرع منها عند قلعة بيشة طريق شمالية غربية تتجه الى مكة.

اما الطريق التي في اقصى الشمال، وهي التي سلكتها كما سلكها من قبلي ولن، من معان حتى الجوف، فقلما تسلك حتى انها لا تستأهل ان تسمى بطريق او مسلكا للقوافل. والى جانب ذلك يوجد خط من المواصلات يربط ما بين دمشق والجوف، ولكن قلما يستعملها المسافرون.

اما في الشرق فنجد خطوط مواصلات تربط ما بين الوسط والاطراف. والخط الاول وهو اكثرها دورانا هو الذي يصل ما بين الجوف ومشهد على، وكما قلت سابقا فان الجوف يكاد الا يتبع وسط الجزيرة العربية. اما الطريق الثانية فتمتد من حايل وجبل شمر الى الزبير والبصرة او تسلك في فرع شمالي يؤدي

الى مشهد على. وهذه الطريق مطروقة دائما. اما الطريق الثالثة فتربط ما بين القصيم والزبير مارة بزلفة حيث تلتقي بها طريق جنوبية تخترق اواسط نجد الى الرياض. اما الطريق الرابعة او الاخيرة (والتى سأتكلم عنها بتوسع فى معرض الحديث عن هذه المرحلة) فهى تمر من شرق الرياض وقلب نجد الى مدينة الهفوف فى الاحساء ومن ثم الى القطيف. وتترك نجد عند ينابيع الاويسط.

وهناك ثلاثة طرق دائرية من بين هذه الطرق الاربعة وهى حينما تتجه الى الشمال تتجنب «النفود» الرملية ولكنها طرق طويلة وموحشة. اما الطريق الرابع فيعبر «الدهناء» ، وهو الطريق الوحيد الذى يصل ما بين نجد ومناطق عمان بعد ان يدور دورة كبيرة فى قطر، ولو لم يكن هذا الطريق لكانت عمان مفصولة عن اواسط الجزيرة العربية «بالدهناء». ولقد حان الوقت لنرجع الى الحديث عن القصيم.

والقصيم من اكثر المناطق خصبا وازدحاما بالسكان فى اواسط الجزيرة العربية وقد روى عنها ذلك فى تاريخ الجاهلية. ومن هنا اندفعت اليها فى الزمان الاول جموع المحاربين النجديين التى لا حصر لها من قبائل بكر وتغلب وشيبان وذهل وغيرها من القبائل القريبة منها، هؤلاء الذين رفعوا عن كواهلهم، تحت قيادة كليب وائل، نير ملوك اليمن قبل الاسلام بمائة وعشرين سنة وحرروا اواسط الجزيرة العربية حتى جاء المحاربون الحجازيون من انصار النبي محمد واخضعوهم.

والحقيقة ان ظهور مدن رئيسية فى هذه المنطقة مثل بريدة وعيون والرس وعنيزة وسرية وغيرها وما حولها من التحصينات المنيعة والحصون الواسعة والحدائق الفسيحة والمزروعات وابراج المراقبة المطلة على السهل والاثار الباقية والتى تنم عن اعمال نحت حجرية قديمة، وتشبه كثيرا فى شكلها بل حتى فى حجمها الكرنك، وقد رايت بعضها بالقرب من الرس - كل هذا يدعم التاريخ المكتوب والحديث المتواتر من ان هذه المنطقة كانت مزدحمة بالسكان وعلى جانب كبير من الخصوبة، واهلها نشيطون والسلطة المركزية تتركز فى هذه المنطقة وكانت الحال هكذا حتى جاء الاسلام.

وفى القصيم ما يقرب من ٦٠ مدينة وقرية الى جانب الدساكر او مجموعة الاكواخ التى تحيط بالحدائق وبساتين النخيل المتناثرة هنا وهناك فوق السهل.

والفضل فى هذه المصادر الطبيعية يرجع الى وفرة الماء، مع ان الماء فى هذه المنطقة، كما فى غيرها من المناطق، يوجد تحت الارض. ويمكنك ان تحفر بئرا فى اى بقعة من وادى القصيم على عمق يتراوح ما بين ٣ و ٤ أقدام او ١٠ أقدام على اكثر تقدير، فالتربة ناعمة (لان الصخور قليلة فى هذه الاراضى المنخفضة)، والمياه المتدفقة غزيرة، ولا

تنقص الا قليلا اثناء وقت الجفاف الطويل فى فصل الصيف. وتفيض مياه الابار فى الشتاء على جوانبها وكثيرا ما تكون بركا كبيرة بل بحيرات صغيرة، وقد رأيت اثار الكثير منها فى هذا الجزء من رحلتى.

ونجد هنا ارتفاعا ملحوظا فى درجة حرارة الجو الرئيسية، كما نجد ان الفروق المناخية بين مناطق القصيم الجنوبية المنخفضة وبين المناطق المرتفعة من شمر وسلمى اكثر مما يتوقع المرء. وتساعد هذه بالاشتراك مع الرطوبة الزائدة على نمو انواع مختلفة من الخضراوات وعلى وفرتها. واسعار التمر رخيصة وانواعه جيدة ولا يفوقها فى النوع الا تمر الاحساء. وتكثر اشجار الفواكه التى ذكرناها فى هذه المنطقة، هذا الى جانب القمح والدخن والذرة والعدس وغيرها من النباتات التى تزرع على نطاق واسع وينبت، الى جانب هذه المحاصيل التى تستعمل للأكل، نوع ممتاز من القطن يشبه كثيرا القطن الذى ينمو فى الجزيرة Gujerat الهندية، وكثرته تؤكد ان هذه المنطقة تتمتع بطقس اكثر دفئا من شمال الجزيرة العربية.

اما السكان فطوال القامة وسيمو الطلعة يرسلون جدائلهم على وجوه صباح وتضفى عليهم مظهر الغواية نوعا ما. اما لون بشرتهم فهو زيتى فاتح، وقد تطالعك العيون السود، وان كان ذلك نادرا، اما شعرهم فهو اسود فاحم. ولما كان لباسهم يشبه لباس سكان المناطق الأخرى من نجد، فاننى سأواصل وصفة قليلا.

اما الحديث عن ظروفهم الدينية والسياسية فلا اجد الآن له مجالا فى حديثى القصير، وسأترك الموضوع - وهو موضوع شائق - الى فرصة اخرى اصف فيها رحلتى وصفا اكثر تفصيلا من هذا.

ولما كانت القصيم منخفضة نسبيا فغالبا ما يكون سكانها فاصلا بينها وبين نجد العليا التى سأصفها حالا.

بعد ان امضيت ما يقرب من الشهر فى البريدة والقصيم اتجهت صوب المشرق وقطعت النفود الذى يفصل ما بين هذه المنطقة والسدير، ومررت بقرية زلفة التجارية الكبيرة، ووجدت نفسى وجها لوجه امام مرتفعات الجزيرة العربية الشاهقة، وهى مرتفعات جبل طويق.

ان كل من يلقى بنظره على خريطة جزيرة العرب يلاحظ اسم جبل طويق (ويسمى احيانا تسمية خاطئة بجبل عارض) وقد وضع احيانا هنا واحيانا هناك عند سلسلة من الجبال متميزة فى انفصالها عن غيرها، وليست بعيدة عن وسط شبه الجزيرة. وجبل طويق عبارة عن هضبة كلسية، وما يسمى بسلسلة الجبال، ليس فى معظمه سوى شواهد على حدود هذه الهضبة، وهى اعلى من السهول المجاورة، ولها مظهر جبلى، وان كان لا يعقبها وديان او جبال عند الجانب الآخر، فهى تحد سهوبا مستوية لا يبعد

طرفها عن الساحل الشرقى كثيرا او تتلاشى تدريجا فى الصحراء الجنوبية.

ويشبه الشكل العام للهضبة الهلال العريض ويشكل طرفها الشمالى الشرقى مقاطعة السدير، اما وسطها فيشكل عارضا واليمامة بينما تكمل الافلاج والوشم والفرع الطويل والمرتفع الذى يتجه نحو الجنوب الشرقى الطرف الثانى. اما مقاطعتا الحريق ووادى الدواسر فهى توابع لها بعيدة تقع عند طرفها المحدب، اما القصيم فتقع فى تجويفها المقعر وتسمى المساحة التى يحتلها الهلال نفسه او جبل طويق باسم نجد العليا، وتسمى توابعها مع القصيم باسم نجد. ولكنها تسمية سياسية واثنوغرافية اكثر منها مساحية. ومع ذلك فان اطلاق الاسم بشكل اوسع يشمل جبل شمر بل حتى انه ليشمل، فى رأى الاجانب فقط، الجوف.

ان ارتفاع جبل طويق عما يجاوره من السهول يتراوح ما بين ١٥٠٠ و١٨٠٠ قدم وقد يصل فى بعض الاحيان الى ٢٠٠٠ قدم. واعلى قمة فيه هو جبل عطالة او «الجبل الاجرد» الذى يقع عند التقاء مقاطعة السدير بعارض بالقرب من وادى حنيفة عند خط عرض ٢٥° شمالا. وسأصف هذه الاماكن وصفا خاصا فيما بعد.

وتقطع هذه الهضبة عدة وديان متعرجة تسير فيها بين الحين والاخر مسافات طويلة واهمها واحقها بالانتباه الخاص هو وادى حنيفة.

ويسير هذا الوادى فى بدايته الغربية مع طريق الحجاج النجدية، ويظلان معا ربع المسافة اى حتى حدود الوشم الجنوبية بل وفى نطاق تلك المقاطعة حتى مدينة شقرة. وهنا يتفرع ويشكل شعبه (حرف Y باللغة الانجليزية) ويسير احد فروعه الى الشمال مارا بين الذراع الصحراوية (النفود التى مر ذكرها مؤخرا) وبين مرتفعات السدير، ويتسع الى الشمال الشرقى أو الشرق شيئا ما، من جبل شمر.

اما الفرع الثانى فيدخل، بعد ان يترك مدينة شقرة، مباشرة الى جبل طويق نفسه مارا بمنتصف منطقة عارض، حيث يأخذ اسمه الطبوغرافى وهو وادى حنيفة حتى الدرعية التى هى الان مجموعة من الاطلال.

وقبل ان يصل الوادى الى الدرعية بمسافة فرسخ يتفرع من الوادى فرع صغير ويتجه الى العاصمة الحقيقة وهى الرياض مباشرة. وهنا ينضم اليه المجرى الرئيسي لوادى حنيفة ثم يتجه الى المشرق حتى يتلقي بعد ١٠ او ١٢ ميلا بوادى صليح ويكونان واديا واحدا. ويتفرع منه فرع كبير عند مالكه وعلى مسافة قصيرة من غرب الدرعية، ويطلق عليه وادى حنيفة ويسير حتى وادى عيانة، ثم يسير الى الشرق من الشمال حتى يلتقى بوادى صليح اى بعد سهوب جبل طويق التى فى مقاطعة السدير.

واخيرا يمتد من هذا الوادى عند مدينة الرياض فرع جنوبى غربى نحو الافلاج وهكذا يكون اخيرا اتصالا رديئا مع وادى الدواسر والمناطق الجنوبية.

وهذه هى فروع وادى حنيفة وهذه طريقه وقد كان يعرف باسم وادى «مسيلمة» نسبة الى مسيلمة الذى ادعى النبوة .

ان ارتفاع هذه المنطقة العام بما فيها من سهوب عالية ووديان تشقها شقا، اكثر من بقية شبه الجزيرة فى اى اتجاه (باستثناء عمان) ويتضمن التعبير العربى «طلعة نجد» هذه الحقيقة كما يعنى التعبير العكسى «انحدار الحجاز» «الهبوط الى الحجاز والاحساء».

ويبدو لى، اذا لم تخنى الذاكرة ان (ولن) كان يرى عكس ذلك، وليدعم نظريته جاء بالتعبير الشعبي «نازل نجد» وهذا يعنى ان ارتفاع نجد اقل من ارتفاع جبل شمر او من اى من الاماكن الاخرى فى المناطق الشمالية الغربية من الجزيرة العربية التى لا حظها ذلك الرحالة.

وسوء الفهم هذا راجع الى عدم معرفة اللغة العربية معرفة حسنة حقا ان كلمة «نازل» تعنى «هابط» ولكنها عندما تستعمل فى الحديث عن رحلة فلا ترتبط بارتفاع المكان او انخفاضه، وانما تعنى عملية «النزول» (او يجب ان نقول «الترجل») عن البعير او الحصان عند الوصول الى المكان المنشود. وقد يقول المرء «نزلت» او «هبطت» عندما يتحدث عن زيارته لمدينة ولو كانت على قمة جبل. وبكلمة واحدة يمكن القول ان معنى الكلمة تحدده الظروف اكثر مما تحدده العوامل الطبوغرافية ولا سيما فى الجزيرة العربية. اما الكلمة الصحيحة «للنزول» بمعناه الاخير، وهي المطلوبة هنا، فهى «انحدر» او «حدر» وهذه لا تستعمل ابدا فى الكلام عن «نجد» وانما يستعملون فى الحديث عنها كلمة «طلع» او «صعد» وهذا استعمال طبوغرافى سليم. وقد تختلط هذه التعابير فى سوريا او مصر حيث تعلم ولن اللغة كما اعتقد، ولكنها لا تختلط ابدا فى الجزيرة العربية نفسها.

وقد سبق ان قلت ان الاراضى المرتفعة او طويق نفسه هى كلسية بوجه عام وان كانت تمتزج فى بعض الاحيان بالجرانيت، ونجد فيها احيانا الصخور الرملية الحديدية والكوارتز ـ وقد وجدت علامات كثيرة تثبت وجود الحديد الخام بكميات كثيرة فى الحدود الشرقية بالقرب من وادى صليبح، ومن النحاس الخام اذا لم اكن على خطأ. اما السطح العلوى للهضبة فهو جاف نوعا ما، اما نباتاتها فليست كثيرة ومتنوعة وان كانت تكفى قطعان الجمال والغنم الكثيرة التى ترعاها.

اما الاشجار القليلة التى تصادفها فهى اشجار الطلع الوارفة والشوكية

واشجار المرخ الكثيرة الاغصان واشجار السدر الجميلة ذات الاوراق الخفيفة والازهار الصفراء. وهذه كلها توجد فى الاراضى المرتفعة من الهضبة، اما فى الوديان فالأمر مختلف. ونجد احيانا سهوبا ثانية اكثر جفافا من الاولى ويزيد ارتفاعها عنها ٥٠٠ او ٦٠٠ قدم، اما الهواء فبارد وشديد وكثير الجفاف.

وهذه حال مرتفعات نجد، وهى ليست اكثر مراعى وهى اقل خصوبة فى صلاحيتها من الناحية الصحية. ولكن شبكة من الوديان تتخللها فى كل النواحى، وهذه الوديان مترعة بالحياة والحضارة. وتشبه احيانا فى انحدارها المفاجىء وفى شكل الخنادق الذى تتخذه وديان هضبة الدكن، وهى كثيرا ما تكون عريضة وقد يصل عرضها اكثر من فرسخ من الضفة الى الضفة. وان بياض جوانبها وانحدارها العمودى ليوحى اليك بأن يدا قد قدتها من الهضبة وقد تتخللها بعض المجارى التى نحتتها مياه امطار الشتاء فتراكمت بذلك اكوام من الصخور والحجارة الكلسية فى اسفل الوادى. وان ما يبدو على هذه السهوب من مظهر التيه ليرجع الى هذه الخطوط المعوجة فى هذه الممرات المجوفة، ومن ثم كان اسم جبل طويق يعنى «الجبل ذا التلافيف القليلة» او «المتشابكة».

ويمكن ان نلاحظ ان «طويق» هى تصغير «طوق» كما ان «لحيم» تصغير «لحم» و«رويس» تصغير «راس»... الخ وتستعمل كثيرا، وللتحبب فى معظم الاحيان، فى نجد، وكثيرا ما تستعمل لتدل على الالفة والمحبة وما الى ذلك اكثر مما تدل على صغر فى الحجم. وتلك هى الحال فى مسألة طويق.

وتربة هذه الوديان خفيفة بوجه عام ممزوجة بالرمل والحصى والجير والجص الجرانيتى والكوارتز. وفى الحقيقة ان هذه القيعان تتحول فى فصل الشتاء الى مصبات للمياه، وكثيرا ما تتهدم بيوت الطين المبنية فى تجاويفها. وقد رأيت من هذا الكثير فى زلفة وروضة والرياض نفسها. وعمر هذه المصبات قصير، فسرعان ما تنحسر المياه فى ثلاثة ايام او اربعة وتجف البرك التى تخلفت وراءها، وتبقى الرطوبة طوال السنة مختفية على عمق بضعة اقدام. وتوجد المياه فى مثل هذه الظروف بكثرة فى كل وديان نجد تقريبا، ومن ثم كثرت المراكز المزدحمة بالسكان والزراعة فى هذه المناطق. ولكن الحدائق والقرى والحقول والبساتين توجد جميعها فى بطون الوديان، ولذا تظل مختفية عن عينى المسافر حتى يقترب منها. ويوجد فى السدير، وهى منطقة واسعة ومرتفعة، ما يقرب من ثلاثين قرية ومدينة وبعضها قديم جدا كالجلاجل وحرم الله. اما الوشم فهى اكثر ازدحاما بالسكان، ومركزها المدينة التجارية شقرة. اما العارض فهى منطقة صغيرة ومهمة وهى قلب نجد. وليس فيها سوى ١٥ مدينة وقرية، ولكن منها مدينة

الريـاض وهى العـاصمـة والدرعيـة والمنفوخة وغيرها من المدن الهامة. وفى الافلاج عدد من المدن والقرى مساو لما فى العارض وان كان اقل منه فى عدد السكان وفى القيمـة السياسيـة. واكثر المنـاطق خصوبة وازدحاما بالسكان هى منـطقة اليمامة والتى كثيـرا ما تسمى بمنـطقة «الخـراج» اى «الدخل» لمـا تدفعـه من كميات طائلة من المال كل سنة للحكومة المركزية. اما وديانها فمشهورة باتساعها وتعـددها وغـزارة ميـاههـا، ومن ثم لم تشتهر مدنهـا الرئيسية مثـل السليمية وحلوة وغيرهما بكثرة السكان فقط وانما اشتهرت ايضا بما يجاورها من بساتين النخيل الواسعة والتى تبـدو للناظر من بعيد كأنها بسط خضراء مفروشـة هنا وهناك فوق ارض بيضاء او صفراء.

وتتألف المدن النجدية بوجه عام ـ اذ ليس عندى مجال لان اصفها كل واحدة على حدة ـ من مجموعة من البيوت ذات الطابق أو الطابقين ومبنية من آجر كبير غير محروق ولكنـه ينافس الحجـارة فى صـلابتـه وبقـائـه. وجميعهـا محـاطة بتحصينات طينية من اسـوار تعلو ٢٠ قدما، وتعلو فوق هذه الاسـوار الابراج ولكل سور ثلاثة ابواب خارجية او اربعة، محـاطة بالابـراج وتغلق عادة بـابـواب خشبية كبيرة كمـا فى مدينـة «مجمعة» عاصمة السدير ومدينة الرياض عاصمة العارض وغيرهما اذ نجد خندقا يحيـط بالمدينة كلها او بجزء منها. وكثيرا ما نجد فى جميع الاماكن الهامة حصنا مركزيا او قلعة داخل السور ترتفع اسوارها من ٤٠ الى ٦٠ قدما او اكثر من ذلك وهى سميكة جدا وكثيرا ما تكون مدعومة بسند. اما الباب فيكون عادة صغيرا وضيقا ويقع على طرف القلعة وبـين ابراج الدفـاع، والنوافذ ضيقة، وكثيرا ما يحفر خنـدق حـولها. ويقيم فيهـا الرئيس او الحاكم المحلى، اما المقاعد الطينية التى توجد فى الفضاء امام السـور فتدل عـلى الطابع البدائى لسامرى سموه او ضيوفه.

امـا الشوارع فهى، كمـا فى الشرق عمـومـا، قليلة التـرتيب والنـظام، فهى عريضة احيانا واحيانا ضيقة وهى ابدا غير منتظمة. ويوجد فى كل مدينة بل كل قرية سوق يتوسطها بالقرب من الحصن والى جانبه، كما فى نجد على الاقل، مسجد كبير غير عال. اما الحوانيت، او بالاحرى مخـازن البضـاعـة، فهى كثيرة فى هـذه المدن، وهى تشكل الجزء الاكبر من مكان السوق وتحتل المنطقة المجاورة له، ونجد هنا عددا قليـلا من الصناع ولا سيمـا المعـدنـون او من يشتغلون بصنـاعـة الجلود يـزاولون اعمـالهم. وهم اكثـر نجاحا من اصحاب الحوانيت القصابين والبزازين والبقالين.

وتوجد الحدائق خارج اسوار المدينة، ونادرا ما تكون داخل الاسوار، والحدائق هى الرفيق الدائم لاى مـدينة نجـدية، ويعتمد عليها السكان اعتمادا اساسيا فى معيشتهم. وتكثر فيها اشجـار النخيل،

كما انها لا تخلو من اشجار الفواكه الاخرى. وتوجد وراء الحدائق حقول القمح والبقول وترويها مياه الآبار المجاورة، اذ انه بدون رى صناعى دائم لا يمكن ان يكون هناك اى محاصيل زراعية فى وسط الجزيرة العربية. كما ان اشجار النخيل تسقى كل يوم تقريبا، اما اشجار الفاكهة الاخرى فتسقى اقل من ذلك ولا تسقى اشجار الاثل ابدا.

وتكثر الآبار وهي على عمق معتدل، بل اننى لم ار فى نجد اى بئر يزيد عمقها عن ١٢ او ١٥ قدما، بل ان العمق اللازم لاخراج المياه يقل عن هذا فى حدود العارض الجنوبية وفى اليمامة. وهكذا نجد الفرق واضحا بين هذه المنطقة ومنطقة جبل شمر حيث يوجد الماء على عمق ٦٠ قدما أو اكثر من ذلك. اما الرطوبة الكثيرة فى هذه المنطقة فهى راجعة الى قرب هذه المنطقة النسبى من الخليج وامطارها الغزيرة، والى ارتفاع هضبة طويق المجاورة وسهوبها، وهى اكثر ارتفاعا من قمم صخور شمر الخشنة.

وينضح الماء من الآبار بالدلاء (الجلدية بالطبع) المربوطة بالحبال وتمر فوق بكرات منصوبة فوق البئر وتسحب هذه الحبال جمال او حمير وفى النادر ثيران. والحقيقة ان الثيران غير معروفة او تكاد تكون غير معروفة فى مناطق جبل شمر والقصيم والسدير والوشم. ولكنها تظهر فى العارض واليمامة، وتزداد نسبتها كلما اقتربنا من الاحساء وعمان. وهذه الابقار حمراء اللون بوجه عام وصغيرة الحجم ويوجد سنام خاص فوق ظهرها واكتافها، كاخواتها الشرقية الثيران البراهمية.

ولن اقول شيئا عن الجمال، ويمكننا ان نتخيل كثرتها فى هذه البلاد التى هى بلاد الجمال. ووظيفة الجمال فى نجد بما تقوم به من اعمال وما توفره من ترف كوظيفة الخيل والابقار معا فى انجلترا او على الاقل قبل ان يقل استعمال هذه فى انجلترا لاتساع شبكة السكك الحديدية.

وكذلك ذكر خيول نجد لا يمت الا بصلة ضعيفة للموضوع الذى اتحدث عنه، ولذا سأؤجل التحدث عن تاريخها، الا اننى لن اترك هذه المخلوقات الجميلة دون ان اقول بضع كلمات. وهى من افضل خيول الجزيرة العربية بل وخيول العالم واكثرها اصالة. واطرافها خفيفة واحجامها صغيرة ومتوسط ارتفاعها يبلغ حوالى ١٤ قبضة وقلما يزيد عن ذلك، وهى عبلة الظهر والبطن تكون اذنابها اقواسا جميلة، اما السلسلة الفقرية فيها فهى منخفضة قليلا وكأنما هي سرج فوق ظهر حصان، مع ان هذه راجعة ايضا الى امتلاء رجلى الحصان اما منخره فهو مستدق، واذناه صغيرتان ومشرئبتان وعيناه نجلاوان وممتلئتان بالحياة، اما منكباه فمتحدران انحدارا جميلا على العكس من الخيول الفارسية او خيول الرأس، وكل ارجله

عظام وعضلات وهى نحيفة وكأنها قضبان من الحديد، اما الحوافر فصغيرة وجميلة، باختصار فانها تمثل اكثر الامثلة كمالا، انها «المثل الاعلى الجميل» لكمال الخيول.

وهى لا تستخدم لاداء الاعمال الشاقة مهما كانت بل تستخدم فى السفر مهما كان طول المسافة. وهى للحرب والاستعراض. ولا تباع ابدا، وانما تنتقل من رجل الى آخر بالميراث او الاهداء او السلب ولذا ليس لها ثمن. ومن ثم فانها قلما تترك وطنها نجد. وكانت هذه الخيول تهدى بين الحين والآخر الى السلطان وشاه ايران وحكومة مصر وكثيرا ما تهدى الى الحكومات العربية المجاورة والاجنبية. وان مثل هذه الخيول التى تهدى ليست هى افضل الخيول وهى ذكور، اما اناث الخيل فلا تهدى. وعلى كل حال فان عرب شمر والقبائل المجاورة سواء كانوا من البدو او لم يكونوا يحاولون كثيرا ان تحمل اناث خيولهم من هذه الخيول ويبيعون الفلو على انه حصان نجدى فى مشهد على وبغداد او سوريا. ومن ثم كان هناك الكثير مما يسمى بالخيول النجدية مما نجده بين الحين والاخر حتى فى مرابط الخيول الاوروبية، وهى حيوانات حسنة، ولكنها ليست خالصة النسب.

وليس على ان اعطى الان ـ مع اننى اود ذلك كثيرا ـ وصفا مفصلا لتاريخ الوهابية. ويكفى ان اقول ان فيصل بن تركى بن عبدالله بن سعود هو الحاكم السابع من هؤلاء الحكام وان نفوذه الان مبسوط على جميع القصيم الادنى ومقاطعات السليل ووادى الدواسر والافلاج والوشم وعارض والسدير واليمامة والحريق والاحساء والقطيف، ومع ان جزر البحرين ليست خاضعة بالمعنى الدقيق الا انها تدفع ضريبة له. واذا نظرنا الى الخريطة وجدنا ان مملكته تمتد فى حزام مستعرض يمر بوسط الجزيرة العربية من حدود اراضى مكة وقلعة بيشه ووادى نجران الى شواطىء الخليج. وتحدها من الشمال مملكة طلال بن رشيد المستقلة واراضى الكويت وتحدها من الجنوب الشرقى مملكة عمان ومن الشرق الخليج ومن الجنوب الصحراء اما من الغرب فتحدها جبال عسير واطراف مكة وطريق الحجاج الممتدة حتى المدينة. وهى الان من اكثر ممالك الجزيرة العربية تنظيما واشدها قوة، وان كانت ليست اغناها او اكثرها سكانا (فان عمان تفوقها فى هاتين الناحيتين) ومع انها لم تسترد قوتها بعد تلك الضربة التى انزلها بها ابراهيم باشا والاحتلال المصرى، الا انها تبدو قوية جدا امام جيرانها العرب، بل انها مصدر قلق للعثمانيين فى مكة.

وهناك واد عريض وطويل الى الجنوب الغربى من جبل طويق، يسمى بوادى الدواسر ويبتدىء عند مقاطعة الافلاج وينتهى بالقرب من قلعة بيشة. وسكانه

كثيرون وان كانوا فقراء. وهم اكثر الناس تعصبا بين الوهابين وقراهم صغيرة، وتتركز على مسافات متقاربة فى الوادى الرملى، اما بيوتهم فمعظمها اكواخ مبنية من سعف النخل، وهى بذلك تدل على حرارة الطقس المتزايدة ويضاف اليها وجوه الناس التى لوحتها الشمس ويتسع هذا الوادى عند نهايته الجنوبية الغربية عندما يلتقى بوادى نجران، وهكذا يشكل الطريق الوحيد التى تربط نجد بداخل اليمن وتمر وراء جبال عسير والسلسلة الممتدة على ساحل البحر. وهذه هى المعلومات التى استقيتها من ثقاة حول هذه المناطق. ومع اننى لم ازرها الا اننى اقتربت من نهايتها العلوية عند الافلاج فان عملية قتل مدخن التبغ (او كما يسمونه «شارب الاثم») تعتبر عملا يستحق الثناء. ولذا فاننى سأكون فى مأزق حرج، ويمكن ان يجد المرء او على الاقل الغريب مثلى، شيئا من التسامح فى المقاطعات الوهابية الاخرى وشيئا من الرفق بنبتة النيكوتين المضطهدة.

وسكان نجد بوجه عام، وعلى الاخص سكان المناطق المرتفعة او النجد الاعلى، اذكياء وظرفاء وحسنو الطلعة سود العيون والشعر، واطرافهم مشدودة وقاماتهم ممتلئة (ويتراوح متوسط اطوالهم ما بين ٥ اقدام و٨ بوصات و٥ اقدام و١٠ بوصات بل قد يزيد هذا المتوسط)، اما وجوههم فبيضاوية الشكل ومنتظمة اما سلوكهم فيتسم بالرزانة. اما السمنة فقل ان تجد اناسا منهم يتصفون بها، ولعل فيصل كان من اشد رعيته بأسا، ويمكن ان يعتبر هذا على انه متلائم مع مركزه. وان صبرهم على المشاق وشجاعتهم النادرة واستبسالهم فى الحروب وعدم تحدثهم الا بمقدار لهى اشياء مشهورة عنهم بل انها مضرب المثل فى الشرق، وان السلطة التى يتمتعون بها والتى يفرضونها على جيرانهم لترجع فى الدرجة الاولى الى هذه الصفات. وقد لقى كرمهم وحسن ضيافتهم من المدح ما هو اهل له. ولسنا نبالغ حين نقول ان المرء لا يجد مكانا فى العالم، او على الاقل فى اسيا، يقابل فيه بهذا اللطف والتسامح والادب كما يقابل فى نجد العليا.

وتقابل هذه الصفات الحميدة صفات اخرى هى التهور الشديد فى سفك الدم فى الحرب. ولا يتصف الجنس العربى بفساد الاخلاق كما تعنيه الكلمة عادة. وان العيوب الفاضحة التى تصم جيرانهم من الفرس قل ان تجدها بينهم، او اذا وجدت فان العقاب الذى يتعرض له صاحبها صارم وشديد.

اما اللباس فى نجد فمتشابه كثيرا. فالكوفية البيضاء او السوداء ذات الاهداب الحمراء او الصفراء التى توضع فوق الراس بدلا من العمامة. ثم قميصان ابيضان طويلان من القطن او من الصوف المغزول محليا، وهذان

الثوبان مطرزان هنا وهناك بالوان حمراء وزرقاء، ويوجد على احد القميصين جيب صدرى يوضع به قرآن صغير، واخيرا حزام جلدى طويل ورفيع ويلتف حول الجسم خمس مرات او ست واحيانا اكثر من ذلك ولا يلبس فوق القمصان وانما يلبس تحتها على الجلد مباشرة ويكمل اللباس الداخلى. واذا كان النجدى ميسور الحال فانه يلبس عندما يخرج من بيته قميصا ثالثا انظف من القميصين اللذين يلبسهما فى البيت ويلقى فوق كتفيه عباءة سوداء من الصوف او من وبر الجمال (وعندما تكون من وبر الجمال يكون لونها بنيا ضاربا للحمرة) ومطرزة باللون الاحمر حول العنق والصدر، وينتعل نعلا مفتوحا صنع فى البلاد نفسها، واخيرا يتناول فى يده عصا رفيعة او هراوة غالبا ما تكون من شجر السدر او من خشب النبع الاصفر الذى كانت تصنع منه الاقواس فى سالف الازمان، ثم يخرج الى الشارع بعد ان يكون قد استكمل لباسه وعدته .

وقليل منهم من يلبس العقال فوق الكوفية، وعندما يلبسونه يختلف لونه وشكله فهو احيانا ابيض واحيانا اسود ومهدب بهدب بيضاء او ينتهى بهدب ضاربة للحمرة اما العقل ذات اللون الاخير فهى عادة طويلة جدا وتلتف ثلاث او اربع مرات فوق الرأس وهى ناعمة ويفضلها عليه القوم. اما الفقراء فكثرا ما يستعيضون عن العقال بنهاية حبل. اما الذين يتصفون بصفة دينية او كتابية كالأمام والكاتب والمدعى والمطوع فيجب الا يلبسوه لانه يحمل الطابع الدنيوى. واستعاضت هذه الطبقات عن ذلك بالعصى اليدوية الطويلة.

ومع ان هذه القمصان تفصل وتخاط دائما فى البلاد الا انها غالبا ما تكون اوروبية او امريكية وقد جلبت من بغداد او دمشق او مكة، بل ومن الهند عن طريق مينائى الاحساء وعمان. وغالبا ما تحاك الملابس الصوفية فى عارض واليمامة. بل قد تنسج الملابس التى من القطن الذى ينبت فى بلاد العرب. ولون القطن ابيض فى نجد، ولكن هناك كميات مختلفة ضاربة للحمرة فى عمان حيث تستخدم لنسج الملابس. والقمصان طويلة تمتد من عنق لابسيها الى اعقابهم وليست ضيقة بل هى فضفاضة ومريحة. اما الاردان فهى طويلة كثيرا وواسعة ويجب ان تطوى باستمرار. وهى تطوى عند نقطة فعندما تنشر تبدو وكأنها اجنحة ضخمة.

اما المناخ فلعل خط العرض يتحدث عنه، فهو عادة حار اثناء النهار، والسماء تكاد تكون صافية. اما ريح الصبا فهو عليل ولا سيما فى الهضبة نفسها، والليل فيكاد يكون دائما لطيفا. ويشتد البرد فى الشتاء ولا سيما فى العارض ويحب كل انسان ان تظل ناره متقدة بانتظام فى الصباح والمساء خلال اشهر الشتاء. ويوجد الفحم فى السدير والجزء الجنوبى من طويق، ولكن السكان يجهلون

استعماله. وتسقط الامطار من حين لآخر في الفترة الواقعة بين نوفمبر وفبراير او حتى شهر مارس، وهي غزيرة في بعض الاحيان، ولقد رأيت نزول الامطار يسبقه الرعد ولكن البرق ليس ظاهرة كثيرة الوقوع هنا. والطقس في المدة الواقعة ما بين مارس ونوفمبر منتظم الجفاف والصفاء.

والرياض هي العاصمة الفعلية لنجد وهي مدينة محصنة ويقل عدد سكانها عن ٣٠ الف نسمة وتحيط بها الحدائق الغناء التي وهبتها اسمها. وقد بقينا فيها خمسين يوما ضيوفا على الملك العجوز فيصل بن سعود وابنه عبدالله، وظهرنا بمظهر الاطباء في المدينة.

ان مجموع المقاطعات التي تتألف منها الدولة السعودية احدى عشرة مقاطعة وهي: السدير والعارض والوشم والافلاج واليمامة (وتؤلف هذه المقاطعات الخمس نجدا العليا) الى جانب القصيم في الغرب ووادي الدواسر ووادي السليل والحريق في الجنوب والاحساء والقطيف في الشرق. مجموع سكانها مليون وسبعمائة الف نسمة، اما القوة العسكرية فتقرب من ٦٠ الف جندي. والحكومة ملكية ويتقاسم مهام الدولة رئيس الوزراء (محبوب) ووزير للشئون الخارجية (عبدالعزيز وهو نجدي) والقاضي عبداللطيف وهو حفيد الوهابي الاول ومجلس مؤلف من ٢٢ مدعيا. والحرف الرئيسية في نجد هي الزراعة والحرب. وكانت التجارة احدى هذه الحرف ولكنها ضعفت وليست هناك اي صناعات هامة الا تلك الصناعات التي يقوم بها الاسكافيون والحدادون.

وبعد ان نترك عارضا واليمامة نسير في وادي صليح ونخترق مرتفعات جبل طويق متجهين صوب المشرق، ونملأ قربنا بالماء الذي يكفينا اربعة ايام من آبار اويسط التي تقع على طرف المنطقة، ثم نعبر ذراع «الدهناء» او الصحراء الكبيرة التي تليها مباشرة. ونوغل في المسير ٨٠ ميلا حتى نصل متاهات وادي فاروق القاحلة والتي لا ماء فيها وتقع عند نهاية المنطقة الشرقية، حيث كاد مرشدونا ان يضلوا الطريق بالرغم من انهم معتادون على هذه البلاد. ونسير ١٥ ميلا اخرى ونصل السلسلة الساحلية الاولى من الاحساء ونمر بممرات غار وغوير الموحشة والمفاجئة ونصل الى الساحل الموازي للبحر الى الجنوب قليلا من مدينة الهفوف عاصمة المنطقة.

وهنا نجد انفسنا في جو آخر، وفي منطقة جديدة كليا. ولم يقابلنا في المنطقة الممتدة من حدود الجوف الى حدود نجد وجبل طويق اي نهير جار (باستثناء نهير صغير جدا لا اهمية له في السدير بين جلاجل ورويضة)، وليس هناك مجرى مائي فوق الارض، وتسقى الآبار والدلاء الارض. ولكن الماء ينبجس من الارض مشكلا جداول كثيرة، او قد تتجمع هذه المياه في آبار فتملؤها حتى حافتها. وهناك

عين كبيرة تبعد ٦ اميال الى الشمال من مبرز يجرى منها ما لا يقل عن سبعة جداول يكفى كل واحد منها لادارة طاحونة حسنة الحجم، ومن ثم كان اسمها «ام السبعة». وعرض قاعدتها الوسطى ٦٠ قدما. وهناك عيون مشابهة لا سيما فى المناطق المجاورة للهفوف والكلبية، وتغمر هذه العيون مساحات كبيرة من الارض وتحولها تماما الى مستنقعات وبعدها تمتد مياه واب نحو البحر مع انها فى الواقع لا تصله.

وتمتاز ينابيع الاحساء هذه بانها حارة كلها، حتى ان بعضها يؤلم اليد اذا غمست فجأة فى مياهه، اما الباقى فهو على درجة معتدلة من الحرارة، ولكنها جميعا تزيد حرارتها عن الحرارة العادية وحرارة الجو. وقلما تتعرض البلاد لزلازل على شىء من الاهمية، ولكن الزلازل الضعيفة موجودة. وقد ذكر لى احدهم انه قد حصلت زلازل فى زمانه وكانت قوية فتصدعت جدران البيوت فى الاحساء، وقد رأيت اثر ذلك باقيا. واستطيع ان اقول، بالرغم من عدم دقة العرب فى اعطاء التواريخ ان هذا الزلزال قد حدث ابان حدوث الزلزال العظيم الذى سبب فى سنة ١٨٢٦ اضرارا جسيمة فى سوريا وفلسطين. وليس فى هذا مدعاة للاستغراب فان مقاطعة الاحساء تكون الطرف الجنوبى لواد مستمر يصل فى اتجاه شمالى غربى الى جزيرة عمر فوق الموصل بل حتى الى ديار بكر، اما حوضه فيبدأ من الجهة المقابلة للبنان وجبال عجلون فى فلسطين حتى يصل الى حدود ايران، ويؤلف مقاطعة تشهد القرائن السالفة والحاضرة على ان جوفها منطقة بركانية. واليك وادى دجلة والفرات الذى يبدأ من جبال ارمينيا وكردستان وينتهى بالخليج الذى تقع على شطآنه وفى تجويفه مقاطعة الاحساء.

ومن بين الينابيع الحارة فى هذه المنطقة واحد يستحق ان نذكره بوجه خاص. وهو ينبوع ذو مياه كبريتية ويسمى (بعين نجم) ويقع الى الجنوب الشرقى من الهفوف، ويقصده عدد كبير من المرضى لا سيما المصابون بامراض جلدية او بالبرص (وهو مرض منتشر هنا) ويتداوون بها من الشلل. وقد امر الحاكم فيصل ان يلقم هذا الينبوع بالحجارة، وان يحطم الحوض الذى فوقه فى الخمس السنوات الماضية لان سكان الاحساء يؤمنون بقدرة هذه المياه على شفائهم اكثر مما يؤمنون بقدرة الله وحده.

والمزروعات، بطبيعة الحال، كثيرة جدا هنا وتتخذ طابعا شبه مدارى، ويزرع القطن والارز والنيلة فى هذه المقاطعة ولكن بكميات قليلة، ومن السهل التوسع فى زراعة هذه المحاصيل. وشجرة النخيل هى احد مصادر الدخل الرئيسية ولا تفوقها اى شجرة اخرى فى هذه البلاد. وليس لتمر الاحساء مثيل فى الجزيرة العربية لا سيما ذاك المسمى (الخلوص) وتزرع اشجار النخيل فى

الاجزاء الجنوبيـة، ويشكل التمـر مادة اساسية للتصدير.

وتقوم صناعات كثيرة تتعلق بالنسيج والتعـدين والذهب والفضـة والنحـاس الاحمر والاصفر بل وحتى الحديد حين لا يلزم صهره. ان مهارة السكان فى نسج العباءات وغيرها من الحلل وتطريزها هى موضع الاعجاب، وتنم عن ذوق رفيع، والمواد الرئيسية المستعملة لهذا الغرض هى الحرير والصوف والخيوط الذهبية. ويتاجر تجار المنطقة مع البحرين وايران والهند ولا سيما مـع مينائى كـراتشى وبومبى. وجميع الخيـول العربيـة التى تبـاع فى المكانـين الاخيـرين تحضر من الاحساء. اما الواردات الرئيسيـة فهى الارز والاقمشة والاسلحة والمصنوعات الزجاجية وما الى ذلك.

والارض رملية بوجـه عام، والتـربة خفيفة وكثيرا ما تكون ممزوجة بالكلس الناعم والميكا. الا انهـا خصبة كثيـرا، ومنظر الارض اكثر خضـرة من المناطق الوسطى. وتنبت اشجار النخيل القصيرة والاشجار التى من فصيلة الاكاسيـا او اشجار النبق دون ان يزرعها احد وحتى فى الاماكن التى لا تظهر المياه فيها فوق سطح الارض. وسطح الارض مستو فى معظم اجزاء البلاد بالرغم من ان بعض التلال الرملية والجيرية تتناثر هنا وهناك، اما التلال الجيرية فهى منخفضة وكهفية بشكل غريب. وينحدر السهل كله تدريجا نحو البحر، وقبل ان يصل الى مستوى الخليج ينخفض انخفاضا يبلغ ١٠٠ قدم او اكثر. وتكثر المراسى فى الساحل ولكن الماء عادة ضحل كثيرا فلا يسمح برسو السفن الكبيرة فى خلجانه، وانما تستعمل هـذه الخلجان كمـوانىء لقوارب صيـد السمك العربية.

وهنـاك فى الداخـل طوق طويـل من التلال الصخرية البيضاء يحيط بالمنطقة ويفصلهـا عن رمـال الدهنـاء القـاحلة. وهناك سلسلة مشابهة، وشاذة وان كانت ذات ارتفـاع متوسـط تقع بـالقرب من البحـر عند القـطيف. وتتضاءل التـلال صوب الشمال حتى تختفى اخيرا، بينما تليها ارض صلبة تشكل الطرف العلوى من الاحساء عند الكويت، وبذا تفصـل الاجزاء الاكثر خصوبة فى المنـطقة عن المناطق المجاورة للزبير والبصرة.

وتختفى التـلال فى الجنوب بـرهـة، وهناك تمتزج المقاطعة بالدهناء، هذا اذا استثنينا ممرا ضيقا يصل ما بينها وبين قطر وساحل البحر المباشر.

وهناك طريق واحد يصل ما بين هذه المنطقة وبين نجد ويمر بجبل طويق، وهو الذى سلكتـه ويـرى السكـان ان فيـه الكفاية.

ان المدن والقرى المأهولة كثيرة، اما الخربة فاكثر منها. وتحتل الهفوف رقعة من الارض تتسع لاربعين الف نسمـة، ولكن ليس فيهـا الآن اكثر من ٢٣ الف نسمة. ومثل هذا يمكن ان يقال عن مدن اخرى بقيت بعض اجزائها مثل الجون

ومبـرز والهديـة، اما القـطيف نفسهـا فتلقاها اطلالا. وقد قابلت فى كـل مكان امـارات تشهـد عـلى الغنى والازدهـار الدارس.

ان قصر زعماء القرامطة القدمـاء فى القطيف ليستحق من الوصف اكثر مما استطيع ان افعل فى هذا المقام. فهو قصر قـد بنى على الطراز المعمـارى الفارسى والعربى وزخرف زخرفة عظيمة ، وهـو قـائم بالرغم من مضى اكثـر من ثمانيـة قرون على بنائه وان كان فى حالة محزنة كثيرا. ان قلعة الهفوف الرباعية الكبيرة لمن الصروح المؤثرة كثيرا وهى تتحدث عن مجد غابر، وهى تكون جزءا كبيرا من المدينة وتحيط بها الابراج الضخمة التى يبلغ عددها ١٦ برجا فى كل جانب، وهناك حصن وخنـدق يحيط بهـا ولها ابـواب محروسة حراسة جيدة.

اما المراعى فهى هنا اقل من نجـد، وتحتل الزراعة الجزء الاكبر من الارض ومن ثم كانت الاغنام قليلة واللحم غاليا. ولكن نوعا ممتازا من الحمير يشبه حمير مصر يكثر فى هذه المنـطقة، امـا الوانها فهى عادة بيضاء او شهباء. ويوجد هذا النوع من الحمير على طول ساحل عمان بكثرة وتشكل موردا دائما حين تصدر الى جزر موريشيوس وغيرهـا من الاماكن. وقد تجد الثيران كثيرا، وقد رأيت عددا قليلا من الجواميس فى بعض المستنقعات القريبة من الهفوف. وعلى كل حال فـان الحيـوانـات المختـارة فى الاحسـاء هى الهجائن وهى ادنى من مثيلاتها فى عمان. ولونها فاتح وشكلها جميل (بالدرجة التى يكون فيها شكل الحيوان جميلا) وسريعة فى خـطاها، وسهلة الانقيـاد، وشعرهـا جميـل وناعم كشعـر القـطط، وهى من احسن الفصائل التى يود المرء ان يراها. ولكن شأنها شأن فصيلة الجمال كلها، لا ترتبط ابدا بصاحبهـا او براكبهـا، فاذا افلتت فانها لا تسلك السبيل الى مكانها، اما عن سهولة انقيادها فهى ذات طبيعة سلبية ، لا تنجم عن اى نوع من العطف او حفظ الجميل، كما هى الحال احيـانا عند الحصان او الفيل.

اما السكان فهم اكثر هدوءا واجتهادا واتجـاها نحـو التجارة من سكـان نجد ويكثر فيها الشعراء والعلماء، فى العلوم العـربية عـلى الاقـل وجميعهم يتغنـون (بلذات المعارك الكثيرة) وقد يركنون الى ظل ظليل او يأخذون مكانهم من جلسات المنادمة ويستمتعون بالاغانى وما الى ذلك من لذات تنوع حياتهم او ينصرفون الى اعمالهم، وهم اذكى من النجديـين وان كانوا اضعف منهم فى القوى الجسدية والصفات الحربية، ولذا فقد استسلموا بدون اية مقاومة.

ان مناخ الاحساء ادفأ بكثير من مناخ نجد ولا توقد النيران فى البيوت حتى فى شهـر ينايـر اما العبـاءات فلا تلبس فى فصـل الشتـاء. وفى الحقيقـة ان المـرء ليستطيع النـوم فى العراء طول السنـة تقريبا. ولكن الهواء رطب. اما مستـوى

الصحة هنا فهو اقل من مستوى الصحة فى وسط الجزيرة العربية، ولا سيما فى اراضى المستنقعات المنخفضة والتى تحيط بالقطيف حيث تسود الحمى المتقطعة والامراض الاخرى الناجمة عن هذه المستنقعات.

●●●

ويبقى علينا ان نتناول بالبحث جزر البحرين ومقاطعات قطر وعمان.

وقد قطعت المسافة الواقعة ما بين ميناء القطيف وميناء مدينة المنامة فى زورق عربى صغير، وتقع مدينة المنامة على الطرف الشمالى لجزيرة البحرين ومقابل مرفأ جزيرة محرق. والذراع البحرى الذى يفصل ما بين القطيف والمنامة ضحل كثيرا، وتستحيل الملاحة فوق مياه غير عميقة، وعندما يرتفع المد نادرا ما تصل المياه الى اغصان النخل المزروع هنا وهناك فى الاراضى السبخة على هيئة اسيجة رباعية لكى تمسك بالسمك الذى يرميه سوء طالعه بين هذه الجدران الورقية.

ان المضيق الذى يفصل المنامة عن المحرق ضيق، وعرضه يقل عن ميلين ويبلغ من ضحالته ان الرجل يستطيع ان يخوضه بسهولة ابان الجزر، فيصل من جزيرة الى اخرى. والمنامة مرفأ بحرى كبير يبلغ سكانها ٢٥ الف نسمة او اكثر من ذلك وبها ساحات اسواق واسعة كثيرة، وحصن شامخ على طرف البحر، يقطنه نائب الحاكم وهو على بن خليفة (اما الحاكم فهو محمد بن خليفة ويقيم فى مدينة المحرق) وعدة بيوت كبيرة وجميلة تتألف من طابقين او ثلاثة، ولكن معظمها الآن فى طريق الزوال، لقد الحق الغزو اضرارا كثيرة بتجارة البحرين وازدهارها.

وطول الجزيرة ٧٠ ميلا تقريبا وعرضها نصف طولها. والجزيرة بوجه عام منبسطة كثيرا ومنخفضة، وهي لا ترتفع اكثر من ٢٠ قدما عن سطح البحر ولا سيما في الجهات الشمالية والغربية. اما في الشرق فتوجد سلسلة من الجبال او من التلال على الاصح، يبدو ان اعلى قمة فيها لا تزيد عن ٨٠٠ أو ٩٠٠ قدم ويساعد على بروزها الاراضي المنبسطة. والتربة خصبة فى معظم الاماكن وينمو فيها الارز وعشب الحساء وبعض الفواكه ولا سيما الموالح. ويتوفر الماء فى الجزيرة وان كان مالحا فى بعض الاحيان.

ويعتمد السكان في معيشتهم على موردين رئيسيين هما التجارة وصيد الاسماك. اما التجارة فهى (او بالاحرى كانت ـ لانها تضعف يوما اثر يوم) حركة نشيطة كثيرا وتشمل دائرة كبيرة، فان سيلا دائما من التجارة يربط ما بين البحرين وسواحل عمان وايران والسند والهند الى جانب القطيف وبوشهر والكويت والبصرة. وحتى في هذا الزمن الذي ضعفت فيه الحركة التجارية نجد ان السفن الشراعية الكبيرة ـ بعضها

بني في الجزيرة نفسها وبعضها بني في لنجة الواقعة على الساحل الايراني والباقي بني في الكويت او الهند - تأتي الى الميناء او تقلع منه باستمرار وتزدحم البضائع المستوردة والمصدرة والبحارة ورجال الجمارك والحمالون والتجار فوق الرصيف - والكل في شغل دائم. وتزدحم فروع السوق المختلفة بالايرانيين والنجديين والعمانيين والمغول والسنديين والهنود والزنوج وتكاد هذه الاروقة ان تضيق بهم. ونجد في هذه المدينة من الحوانيت والصناع من حائكين ومعدنين - ما يربو على ما في مدن نجد العليا جميعها ولو انهم وجدوا تشجيعا اكثر لزاد عددهم عن ذلك كثيرا .

وتزدحم المقاهي التي حرمها الوهابيون في نجد بالتجار وربابنة السفن او من اجتمعوا لقضاء اعمالهم او سماع الاخبار. اما المساجد فقد اهملت نسبيا، وذلك لبعض الاسباب. وتسير مواكب الزواج في الليل والنهار تتقدمها الطبول والمزامير وفرق الانشاد، ويبتهج المواطنون بذلك .

ونجد في نفس الوقت نسبة كبيرة من السكان تعمل في الغوص على اللؤلؤ. وتزدحم هذه المياه الضحلة التي تحيط بالجزيرة بمئات القوارب في المدة الواقعة ما بين شهري ابريل ونوفمبر، وتلاقي نجاحا كبيرا. وتجبي الحكومة الضرائب عن القوارب وعن اللؤلؤ ويرسل قسم من هذه الضرائب الى عمان. وسوق اللآلىء الرئيسي هو بغداد حيث يكاد اليهود يحتكرون هذه التجارة .

وتكثر الاسماك المختلفة على مسافة من الشواطىء ، وتكون الطعام الرئيسى للسكان وتباع اسماك الفندر والسرطان البحري والمقريل والربيان وغيرها بأسعار زهيدة. ولقد وجدت ان متوسط اسعار السمك هنا يبلغ ١/ ٢٠ من اسعاره في بيروت. وفي نفس الوقت نجد ان اسعار لحوم الابقار والاغنام غالية ومن نوع رديء. ويكاد يكون لحم الجمال غير معروف هنا، على العكس من نجد، وليس ذلك خسارة كبيرة .

أما المناخ فهو لطيف وليس باردا ابدا وقلما يكون حره مضايقا اما طابعه العام فهو الرطوبة الكثيرة. وهو نتيجة لذلك ليس صحيا، وفي الحقيقة ان الاماكن التى استطعت ان ازاول فيها عملي الطبي مثل البحرين قليلة . والطابع الجسماني للسكان يختلف كثيرا عن سكان وسط الجزيرة العربية، مع انهم يشبهون سكان الاحساء الى حد ما فمعظمهم صغار القامة ونحفاء ولا تبدو عليهم القوة العضلية فهم في ذلك يقتربون من الجنس الهندي نوعا ما.

ويمتازون بملامح واضحة ومتميزة ونظرات تتسم بالذكاء وان كانت قلما تتسم بالحيوية. ويقيم في البحرين كثير من الهنود الذين يشتغلون بالتجارة والذين جمعوا ثروات كبيرة عن طريقها، وهم يحافظون على عادات بلادهم

وتقاليدها ولا يتزاوجون ابدا من سكان البحرين. اما العرب فهم من جنس خالص النسب متميز عن غيره. كما انك تقابل الايرانيين كثيرا في المدن وقد اندمجوا مع غيرهم فاصبحت لا تستطيع ان تميزهم عن غالبية السكان. ومنذ عهد ليس بالبعيد كانت تعيش في البحرين جالية يهودية صغيرة، ولكن محمد بن خليفة طردهم منها .

وكان الملك الوهابي منذ بضع سنين يأخذ ضريبة سنوية قدرها ١٨٠٠ جنيه من هذه الجزيرة. وبموجب هذا يرسل الى الجزيرة من حين لاخر بعض رجاله ويكثر المالطيون (ولاسباب اخرى) على شواطىء البحرين وعلى ساحل الخليج الفارسي كله اكثر من اي مكان اخر في الشرق. ويقيم بعض سكان البحرين في جزيرة قيس الصغيرة والى الاسفل منها في هذا البحر، في مينائي لنجة وبندر عباس ثم في مدن البيضاء والدوحة والوكرة في قطر والشارجة وفقيرة وصحار والزيب ومطرح ومسقط في عمان. وحيثما حلوا يتميزون عن غيرهم بالتفوق في التجارة والمهارة الصناعية .

ان جزيرة المحرق اصغر من جزيرة البحرين بكثير، والمرفأ الرئيسي، وهو الذي يسمى باسم الجزيرة، اقل من المنامة في الاتساع وفي السكان. ويغلب العنصر العربي على العنصر الايراني في المنامة، والتجارة اقل نشاطا من البحرين. والجزيرة كلها منخفضة ومستوية ولكن تربتها الرملية اكثر جفافا من اختها على الشواطىء الضحلة ومناخها اكثر ملاءمة للصحة. وهناك قلعة مربعة منيعة تتحكم في الممر الشرقي للقناة التي تفصل ما بين الجزيرتين، ولكنها الان مهجورة تماما ، وقد تحولت الى مربض لخيول وهجائن الحاكم. وتوجد قلعة اخرى مشابهة لهذه وان كانت اكبر منها بكثير - انها حصن في الواقع - فوق ارض البحرين الرئيسية الى الشرق من المنامة وقد جردت هذه القلعة من آلات الدفاع تجريدا تاما .

ومجموع القرى الموجودة في الجزيرة يبلغ ثمانين قرية، وبعض هذه القرى من التي زرتها كبيرة الحجم نوعا ما، بالرغم من ان معظم البيوت ليس اكثر من سقائف مبنية من سعف النخيل وهذه هي التي يتطلبها المناخ ، وتتناثر بين اكواخ الفقراء هذه بنايات كبيرة مبنية بالاجر والحجارة ومظهرها يتحدث عن الفخامة .

ونأتي بعد ذلك الى البلاد المجاورة وهي قطر. ويحكمها عدة شيوخ محليين واهمهم محمد بن ثاني وهو رجل عجوز ممتاز اشتهر بالحكمة والروية والرقة ويقيم في ميناء البيضاء. وليست له سلطة مباشرة على الشيوخ الاخرين شيوخ الوركة وصبارة وصور وغيرها. ولمحمد بن خليفة حاكم البحرين نفوذ كبير في هذه المنطقة .

اما طابعها العام صوب الداخل فهو

جدب متناه، وقلما تجد فيها حدائق او حقولا مزروعة ، والماء نادر والآبار عميقة وقلما تكفي للاستعمال في البيوت، ودع عنك مسألة الري. وهي ليست سوى شريط ضيق من المراعي يمتد بين التلال المنخفضة التي تلاصق الساحل وتمتد الى الداخل. وتتناثر قرى كثيرة فوق الساحل ويزيد عددها على ٤٠ قرية، وتعتمد في معيشتها على البحر لا على الارض. ويكاد السكان يعتمدون اعتمادا كليا على الغوص على اللؤلؤ، وهذه المنطقة اشهر منطقة معروفة لانتاج اللؤلؤ في العالم. وفصل الغوص على اللؤلؤ يمتد من اواخر شهر مارس الى منتصف شهر نوفمبر تقريبا، وبسبب استمرار الغوص الكثير والطويل امراضا كثيرة تصيب السكان ، وهي امراض جسمية وخلقية .

ونجد بين الفينة والاخرى ابراج مراقبة على طول التلال التي في البلاد هذه التلال التي هي عبارة عن امتداد لسلسلة جبال الاحساء البحرية وهي تستعمل بمثابة قلاع وحصون يلجأ اليها رعاة قطر حينما يهاجمهم جيرانهم ـ وكثيرا ما يفعل ذلك ـ بنو ياس والمناصير او بدو آل مرة وقد خرقت ابواب هذه الابراج على ارتفاع ١٢ قدما من الارض ولا يمكن الوصول اليها الا بالحبال التي تتدلى منها فيسحب بها من يلجأ اليها ابان الحصار.. وتوجد مراع صغيرة وراء هذه التلال حيث يرعى البدو الذين مر ذكرهم ابلهم، وتوجد وراء هذه المراعي تلك الامواج الشاسعة والتي لا امل فيها من رمال الدهناء التي تمتد حتى اليمن .

اما الهواء فاكثر جفافا من البحرين والمناخ اكثر برودة بالرغم من ان هذه البلاد تقع الى الجنوب من البحرين ـ ومياه ما يجاورها من البحر ضحلة جدا، ويسميه الناس «بحر البنات» حين يسخرون من مظهره الهادىء والذي يشبه بركة من البرك. ولعل حركة المد والجزر التي تحدث مرة كل ٢٤ ساعة ـ والتي تحدث مرة كل ١٢ ساعة في البحرين ـ هي وحدها التي تبقي على هذا البحر فلا يتحول الى ركود مطلق. وقد عكره الوحل وبه كميات كبيرة من الاسماك الى جانب محار اللؤلؤ. ومياهه مليئة بالمريجات التي تضيء كثيرا في الليل والحقيقة ان هذه الحالة تمتد على طول الخليج وحتى في المناطق العميقة منه. ويعزو العرب هذه الظاهرة الى نار جهنم التي تقع تحت مياه البحر مباشرة والتي قد تتلألأ في سطوح زجاجية حسب منطق هذه النظرية. ولكن العرب (النجديين بالطبع) لم يستطيعوا ان يعطوني معلومات ايجابية حول هذه النقطة. وتصطف جزر لا حصر لها (لقد سمعت اسماء اربعين جزيرة عدت امامي واحدة بعد الاخرى) على الجون، ولكن المياه العذبة لا توجد الا في القليل منها، مع ان بعضها ـ كجزر فارور وحالول وابو موسى ـ كبير الحجم وجبلي وقد اضطررت لقضاء يومين في الاخيرة فقد هبت عاصفة

منعتني من متابعة السفر ولذا كان عندي الوقت الكافي لاجوبها من «وسطها حتى شاطىء البحر» ومن الواضح انها بركانية وتتوسطها قمة على شيء من الارتفاع وبها ينابيع قليلة ذات مياه مالحة .

وتصل الصحراء ساحل البحر بين قطر واقرب حدود مقاطعة الشارجة الى قرية ابي دبي، ويقرب امتدادها على ساحل البحر من ١٠٠ ميل تقريبا. ويحتل هذه المنطقة القاحلة بدو بني ياس وهم كثيرو الغزو والقتل وقد كانوا قراصنة من قبل وقد كسر من شكوتهم في البحر العلم البريطاني. والقرية الوحيدة التي هي ذات اهمية ـ انها مدينة صغيرة في الواقع ـ هي قرية صور، وهي تعيش كما يعيش غيرها على الغوص على اللؤلؤ .

ويحمل الساحل الممتد من ابي ظبي والمقاطعات الداخلية التي تقع عند رأس الحد وحوله في الجهة الجنوبية الشرقية حتى ظفار اسم عمان، وهذه التسمية سياسية اكثر منها جغرافية وتدل على ان السلطة العليا لسلطان عمان، ثويني بن سعيد، نافذة نفوذا مباشرا. مع ان حاكم الشارجة المحلي خالد بن صقر قد اقام حكمه الاستقلالي فوق الجزء الاكبر من منطقة رأس مسندم وهي تتألف من المقاطعات الثلاث وهي الشارجة ورؤوس الجبال وكلحات .

وتعطينا حكاية القبطان ولسند فكرة معقولة عن كثير من عمان ولكنها ليست فكرة كاملة اذ كان المسافر المقدام يزور المملكة في وقت كانت فيه جيوش الوهابيين تضايق المناطق الشمالية والغربية ثم ان مرضه قد اختصر من ابحاثه تلك الابحاث التي ضيقتها شخصيته الاوروبية الواضحة وبالرغم من ان الغيرة الكثيرة من الاجنبي ولا سيما الاوروبيين تعم نجد، الا انها في عمان موجودة بدرجة أخف، وهناك شعور يعم نفوس المواطنين وهو منع الاجانب من رؤية أفضل بلادهم او اغنى مدنهم، خوفا من ان يستبد بهم الجشع وتأتي الظروف التي يضايقونهم فيها او تنجم نتائج غير مرضية .

ولم استطع ان اختبر بنفسي المناطق الداخلية فحصا دقيقا وشاملا كما اود ان افعل. وكان السبب الرئيسي في عدم قدرتي على القيام بذلك هو تلك الرحلة التي طالت كثيرا وتحملي الكثير من الصعاب، مما ادى الى اعتلال صحتي ووهن قواي، حتى خيل الي ان نهايتي قد قربت وان ايامي معدودة. ولعل حمى التيفوئيد هي التي اتخذت القرار الحاسم، ومهما يكن من امر فقد امضيت في هذه الزاوية من الجزيرة العربية ما يقرب من شهرين قبل ان يلم بي المرض وقد مكنني هذا الوقت من ان ازور بنفسي وان اختلط مع السكان المطمئنين بسهولة وان احصل على معلومات كثيرة وقيمة عن عدة اشياء. سأصف الآن بعض الملامح الهامة التي تتميز بها البلاد وسكانها كما عرفتهم .

ان عمـان ـ بـالمعنى الواسـع ـ هي امتداد للسلسلة الساحليـة التي تطوق الجزيرة العربية، وان ارتفاعها وعرضها في عمان ليزيد عن ارتفاعها وعرضها في اي مكان اخر. والنهاية الرئيسيـة لهذه المنطقة هي سلسلة جبـل الاخضر الذي ترتفع اعلى قمة فيه بين برقة ومسقط على بعد ٦٠ ميلا من الساحل بينمـا تستمر سلسلة من قممه في اتجاه شمالي غربي من شمال رأس مسندم وفي اتجاه جنوبي شرقي حتى راس الحد. ويبلغ متـوسط بعد السلسلة عن البحر ٤٠ ميلا تقريبا ولكنها تقترب اكثر من ذلك بالقـرب من رأس مسندم حتى تمتزج فيه اخيرا بينما تبتعد عن الساحل في باطنة وجيلان .

وتتفـرع من هـذه السلسـلة عـدة سلاسل اخرى تشكل الجهـاز العظمي للمنـطقة كلهـا. فهنـاك عنـد نهـايتهـا الشمـالية سلسلة من الهضـاب تسمى بجبل عقدة، وما ان تتجه صوب الجنوب الغربي وتصل البـريمي حتى تصل الى ارتفـاع مناسب. ثم تتجـه الى الجنوب الشرقي وتسير مـوازية للجبـل الاخضر وعلى بعد كبير منه وتحدد هذه السلسلة المنـطقة الداخليـة او الظهيـرة وهنـاك سلسلة جبلية اخرى تبدأ عند برقة وهي في بدايتها ليست سوى صخور جـرداء ولكنها سرعان ما ترتفع ارتفـاعا كبيـرا وتسير محاذية للساحـل حتى تصل الى صـور، وتتصل في نفس الوقت بـالجبل الاخضر بسلاسل متقاطعة توجد ما بين برقة ومسقط وتكون هذه حدود الباطنة . وتكون هذه الهضـاب بعد صـور عقدة كبيرة تحيط برأس الحد وتلتقي بالظهيرة وراء الجبل الاخضر .

وتتـألف هـذه الجبـال ـ ولاسيمـا السلسلة السـاحليـة والجبـل الاخضر نفسـه ـ من البازلت والجـرانيت بصفة رئيسية مضافـا اليها الميكـا والكوارتـز والصبار. اما في الجنوب والشرق فتبدا المادة الجيرية والطباشيرية في التغلب وقد وصفت الهضاب المنخفضة التي تسير محاذية للساحل من رأس الحد الى ظفار بأنها تتكـون من هذه المـواد في الدرجة الاولى، وان كان بعضها اذا صـح ظني يتكون ايضا من البازلت .

وتقـع الصحـراء التـي سبـق ان وصفناها وراء الظهيرة. ولم استطع ان ارى من فـوق المـرتفعـات التي وراء الشـارجـة اي انقـطاع لامتـداد تلك الصحـراء المحمـرة واذا صحـت تلك المعلومات التي نقلها الي البدو كان هناك على بعد معين من الظهيرة سلسلة طويلة ومنخفضة وبيضاء (جيرية) تتـألف من الصخور ومن التلال الرمليـة يسمونهـا الاحقـاف وتشكل طرف سلسلة عمـان. وقـد ذكـرت هـذه التـلال في «ديـوان الحماسة» لابي تمام. ولعل وادي جبرين المثبت في بعض الخرائط وان كان لم يثبت في اي خريطة انجليزية هو احد وديـان الاحقاف او انه مطابق للاحقاف نفسها .

هذه هي الخطوط العامة لعمان ـ وهي

خطوط كثيرا ما تمتلىء بالاراضي الخصبة والمزروعة فالاجزاء الواقعة منها ما بين البحر والجبل الاخضر ـ اي مقاطعة باطنة ـ غنية في محاصيلها الا في الاماكن التي تظهر فيها السلسلة الساحلية الصخرية. وتكاد تكون جميع نباتات الباطنة هندية، فشجر جوز الهند يمتزج بالنخيل ويعلوها اشجار البتل ـ اما اشجار المانجو فتبسط ظلها الوارف واشجار الباباز التي تزين الحدائق ـ ثم نباتات المنطقة المدارية المتسلقة التي تمتد من فرع الى اخر ـ وتجري تحت هذه جميعا شبكة من الجداول تأتي من الجبال او تنبع من الارض فتعطي الارض من الحياة والخضرة شيئا لا يتمتع به اي مكان في الجزيرة العربية. وحقا ان هذا المكان هو حديقة شبه الجزيرة. وتزين القرى الكثيرة وبعض المدن الهامة هذه المقاطعة. وسأتكلم عنها كلاما منفصلا فيما بعد.

ويحتوي الجبل الاخضر ومنطقة امتداده في بلاد بني ابي علي وجيلان على وديان خصبة كثيرة مليئة بالخضرة الجمة والمحاصيل الكثيرة. أما القرى فهي بيوت قد تجمعت كل بيت فوق الاخر على سفوح الجبال، وتذكرني بالمناطق الاكثر سكانا في لبنان والتي تقع فوق بيروت في بلاد سوريا. اما الكروم، والتي امتدحت خمرتها (رغم انني لم احتسها) فتكثر فوق منحدرات الجبال، وتكثر السيول الجارية من شماريخ الجبال، ولكنها لا تصل الى البحر الا وقت الشتاء حين تتحول الى سيول عارمة. وقد وجدت في هذه المنطقة كما وجدت في الباطنة شجرة البيبول الهندية. اما اشجار النخيل فكثيرة وقوية، ولكن انتاجها اقل من انتاج الاحساء. ويزدهر في هذه المنطقة قصب السكر والقهوة والنيلة والقطن الابيض والاحمر. ويكثر القطن الى درجة كبيرة، اما القهوة فهي اقل جودة من قهوة اليمن، وهي تشبه الانواع الهندية. ويكثر النحل في المنطقة الجبلية ويجني منه عسل ممتاز ذو لون ابيض.

اما الجبال فهي احيانا جرداء ـ وان كانت في الغالب مكسوة بالغابات او على الاقل جزء منها ومن ثم جاء الاسم «الاخضر». أما السكان فهم جنس متميز ولعلهم يشبهون الى حد ما الجنس الحبشي، وهم يقولون انهم من نسل القحطانيين الذين كانوا يقيمون في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام بعدة قرون ويعتقدون ان اسلافهم قد هاجروا الى هذا المكان من اليمن في زمن مبكر. اما بعضهم فيزعم انه ينتسب الى بعض القبائل اليمنية او النجدية في الزمن المتأخر كقبيلة فزارة في الباطنة. ويحكمهم حكام محليون يدينون جميعا لملك عمان. واقوى السلالات واقدمها هى سلالة اليعاربة التي تنتسب مباشرة الى يعرب بن قحطان وكانوا من قبل حكام عمان حتى جاءت سلالة سعيد التي تسلمت مقاليد السلطة منذ ١٤٠ سنة ولا تزال

متسلمة لها. ومن القبائل القوية والمتزعمة قبيلة الغفارى وقبيلة الجلاندى - ومعظمهما يقيم في الجنوب الشرقي من المنطقة .

اما مسقط فهي المرفأ البحري الذي يتردد عليه الاوروبيون كثيرا، وهو اكثر مكان معروف لدى كثير من الرحالة السابقين وليست مدينة مسقط عاصمة السلطنة الحقيقية بالرغم من اهميتها كما انها ليست المقر الحقيقي والرسمي للسلطنة. وهناك في عمان ثلاث مدن معترف بها على انها تحتل هذه المرتبة وهي صحار ونزوة وبهلا وقد قال كل من زار هذه المدن ان المدينة الاخيرة - وقد اقعدني المرض عند زيارتها - هي اكبر مدن السلطنة واكثرها زينة وزخرفة. وقد وصفها لي احد سكان الاحساء الاذكياء واسمه بن خميس وكان قد اقام بها ردحا من الزمن فقال - ان هناك سورا ثلاثيا على جانب كبير من الارتفاع والمناعة يحيط بها وفي وسطها سوق واسع ومسقوف ويسمونه «بالقيصرية» اما البيوت فهي تتألف - كما وصفها لي - من ثلاثة طوابق، وشوارعها كبيرة ومنتظمة وبناياتها من الحجارة وقد ذكر لي ان الطريق اليها تسير بين مضيق من الجبال المكسوة بالاحراش جميلة جدا وذكر لي اخيرا ان عدد السكان يقرب من ٣٠ الف نسمة .

أما صحار التي انفقت فيها بضعة ايام فهي باعتراف الجميع اقل من بهلا في كل شيء ومع ذلك ففيها من الزينة والقوة ما في بهلا اما سكانها فيبدو لي ان عددهم يزيد عن ٢٠ الف نسمة مع انهم قد قلوا في السنوات الاخيرة. ومن ثم يمكننا ان نستنتج ان الوصف الذي تقدم عن بهلا ليس مبالغا فيه كثيرا، ولا شك ان كمية المصوغات من الذهب والفضة وهي على جانب رفيع من الصياغة، التي رأيتها مجلوبة من بهلا لتباع في اسواق الباطنة ومطرح ومسقط وغيرها تعني ان فيها حركة تجارية نشيطة وانها مدينة غنية. اما نزوة فهي من حيث الحجم على الاقل في حجم صحار وان كانت اقل منها تهدما. وهي المصيف الذي غالبا ما يحل به الملك او السلطان (كما يسمى هنا) الثويني، وفي المدينة صناعة كبيرة للسكاكر المتازة .

ولم اجد في الجزيرة العربية حضارة وطيدة الاركان وعالية مثل الحضارة التى وجدتها في عمان. فانك تجد فيها البيوت الحجرية المؤلفة من ثلاثة طوابق او اربعة ذات مداخل واسعة وممرات مقوسة وجدران مدهونة واثاث كثير يكفي كل الاغراض اما الضيافة وحسن اللقاء فهي ممتازة، وكذلك الحال في لطف الحديث ونظافة الملبس وزخرفته وأشياء كثيرة اخرى من نفس الطراز. وسأورد بعض نقاط قد تساعد على اعطاء صورة واضحة ومقبولة عن هؤلاء الناس .

ان لباس العمانيين يختلف كثيرا عن لباس النجديين الذي سبق وصفه. فهم

يلبسون بدلا من القميص الطويل مئزرا عريضا يأتزرون به ويمتد من الوسط الى الركبتين، وهو غالبا ما يكون مذيلا بالحرير ويلبس حول المتن وفوقه حلة طويلة من القطن الاحمر، وكثيرا ما تكون مزركشة بالحرير الازرق، وفوق هذه جميعها عباءة مطرزة بخيوط ذهبية ومصنوعة من وبر الجمال او الصوف الخفيف. اما الرأس فتغطيه عمامة كبيرة كثيرا ما تكون مصنوعة في الهند، اما النعل فهو احسن واقوى من نعال نجد وهو هنا لا غناء عنه لرطوبة التربة. ويضع كل رجل حر - وحتى العبيد اذا كانوا تابعين لموال اغنياء - فوق حزامه الجلدي المزركش خنجرا قصيرا ومعوجا مصنوعا مقبضه في اغلب الاحيان من حوافر الزرافة ومحلى بالذهب والفضة كما ان غمده محلي بالذهب والفضة. وقد رأيت خناجر مقابضها واغمادها من الفضة اكثر من تلك - ويستخدم هذا السلاح كثيرا للزينة وللقتال. ويلتف حول الخصر حزام غالبا ما يكون ابيض اللون وهو فوق الحزام الجلدي والخنجر، ويشكل مقبضه عقدة كعقدة السيف. وتستعمل العصي المحنية بدلا من العصي المستقيمة ومن اغلى العصي تلك التي تتخذ من خشب النبع الاصفر. والتدخين هنا اكثر منه في سوريا - وعلي ان اذكر قبل هذا ان التبغ هو احد المزروعات الرئيسية في هذه البلاد - وهو جيد ورخيص الا انه حار. وتكثر هنا المقاهي وتكثر النارجيلة الفارسية في المقاهي والبيوت. وانني لأعجب كيف ان نيبور بما عرف عنه من دقة متناهية يقول في مذكراته عن هذا الجزء من الجزيرة العربية انهم ينظرون الى التدخين نظرة سيئة . ولعل من بلغه ذلك كان من أتباع الوهابيين فعبر له عن مشاعره واتخذها مقياسا للحديث عن مشاعر الناس في هذا البلد .

ويمتاز الجنس العماني بالمرح وحب المتع الاجتماعية والنشاط الصناعي والتجاري وهم ودعاء وعلى جانب كبير من المرح وحب الفكاهة. وتمتاز النساء بجمالهن الذائع الصيت، وقليل من المناطق الاسيوية التي تجود بمثل تلك النساء سواء من حيث رشاقة قدودهن او صباحة وجوههن وقدودهن اطول واجمل من المعتاد في شبه الجزيرة وليس الحجاب شائعا بينهن. وعندما تهاجم الديار فان اهل عمان يستبسلون في الدفاع كما حدث في حروبهم عندما غزاهم الوهابيون وعندما كانت تنشب بعض المناوشات المتفرقة مع الكتائب الهندية، ولكنهم اكثر شغفا بالتجارة والصناعة والزراعة وان كانوا اشجع من اهل الاحساء .

ومقاطعة الظهيرة التي تقع على الطرف الجنوبي الغربي من الجبل الأخضر، اكثر اجدابا من بقية السلطنة وتبدو على وجوه سكانها مظاهر شبه همجية، ويسيرون في معظم الأحيان وقد

تسلحوا بالحراب القصيرة او النبال والخنجر الذي يرافق الحزام دائما، ويتضح انهم افقر واقل حضارة من سكان الباطنة. ولكن اكثر الناس توحشا هم سكان رؤوس الجبال اي رأس مسندم نفسه، ويكاد جيرانهم لا يفهمون لهجتهم الجبلية - أما القادم من الغرب فهو لا يفهمها أبدا.

ويمكنني ان اشير هنا الى ان اللهجة السائدة من اللغة العربية في عمان كلها تختلف عن اللهجة التي في نجد بعض الاختلاف حيث يستعمل العامة نفس اللغة الواردة في القرآن دون اي انحراف عنها بكل ما فيها من تصريف واعراب مما كان يظن فى حين من الزمن انه لا يوجد الا في اذهان النحويين ولكن اللغة الحية ولغة الكلام في وسط الجزيرة العربية تتصف بذلك :

وعندما كنت في عمان كنت ادهش عندما اذكر بكثير من العبارات والاقوال التي وردت في شعر شعراء الجاهلية وكم من كلمات مهجورة في اماكن اخرى ولكنها دارجة هنا على السنة السكان بينما هي تحير الزائرين من النجديين. اما الدقة النحوية فليست هنا بمثل ما هي عليه في وسط الجزيرة، مع ان التصريف صحيح تماما. ولغتهم هي اللغة اليمانية القديمة ولكنها ابسط من لغة نجد والحجاز واقدم منها .

ويكثر الشعر والشعراء وقد يزيدون عن امثالهم في الاحساء، ولكن شكل النظم يسمح بتغيير كبير. فان الشعراء ينظمون طبقا لقوانين الوزن والقافية التي يعترف بها شعراء العرب ويلتزمونها حتى يومنا هذا في سوريا وبغداد ومصر وغيرها، ويستبدل بعض الشعراء في التفعيلة كمية المقاطع بمقطع قصير، اما القافية فلا تسير سيرا منتظما وانما تسير سيرا متعاقبا تشبه بذلك قصائد البلاد المزدوجة عندنا. وطول الابيات واحد في القصيدة الواحدة ولكنه يختلف من قصيدة لاخرى. ويسمون هذا النوع من النظم بالشعر «النبطي» وذلك تمييزا له عن ذلك النوع الاكثر شيوعا والذي يسمونه «شعر العرب» .

ولم اجد شعرا نبطيا ولا ما يحمل اسم «النبط» حتى اقتربت من عمان، وهو شائع كثيرا في هذا القسم من الجزيرة العربية. ولم يستطع احد ان يقول لي شيئا دقيقا عن تاريخ ادخاله او اصله او من اين اشتق اسمه .

وهناك صفة اخرى تمتاز بها هذه المنطقة وهي كثرة الزنوج، وهي نتيجة رئيسية لتجارة الرق التي بدأت منذ عهد طويل مع السواحل الشرقية لافريقيا ومن هذه الجموع السوداء التي كانت تستوردها عمان بقى نصفها مقيما في عمان وكثير ممن بقي حصل على حريته - وهذا يحدث عادة عند موت مولاهم - بفضل وصية او قبل الوصية. ثم استقروا في البلاد وتزوجوا وتملكوا ارضا. وهم الذين اعتقوا فالعبودية

خفيفة جدا هنا ـ وهي في الواقع ليست سوى الاسم ـ ولا يلاقي العبد شيئا من الاحتقار وسوء المعاملة والتقييد التي يلاقيها اخوانه السود حتى بعد ان يتحرروا في بعض البلدان ولذا لا يجدون سببا يحملهم على الحسرة على وطنهم الاصلي. ولا يحاولون ابدا الا في حالات استثنائية ان يعودوا الى وطنهم رغم وجود الفرص دائما للعودة. والامر على العكس من ذلك، اذ من المستحيل ان تقنعهم بترك عمان. وهم يمتزجون احيانا بالبيض ويتجمعون احيانا في قرى منفصلة ـ وليس الزواج بين العمانيين والزنوج الاحرار شائعا كثيرا وان كان ليس نادرا ابدا. وقد قيل لي انهم يؤلفون اغلبية في الجزء الجنوبي الشرقي من المملكة والى الاسفل من رأس الحد، ولما كانت الحكومة سواء محلية او عامة وراثية في جميع عمان، فليس للسود نصيب فيها .

أما السكان الحميريون الذين يربطون ما بين عمان وحضرموت على الساحل الجنوبي فيبدو انهم جالية حبشية قديمة، ويختلفون عن الزنوج وعن العرب .

أما مناخ عمان فهو حار جدا ومساو في حرارته لحرارة بومبي وكونكون التي تجاورها وقد رأيت بنفسي مشمشا ناضجا معدا للبيع في سوق مسقط في نهاية شهر مارس اما العنب فينضج في نهاية شهر ابريل. وفي الصيف يصعد الموسرون الى مرتفعات الجبل الاخضر ويتركون الساحل الحار، وتكثر المزروعات في الجبل الاخضر وكلما صعدنا فيه انخفضت درجة الحرارة وكان مناسبا أكثر من الوجهة الصحية. وقد تحدث القبطان ولسند عن سقوط الثلوج على قمم الجبال في الشتاء. واظن انه يعني بالثلج البرد، لان ما وصفه لي السكان هو البرد وان كنت لم اشاهده، وبما انني اعرف انه يسقط فوق جبل طويق في نجد وهو اقل ارتفاعا من الجبل الاخضر بكثير، فلا ارى سببا يمنع البرد من السقوط على الجبل الاخضر الذي يبلغ ارتفاعه ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر. وقد كان السكان يجهلون اسم الثلج نفسه وعندما وصفته لهم اكدوا لي جميعا بأنهم يشاهدون مثل تلك الظاهرة ويسمون ما يسقط بالبرد والجليد وهم يعرفونه. وعندما بدا لي الجبل الاخضر في شهر فبراير لم اتبين ثلوجا فوق قممه. بالرغم من ان الشتاء كان عاصفا وقارسا اكثر من المعتاد .

اما البدو فقلة في عمان ـ ولا يوجد احد منهم في الباطنة او كلحات او رؤوس الجبال ويوجد عدد قليل منهم في منطقة الجبل الاخضر . وهناك عدد أكثر في صور وبلاد ابي علي والجيلان واكثر عدد منهم ـ نسبيا اذ لا يمكن ان يحصوا ـ يتنقل في منطقة الظهيرة. وكثيرا ما يقيم السكان الثابتون في عمان ولا سيما الزنوج منهم في اكواخ مبنية من سعف

النخل او في خيام بدلا من البيوت وذلك لحرارة المناخ الشديدة. ويبدو جميع السكان من سكان القرى والمدن والبيض والسود عندما يخرجون في رحلة او غزو وقد تنكبوا اسلحتهم يبدون في عين الاوروبي كالبدو تماما. ونتيجة لهذا يتحدث عنهم الاوروبيون وكأنهم بدو ولعل هذا هو مصدر الخطأ الشائع وهو اعتبار الجزء الاكبر من العرب بدوا. مضافا الى ذلك النظام القبلي والروح العشائرية السائدة في الجزيرة العربية فأسماء «بنو ابي علي» و«بنوتميم» و«بنوفزارة» وغيرها شائعة كثيرا في البلاد فعندما يسمع الاوروبي هذه الاسماء ينسى انه ليس من الضروري ان تكون جميع «القبائل» او العشائر بدوية - فالأمر ابعد من ذلك فكلمة «بني» أو اولاد تطلق ايضا على سكان المدينة او القرية كبني كنانة .

ويقيم عدد كبير من الهنود واللوشيين (سكان لوديانا) في مرافىء عمان. ويقيم عدد قليل من البارسيين واليهود في مدينتي مسقط ومطرح. ويسود التسامح وتزاول كل فئة طقوسها الدينية ومعتقداتها دون ان تتدخل بها فئة اخرى. وفي الحقيقة ان الملامح العامة لعمان سواء كانت طبيعية او خلقية لتغاير ملامح نجد كل المغايرة ولا ينظرون بعين الريبة الا للأوروبيين ولعلهم على حق في ذلك .

وتتوقف اعمال الغوص الى الشرق من رأس مسندم، فالبحر هنا عميق وعاصف في معظم الاحيان، وبه انواع اقل من السمك من انواع سمك «بحر البنات» وتوجد افواج كثيرة من سمك الاسبراط ومن سمك المكريل على السواحل. ويكثر المرجان الذي تحتكره الحكومة .

وقد تكلمت عن المحاصيل التي تنتجها الارض. اما الهجائن وهي من احسن الانواع وكذلك الحمير فتشبه تلك الانواع التي سبق ان وصفناها عند الحديث عن الاحساء وهي مادة للتصدير. وقد قيل لي ان الزرافة توجد في الواحات التي تتوسط المناطق واشك في صحة كلام محدثي. ومن المحاصيل الزراعية التي تستحق الذكر البطاطا الحلوة وهى نفس البطاطا التى تزرع فى الهند ومن المحاصيل الزراعية الهامة القهوة وقصب السكر والقطن الاحمر .

ومملكة عمان تتألف من ١٢ مقاطعة عدا سوقطرة وزنجبار والساحل الافريقى الشرقى وهى ١ - قطر وتمتد من عجير الى ورقة وعاصمتها البيضاء وتشمل أيضا ساحل بنو ياس وعاصمته صور .

٢ - الشارجة الممتدة من ابى ظبى الى رأس الخيمة ، ٣ - رؤوس الجبال ، ٤ - الكلحات وعاصمتها دبى وتقع هذه الولايات الثلاث تحت حكم خالد بن صقر ، ٥ - الخليج ويمتد من رأس بستانه الى جاسك ومعه جزر الكشم لارج وهرمز وغيرها وعاصمتها لنجة ، ٦ - الباطنه وتمتد من فاكان فى برقة

وعاصمتها صور ، ٧ ـ الظهيرة وتمتد من البريمي الى جبرين ، ٨ ـ الجبل الاخضر ويمتد من قلعة اللوحة الى سمند وعاصمتها نزوة وبهلا ، ٩ ـ بلاد مسقط من برقة الى راس الجيران وعاصمتها مسقط ، ١٠ ـ بلاد صور من رأس حيران الى رأس الحد وعاصمتها صور ، ١١ ـ جيلان ، ١٢ ـ الساحل الممتد من راس الحد الى ظفار .

ويزيد مجموع السكان عن مليونين اما القوة العسكرية فتتراوح بين ٥٠ و٦٠ الف جندي. ولقد امضيت في هذه البلاد ما يزيد على شهرين قضيت معظمهما في الشارجة وصحار ومطرح ومسقط والمناطق المجاورة لها. ولكنني اصبت في الاسبوع الاخير من مارس سنة ١٨٦٣ بحمى شديدة بينما كنت في مطرح قادما من بو شهر الذى يقع على الخليج وانني مدين بشفائى ورجوعي الاخير الى بغداد في نهاية شهر ابريل للعناية الطبية والعطف الكريم الذى لقيته من القبطان سلبي الذي يعمل فى الاسطول الهندي .

# "أوال" و "المحرّق"

## دراسة في سبب التسمية

## "أوال" هل هو اسم صنم أو سمك قرش

### آراء تقول:

## "المحرق" مستمد من اسم إله جاهلي أو لقب ملك

في قائمة المفردات التي وردت في كتاب (انجيلا كلارك) بعنوان «جزر البحرين» وهو كتاب لا يمكن الاستغناء عنه، تشير المؤلفة الى اوال «كوثن» والى المحرق «كمحل للحرق» وتصف الكاتبة المحرق بقولها: كان الاسم اصلا يطلق على مكان يقع على الجزيرة يحمل نفس الاسم حيث كان الهندوس يحرقون جثث موتاهم»[1].

وقد قدمت تفاسير عديدة بخصوص مصادر واستخدام هذه الاسماء في التعبير البحريني لكنني لم أعثر على اي تفسير عميق يشرح . وحسب معرفتي . لماذا اختارت البحرين ، على الاقل من القرن السادس الى القرن التاسع والمحرق من بداية القرن التاسع عشر الى هذا اليوم ، اسماء الهين عربيين من العصر الجاهلي ورغم انني لا ادعى انني حللت هذه المشكلة فانني آمل ان ابدأ نقاشا حول الموضوع بواسطة عرض ما لدي من بعض الادلة التي جمعتها ويجب الا يعتبر ذلك الا خطوة اولى .

بقلم: الدكتور

ت . بوتس . برلين

# أوال اسم شعب قديم ؟

# لحمى أو حدّاد أسطوري



## جزيرة اوال :

ان اطلاق اسم اوال على أكبر الجزر البحرينية كان موضع دراسة دقيقة قام بها كل من جيه ـ بوكامب وس. اتش. روبين اخيرا كما ورد في مقال لهما حول النصرانية النسطورية في البحرين من القرن الخامس وخلال القرن التاسع[٢] ما يشير الى ان اوال ذكرت في شعر للشاعر عمرو بن قميئة (توفى حوالي ٥٣٠م ـ ٥٤٠م) هذا الشعر دون في بداية القرن السادس اي قبل الاسلام كما جاء ذكرها في قصيدة «جرير» (توفى حوالي ٧٢٨) وفي اقوال لكل من «تميم بن ابي بن مقبل» و«ثوبة بن الحمير» و«النابغة الجعدي» وقد وردت هذه الاقوال في مؤلفات ياقوت والبكري[٣].

وبقى الاسم مستخدما فيما بعد وحتى الوقت الحديث الى حد ما. وعلى سبيل المثال فان الجزيرة اشتهرت بهذا الاسم منذ اواخر القرن التاسع الى بداية القرن الحادي عشر عندما كانت تحت حكم القرامطة[٤] ولهذا السبب فيما أظن استخدم هذا الاسم في الخلاصة الجغرافية المعاصرة لابن حوقل (توفى ٩٧٧) والمقدسي (٩٤٦ ـ ٩٩٠) والادريسي (١٠٩٩ ـ ١١٦٦)[٥] كما ان التاجر الكبير والكاتب ابن ماجد يذكر اوال في

الفصل العاشر من مؤلفه الجامع حول الملاحة الذي كتبه حوالي ١٤٨٩م - ١٤٩٠م[٦]. ويحتفظ «كارستن نيبور» بهذا الاسم في خريطته للخليج العربي التي رسمها اثناء سفره من مسقط الى فارس في عام ١٧٦٥[٧] ويجب ان نذكر هنا استثنائين كما يقول بوكامب وروبين فالرحالة الايراني «ناصر خسرو» يستخدم الاسم الحديث اي «البحرين» وليس اوال فيما كتبه عن رحلاته بين عامي ١٠٣٥ و١٠٤٢ م ويشير به الى الجزر[٨] ويوجد مثال اخر في الموسوعة اللاهوتية تحت عنوان «مصباح الظلام» كتبه القديس القبطي «شمس الرئاسة» (توفى ١٣٢٥) والمشهور باسم «ابوالبركات»[٩] نجد فيه في مادة «تاديوس اديسا (تاديوس الرهوي) الذي عاش على جزيرة البكرين وهي جزيرة في «البحر الاحمر». وقد الف كتاب «المعلم والطلاب» الذي يحتوي على ٤٣ بحثا[١٠]. ونحن نقصد باصطلاح «البحر الاحمر» نفس المعنى الذي تدل عليه الكلمة المرادفة له باللغة الاغريقية وهي «البحر الاريثري» التي وردت في الزمن القديم وتطلق على الحزام البحري بالكامل الذي يحيط بشبه الجزيرة العربية من مياه الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الاحمر.

لقد ورد اسم الجزيرة كـ «بكرين» بفتح الراء حسب رموز كودكس البرلينية وكـ «بكرين» بكسر الراء حسب مخطوطة فاتيكانيه وك «تكرين» في الكتابة الرومانية وكلها ليست الا تهجيات مختلفة لكلمة البحرين.

هذه الامثلة المبكرة لاستخدام اسم البحرين في الاشارة الى جزيرة أوال كما يبدو، لم تكن إلا استثناء من قاعدة عامة. عندما اطلق «كارل ريتر» اسم اوال على البحرين في سنة ١٨٤٦[١١] ان انطباعنا هو انها كانت كلمة مهجورة بالفعل[١٢]. **ولقد كان جي - دبليو بلجريف مخطئا عندما اعرب عن رأيه بلا مبالاة قائلا ان كلمة «اوال» لم تكن الا نتيجة سوء تفاهم لغوي. قال بلجريف «ليست هناك جزيرة كبيرة او صغيرة في الخليج تحمل اسم «اوال»[١٣] وحتى في وقت متأخر كعام ١٩٠٨ كتب جيه جي لوريمر امين الارشيفات البريطاني الكبير بان اسم اوال اصبح مهجورا مع انه لايزال متذكرا[١٤]. وفي عام ١٩٢٠ استخدمه عالم الاقتصاد الفرنسي «أر - فادالا» ليشير الى اكبر جزيرة من جزر البحرين[١٥].**

**وفيما يتعلق باصل كلمة «البحرين» هناك عدة نظريات (وهي اقوال لكل من «بلاو» و«سبرنجر»**

و«جلاسر» و«هومل» وترجمت من الاصل الالماني).. ونعرض لها فيما يلي حسب الترتيب الزمني:

## دبليو . بلجريف ١٨٦٥م:

«يوجد سمك القرش في سائر الخليج بصفة عامة ويعرف باسم «اوال» وهي تسمية هندية للقرش(★) والكلمة العربية الصحيحة هي كلب البحر وكم كان مسليا ان اجد «نيبور» نفسه مثل بعض السياح الاخرين وبسبب عدم المامهم بدقائق الظروف المحلية. يطلق كلمة «اوال» على المكان وسموا جزيرة البحرين باسم السمك المذكور الذي مع انه يوجد بصفة عامة بعيدا عن شواطئها الا انه لا «يرتبط بها ارتباطا كبيرا. لذلك اصبحت البحرين في بعض الخرائط والكتب تسمى «اوال» او «القرش» مثلما يحدث اذا جاء اجنبي الى ساحلنا الشرقي وبعد زيارة له يشير الى انجلترا في مذكراته بـ «الرنكة» او «الاسقمري»[١٦].

## أو . بلاو ١٨٧٣م:

«اعتقد ان الاواليون[١٧] تشير الى سكان جزيرة اوال الواقعة في الخليج»[١٨].

## أ . سبرنجر ١٨٧٥م

تيلوس تسمى الآن «جزر البحرين» وكانت في السابق اوال وهو اسم لاحد الآلهة عبدته قبيلتا وائل بكر وتغلب ، وكانت قبيلة وائل ذات قرابة مع سكان ساحل (الجزيرة العربية) ، عبدالقيس ونظرا لانهم عبدوا «اوال» فربما كان له معبد ايضا على الجزيرة. ويقول المسعودي بان سكان الجزيرة كانوا من «بنى معان» و«بنى مسمار» وكلتاهما ربما تنتسبان الى عبدالقيس[١٩].

## جيه . تي . بينيت ١٨٩٠م:

لتسميد نخائلهم فانهم يستخدمون زعانف السمك من نوع يسمى «اوال» وبالمناسبة كان هذا اسما قديما

---

★ ـ هنا في البحرين لا نسمى سمك القرش كلب البحر وانما نسميه جرجور والجمع جراجير او (بريور ـ برايير)

اما كلمة اوال فليست من اسماء القرش. وليس هناك اي صلة بين كلمة عوال بالعين وبين كلمة اوال ولكن الغربيين لا يفرقون في النطق بين العين والالف في اول الكلمة وصحيح ان كلمة عوال تعني سمك القرش المجفف في الشمس ولكنه يأتي غالبا من عمان وليس من البحرين.

عبدالله بن خالد آل خليفة

لجزيرة البحرين[٢٠].

## اي ـ جلاسير ١٨٩٠م

ان كلمة الاواليين[٢١] لا تتطابق كلية مع سكان جزيرة «اوال» لكنها مرتبطة بهم اسما ومصدرا اذا كان هناك من يميل الى ان يفتش عن الاواليين.. في جزيرة «اوال».. ومع ذلك فمما لا شك فيه ان بليني كان يفكر في المنطقة الغربية الداخلية وفي الحقيقة توجد «اوال» في الحجاز وتدعى اوال الحجازية وهي قريبة جدا من «السويداء» التي تقع على سفر يوم واحد على طريق الحج من مصر وسوريا شمال غرب المدينة وجاء ذكرها في كتاب الهمداني المعنون «الجزيرة» ص ١٣٠ ـ ١ ـ ١٨ ـ هـ وقد يكون «الاواليون» الذين اشار اليهم «بليني» هم سكان اوال الحجازية اي من منطقة شمال غرب المدينة.. ومن البديهي أن وجود اسم اوال في الشرق وايضا في الداخل يدل على وجود ارتباط بين القبائل المعنية وفي ايام «بليني» ربما تواجد الاواليون في الداخل فقط (بالقرب من المدينة) وهاجر بعضهم فيما بعد الى الشرق ربما مع «اللحيانيين» او قد يكون لهذه القبائل فروع في الخليج دائما وحدثت تحركات مستمرة بينها جيئة وذهابا في كافة الادوار التاريخية[٢٢].

## جيه ـ جي لوريمر ١٩٠٨

وطبقا للتقاليد كان اوال اسم من احتل (الجزيرة) لاول مرة وهو اخ لشخص يسمى «نعسان» ويوجد هذا الاسم ايضا في تسمية جزيرة «أم نعسان»[٢٣].

## ف. ب. بريدو ١٩١٢:

«ان احدى جزرهم «اوال» سميت على اسم آله لهم وكان آله اخر يسمى «المحرق» واليوم فان المحرق هو اسم لثاني اكبر جزيرة ومدينة في المجموعة والمدينة نفسها تضم ٢٠,٠٠٠ نسمة من السكان[٢٤].

## ف. هومل ١٩٢٦:

في بداية الاسلام كان الاسم العربي للجزيرة هو اوال أي الحوت والاسم الحالي هو (سمك) ويعني السمكة.. ويقول العرب ان اوال هو اسم اله كانت تعبده قبيلتا بكر وتغلب اللتان تنحدران من وائل.

وينظر في ذلك قصائد الشعراء العرب القدماء التي نقلها ياقوت ١ ـ ٣٩٥ والبكري ١٣١ كوثائق (وتذكر السفن الهندية واوال في قصيدة للشاعر جرير) ولسان العرب حيث تلعب جزوع نخل اوال دورا خاصا[٢٥].

## اي . ماكي ١٩٢٩

ياقوت ، المؤرخ العربي ، يقول ان سكان البحرين القدماء كانوا من الحميريين وليسوا من العرب ، بسبب نطقهم المختلف وكتابتهم الخاصة التي تختلف عن كتابة الجزيرة العربية ويستطرد قائلا بانهم سموا احدى جزرهم «اوال» على غرار اسم اله من آلهتهم أما المحرق فهو اسم لإله اخر. ان الاسم القديم للبحرين وهو اوال معروف طبقا لما جاء في المصادر الاخرى وان كان كونه اسما لآله امرا مشكوكا فيه اما المحرق وهو اسم يطلق على جزيرة صغيرة تقع في شمال شرقي البحرين فان هذه الجزيرة ودون شك كانت تستخدم كمحل لاحراق جثث الهندوس في الماضي. وتعني الكلمة لغويا «محل الاحراق» ويقال ان كلمة اوال تعني باللغة العربية الفحصى وكما قيل لي لحم الحوت المجفف[٢٦].

خلاصة القول بانه يمكن لنا ان نتعرف على ٤ مدارس رئيسية حول مصدر الاسم اوال في سياقه البحريني. المجموعة الاولى يمثلها كل من (بلاو) و(جلاسير) وتربط الاسم بالشعب الذي كان يعرف حسب المصادر القديمة «بالاواليين» عند بليني اوبالا و النوي عند جلاوكوس.

والمجموعة الثانية التي يمثلها كل من «سبرنجر» و«بريدو» و«هومل» تربط هذا الاسم باله يسمى «اوال» في عصر ما قبل الاسلام. وتقترح المجموعة الثالثة علاقة «بين الاسم وبين اسم عربي لنوع من القرش «بلجريف» او سمك السفن (بينت) او الحوت (هومل) او لحم القرش المجفف (ماكي) واخيرا يذكر لوريمر أحد الأقوال بأن أوال كان اسما لأول شخص سكن الجزيرة.

ومن بين هذه النظريات فان النظريتين الاخيرتين لا تعتمدان الا على الحديث الفولكلوري ويمكن تجاهلهما لانهما لا تعتمدان على مصدر واقتراح «جلاسر» لا يتطابق مع معظم الدلائل الاخرى التي تشير الى وجود ارتباط بين الاواليين ومنطقة المدينة والبحر الاحمر وحتى ساحل الصومال[٢٧].

ولن نكون مجافين للحقيقة اذا قلنا ان الملاحظة التي آثارها «بلاو» تجاهلها العلماء الذين جاءوا فيما بعد تماما ورغم ذلك هناك ما يشير الى ان ما اكتشفه «بلاو» صحيح. فقد اشار الى نصوص كتاب «الآثار العربية» لـ «جلاوكوس». ولا يوجد هذا الكتاب الآن وتاريخه مجهول لكنه يحتوي على ٤ مجلدات في الاصل[٢٨]. وقد عرفنا عن هذا الكتاب بواسطة عشر فقرات

من المجلدات من ٢ الى ٤ وردت في (اتنيكا) وهي موسوعة «ستيفان البيزنطي» ودونت حوالي ٥٣٠ ق.م[٢٩]. وحسب ما يقوله «جلاوكوس» فان (عمانا بوليس) التي يحتمل انها كانت تقع على شبه جزيرة عمان كانت بالقرب من شعب يدعوه «اوالينوي». وقد تجاهل جيه تكاك في ١٩٠٧ هذه الحقيقة تماما عندما ناقش موضوع اوالينوي ولذلك لم يعين اي موقع لهم[٣٠] وحتى اذا افترضنا صحة ما قاله «بلاو» حول الربط بين أوال و«أوالنوي» أي سكان أوال فان هذا التفسير لا يشرح سبب اطلاق اسم أوال على البحرين. وليس أمامنا إلا أن نبحث عن العلاقة بين اسم مدينة «أوال» وبين الوثن الذي يحمل نفس الاسم في الجاهلية.

## اوال المعبود

وكما لاحظنا في اقوال هومل، اشار ياقوت (أ ـ ٣٩٥) الى أوال كمعبود للقبائل العربية الشمالية الهامة بكر بن وائل وتغلب[٣١]. ومن سوء الحظ فاننا لا نعرف شيئا يذكر عن طبيعة اوال. ولكن دلائل عديدة تشير الى قدم هذا الآله فيوجد نسبة للالوهية في اسم شخص كـ «السماوال» وتعني ابن «اوال» وقد ورد هذا الاسم في قائمة الموظفين بمدينة (نينوى) في العصر الآشوري الحديث[٣٢] وربما ورد ايضا في اسم عموري في بداية الالف الثاني (ابي امال) وعرف هذا الاسم في نصوص بابلية قديمة تم حفرها في ابوحطب او كسورة القديمة في موقع يقع على بعد ٢٠ كيلومترا من شمال غرب «نبور»[٣٣].

ولننظر الآن الى القبيلتين اللتين عبدتا اوال حسب ما ورد من أقوال كانت قبيلة «بكر بن وائل» مستقرة في شرق الجزيرة العربية. وحسب ما يقوله الطبري قاتلهم الامبراطور الساساني سابور الثاني في الهجر (الهفوف الحديثة) عندما شن هجمات على شرق الجزيرة العربية حوالي ٣٢٥م[٣٤]. وكانت قبيلة تغلب متمركزة بعيدا في الشمال في الصحراء بين الجزيرة العربية والرافدين وسوريا. يقول الطبري ان سابور بعد ان وصل الى المدينة من خلال غزواته في الجزيرة العربية اتجه الى الشمال نحو الحدود الرومانية الساسانية حيث اصطدم مع «تغلب» وبالنسبة للاسرى الذين أسرهم سابور يقول الطبري «انه اسكن بعضهم في

البحرين التي تسمى (دارين) وتسمى ايضا حايج وفي الخط[٣٥]★.

واستخدم الطبري كلمة «البحرين» ليشير الى شرق الجزيرة العربية مثل الجغرافيين العرب القدماء[٣٦] و«دارين» معروفة كمدينة رئيسية في جزيرة «تاروت» وكان «الخط» اسما اطلق تقليديا على الشريط الساحلي بين القطيف والعقير[٣٧]. ان ممر دارين، الذي يدعى حايج، ايضا سبب بعض المشاكل دائما لان حايج، لم يكن معروفا كاسم لمدينة. الا انه في العصر الحديث اقترح كل من «بوكامب» و«روبين» تعديلا بسيطا ليقرأ النص «دارين وسماهيج[٣٨] و«سماهيج» هو اسم معدل لـ «مسماهيج» الذي اطلق على المحرق سابقا ولايزال يطلق على قرية صغيرة في المحرق وحسب وصف جاء به لوريمر عن سماهيج، فقد كان فيها أنذاك ١٥٠ بيتا من السعف[٣٩] وهكذا يورد لنا النص الجديد معنى هاما هو ان افراد قبيلة تغلب عابدي «اوال» كانوا متواجدين في جزر البحرين في اوائل القرن الرابع.

وفي ضوء هذه الشهادة يقول كل من بوكامب وروبين انه من المحتمل ان جزيرة اوال اخذت اسمها من وثن لقبيلة تغلب[٤٠] وفضلا عن ذلك يقول «ت فهد» بأن أصل كلمة أوال هو «اول» وهي الاصل لكلمة «ال» والله بمعنى «الترشيد والادارة والاشراف على قضاء وقدر لمجموعة منهم الافراد» اي الدلالة على السلطة العليا[٤١] واذا كان بالامكان تصور ان قبيلة «تغلب» التي استوطنت البحرين من جديد اخذت اسم مقرها الجديد من اسم احد آلهتها اي «اوال» الا انه لا يوجد دليل على ان اوال كان إلّها رئيسيا لهم. وهناك امكانية تصور اخر. فقبل مائة سنة بالضبط تقدم العالم الاسكتلندي الكبير دبليو روبرتسون سميث بتعليل جديد عن كلمة «اوال» مما قد يشرح بصورة افضل سبب اطلاق هذا الاسم على البحرين. يقول الكاتب بانه يوجد ارتباط بين «وائل» و«اوال». فالاول مأخوذ من وأل اي لجأ[٤٢] والثاني يمثل شكلا اخر لـ «وئال» اي ملجأ، ومعناه اصلا ليس آله بل ملجأ. ويصبح الاسم «بنو موأل» اي

---

★ ـ عن قبائل ربيعه ومنهم بكر وتغلب ابناء وائل وعلاقتهم بالبحرين راجع كتاب البحرين عبر التاريخ صفحة ١١١ الطبعة الثالثة ونحن نؤيد ان الاسم هو اسم صنم لابناء وائل.

عبدالله بن خالد آل خليفة

ابناء الملجأ[٤٣] ويدعم هذا التفسير الى حد ما (سميث ١٨٨٥: ١٩٤). فطبقا لما يقوله «روبرتسون سميث» فمن الممكن أن نستنتج أن أسم أوال أطلق على الجزيرة لأنها كانت ملجأ أو مأوى. فمتى حدث ذلك ياترى؟

كانت الجزيرة تدعى تيلوس في عصر البارثيان وعرفت به عند الجغرافي الكبير بطلميوس حوالي ١٥٠م[٤٤] وسميت اوال في حوالي ٥٢٠م - ٥٤٠م كما يظهر من قصائد عمرو بن قميئة ويرجح ان التغيير في الاسم بدأ في اواخر العصر البارثي او العصر الساساني اي بين عامي ١٥٠ و٥٢٠ تقريبا.

وهناك حدث تاريخي مؤكد يبرر في رأيي اعادة تسمية الجزيرة باسم «الملجأ/ المأوى» ذلك حينما يصف الطبري غزوة سابور الثاني للجزيرة العربية كما ذكر سابقا، بأنه سفك الدماء بغزارة حتى سالت كأنها نهر متدفق من السيل وحتى من فر لم يشعر بأي امان في اي موقع سواء كان مغارة في الجبل او جزيرة في البحر يمكن ان ينقذه (من مخالب سابور)[٤٥] ومن نجا من قبيلة «تغلب» اعتبر نجاته مجرد معجزة. فمن المعقول اذن بأن الذين وصلوا الى البحرين نهائيا ويثبت ذلك هجرتهم الى سماهيج، اعتبروا هذه الجزيرة في البحر «ملجأ ومأوى» فسموها أوال. وقد يرشدنا هذا ايضا الى تحديد تاريخ كتاب «آثار الجزيرة العربية» للمؤلف «جلاوكوس» وكما لاحظنا سابقا فان كتاب «اثنيكا» لـ «ستيفان البيزنطي» ينقل عن «جلاوكوس» وقد كتب في حوالي ٥٢٠م فمن المرجح ان اشارة «جلاوكوس» الى «سكان أوال» ترجع الى العصر الساساني المبكر.

## جزيرة المحرق:

ولننتقل الآن الى المحرق..

يطلق هذا الاسم على اصغر الجزيرتين الرئيسيتين وهو نسبيا اسم حديث وكما كان «اوال» هو الاسم السابق لاكبر الجزر البحرينية كذلك كان الاسم «عراد» اسما للجزيرة التي تعرف اليوم باسم المحرق[٤٦].

وهذا الاسم بدوره هو ما تبقى من الاسم القديم «عرادوس» الذي يستخدمه «سترابو» لوصف هذه الجزيرة[٤٧] وهناك اسم اخر للجزيرة في الاصطلاح الاوروبي وقد وجد في كثير من خرائط القرن الثامن عشر، استمد من اسم قرية سماهيج. فعلى سبيل المثال نجد المحرق تحمل اسم «سمكة» في خرائط الجزيرة العربية لـ «هرمن مول» لعامي ١٧١٠

و١٧١٢ وفي «أحدث وأدق المشاهدات» وفي «الخريطة الجديدة للجزيرة العربية» لعام ١٧٣١ التي اعدها «اسحق تريون» وفي «خريطة أسيا» لعام ١٧٥١ لـ «بورجنون دانفيل»[٤٨] ويظهر نفس الاسم بتغيير بسيط بشكل «سماهي» في خريطة نيبور لعام ١٧٦٥ المعنونة «سانيوس برسيكوس»[٤٩]★.

وأقدم الاشارات الاوروبية الى المحرق والتي عثرت عليها ترجع الى ١٨٢٩ وتوجد في قصة للرحالة «جيه -

---

★ يكاد يكون من المؤكد ان اسم المحرق لم يطلق على جزيرة المحرق الابعد ان اسس الشيخ عبدالله بن احمد آل خليفة مدينة المحرق في عام ١٢٢٥ هـ الموافق ١٨١٠م. واصبحت المدينة اكبر مدينة في الجزيرة فسميت الجزيرة باسمها اما تسمية المدينة بالمحرق فحسب رواية النبهاني فإن المكان الذي شيدت عليه المدينة كان يسمى المحرق وانه سمي المحرق لان المجوس كانوا يحرقون موتاهم فيه والمعروف ان المجوس يرمون جثث موتاهم للطيور تاكلها فهل كانوا يحرقون بقاياها لا اعلم انما المؤكد ان المكان كان يسمى المحرق قبل ان تنشا فيه المدينة لان النبهاني استقى معلوماته من الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة والشيخ ابراهيم عاصر والده وكثيرين من سكان المحرق الذين عاصروا بداية انشائها ولكن في ذلك الوقت لم يكن اسم المحرق من الشهرة بحيث تسمى الجزيرة به وكانت تسمى جزيرة سماهيج او جزيرة عراد.

وكلمة سماهيج مشتقة من كلمة سمهج وتعني فتل الحبل. وكانت هذه القرية مشهورة بصنع الحبال في الزمن القديم وكانت الحبال من الحاجات الضرورية لاهل البحرين خاصة وانها كانت تستعمل لربط الواح السفينة بعضها ببعض في الزمن الغابر ولم يكونوا يستعملون المسامير انذاك. (راجع المنجد تحت كلمة «سمهج» او «سمو».

وطبيعة الارض المستوية والمجاورة لهذه القرية تساعد على مد الحبال ودمجها مع بعضها البعض لتكون ثخينة وقوية وتسمى محليا بيطة وتستعمل لرفع الشراع وتسمى «بسه» ولربط السفينة بالمرساة وتسمى (عتاد) وتدخل في كثير من حاجات السفينة وفي اواخر زمن الغوص شاهدت كثيرين من اهل البحر يمدون حبالهم في المكان الذي يشغله مطار البحرين الدولي في الوقت الحاضر.

عبدالله بن خالد آل خليفة

اس ـ بكنجهام» حيث سميت فيها الجزيرة باسم «عراد» وأطلق على «مدينة رئيسية» فيها اسم محاراد[٥٠] وقد يوجد برهان اخر اقدم يثبت هذا الاسم ولكن «ريتر» كتب في عام ١٨٤٦ بان «قلعة محرق» شيدها عبدالرحمن[٥١] وهو الابن الثالث والوريث لـ احمد بن محمد الخليفة الذي توفي في ١٧٩٤م[٥٢] وذكر لوريمر ان قلعة ابوماهر ذات الـ ٤ ابراج تدعى احيانا قلعة المحرق، لانها ضربت بالقنابل وجردت من تجهيزاتها في ١٨٦٧م ولاحظ الكاتب ان ابوماهر هي قرية تحاصرها المياه عند المد وتتصل بجزيرة المحرق عند الجزر[٥٣] واستخدام «ريتر» لاسم «عبدالرحمن» خطأ والصحيح هو عبدالله بن احمد آل خليفة★ الذي يقال بانه اعاد بناء القلعة في ١٨٤٠ على قاعدة قلعة برتغالية[٥٤] وبصرف النظر عما اذا كانت هناك قلعة برتغالية قائمة في نفس الموقع في القرن السادس عشر فان اسم المحرق الذي يرتبط بالقلعة غالبا لم يكن شائعا في ذلك الوقت المبكر. ودون شك فان هذا يفسر عدم وجود اي مرجع عن المحرق في التقارير الهولندية المفصلة حول البحرين والخليج من وسط القرن الثامن عشر[٥٥].

وقد وجد «بريدو» ارتباطا بين اسم جزيرة المحرق وبين اسم مماثل لآله جاهلي (يكتب عادة محرق بكسر الراء) وتتبع ماكي نفس المنهج في التفكير ويضيف اليه علاقة هذا الاسم بطقوس الهندوس فيما يتعلق باحراق الجثث ويقال ان هذا التقليد كان يتبع هناك فلننظر الى المحرق في عصر ما قبل الاسلام.

## المحرق ـ الاله واللقب:

طبقا لما يقوله ياقوت (٤ ـ ٤٢٥) كان المحرق «وثنا» لدى بكر بن وائل وقبائل ربيعة الاخرى في سلمان (مدينة عراقية بالقرب من الحيرة). وكان الابناء ينذرون لهذا الاله في كل خيمة من خيام ربيعة. وكان الكهنة من

★ القلعة البرتغالية التي يشار اليها هي في المكان الذي شيدت عليه قلعة عراد المعروفة حاليا. اما قلعة ابي ماهر التي شيدها الشيخ عبدالله بن احمد الخليفة فلم يكن في موقعها قلعة سابقة.

عبدالله بن خالد آل خليفة

الاسود من «عجل» (فرع من ربيعة). وفي «عنزة» يتردد قولهم «بلغ ابن المحرق» وفي «عميرة» و«غفيلة» كانت هناك (عائلتان تحملان اسم) عمر بن المحرق[٥٦]. وتعني كلمة المحرق ايضا «الموقد» وقد يقصد بها انه «اله شمسي»[٥٧]. ونظرا لذكر نذر الابناء للاله فقد ظن كل من «جيه. ولهاوزن» (١٨٨٧ - ٥٧) و«دبليو - روبرتسون سميث» بأن قول ياقوت يعني تقديمهما كقرابين بشرية[٥٨]، بينما يعتبر كل من نولدكه والاخرون الذين جاءوا بعده بان الابناء ينسبون فقط للاله تقديسا له[٥٩].

ولم تكن حجة «روبرتسون سميث» قائمة على مجرد اللاهوتية بل انه اشار الى حقيقة ان الكثيرين من ملوك اللخميين في الحيرة كانوا يتبعون الساسانيين ويحكمون من منطقة الحدود بين الجزيرة العربية والرافدين حملوا لقب «المحرق» وساد الاعتقاد احيانا بان اللخميين كانوا يحرقون الاسرى من اعدائهم ولكن المصادر العربية اللاحقة لم تجمع على تحديد الملوك اللخميين الذين حملوا هذا اللقب[٦٠]. وهناك قولان شائعان تجدهما دائما هما حسبما يقوله كل من «ياقوت» (١ ، ٣٦٤) و«ابن الاثير» (١ ، ٤٠٩) ان الملك اللخمي عمرو بن هند (حكم من ٥٥٤م الى ٥٧٠م) اشتهر بلقب «المحرق الثاني» لانه احرق ١٠٠ من اسرى «تميم» احياء انتقاما لمقتل اخيه[٦١]. وان امرأ القيس وهو ملك لخمي قديم عثر «آر. دوسو» في ١٩٠١ على قبره في النمارة في جنوب سوريا، اشتهر ايضا بلقب «المحرق الاكبر» وان كان السبب في هذه التسمية غير معروف[٦٢].

وطبقا لقول اخر فان شيوع هذا الاسم بين اللخميين يعود الى احراقهم للنخيل في اليمامة بوسط الجزيرة العربية[٦٣].

وفي مناسبة اخرى يلاحظ ياقوت (٤ ، ٤٢٥) ان قرية في اليمامة كانت تدعى (المحرقة) بعد ان احرقت في القرن الخامس اثناء قتال نشب بين قبيلتي حنيفة و«عبيد»[٦٤].

وبالاضافة لاطلاق هذا اللقب على بعض الملوك اللخميين فان ابن قتيبة اطلقه ايضا على منافسيهم «الغسانيين» وكذلك فعل «الكلبي»[٦٥]. ويرجع «ابوالفداء» هذا الى احراق الغسانيين بدورهم للعاصمة اللخمية «الحيرة»[٦٦]. على ان لقب «المحرق» اصبح اسما للسلالة الغسانية في حين اقتصر

استخدامه بين اللخميين على الافراد فقط.[٦٧]

هـذه الامـثـلة ، كـمـا لاحـظ «روتشتاين» في القرن الاخير عامة تتناول عملية الاحراق واعتقد بـانها هي التفسير لما قام به الكتاب العرب من الربط بين المحـرق ، كإسم للاله الذي يعني «المـوقد» لغـويا واسمـاء الاشخـاص الذين اكـتسـبـوا لقب «المحـرق» ولكن فهد لا يقبـل هـذا التفسير على اساس ان «المنذر الثالث» وهو الملك اللخمي الذي قتل ٤٠٠ من اسرى الراهبات في ٥٢٩م وكذلك قتل منافسه الغساني «الحارث بن جبلة» في ٥٤٤ لم يشتهر باسم «المحرق»[٦٨] ويلاحظ فهد بان هذه القرابـين كانت مقدمة الى العزى وليس للمحرق. كما لم يلق جميع ضحايا «المنذر» حتفهم بالاحراق[٦٩].

ولا ترجع كل الآراء حول تسميـة المحـرق للوثن الجاهـلي او الى ملوك اللخميين او الغسانيـين. فقد لاحـظ «روتشتاين» بأن «محرق» دون (ال) التعريف يشار بها في بعض الاحيان الى بطل اسطوري في الزمن القديم[٧٠] نقـلا عن بيت شعـر ورد في اشعـار «البكري» معناه: ان مـلابسنا دروع لامعة ورثناها عن محرق ، لونها كلون السماء المزينة بالنجـوم[٧١] ـ ويقول «روتشتاين» انه بخلاف ما خطر ببال الكتاب العرب القدماء وبخلاف ما ظنه «ف ـ و ـ شـوارتـسلوز» (١٨٨٦ : ٣٢٤) وطبقا لما ورد في ١٨٨٦ في مقالة عن «الاسلحة لعصر ما قبل الاسلام» فـان «محـرق» كـان حـدادا شبـه اسـطوري وبعيدا كـل البعد عن ان يكون ملكا لخميا. ويعتقد «روتشتاين» ان الاسـطورة والتـاريـخ شـابهمـا الاضـطراب ممـا ادى الى غمـوض حقيقـة «محرق» وان بـامكاننـا دون صعوبة ان نتصور وجود هذا الارتباك في العلاقة بين محرق كآله مرتبط بالنار و«محـرق» كبـطل تـرتبـط مهنتـه بـاستخدام هـذه النار وكمـا اوضح «نولدكه» في عام ١٨٨٨ فان الكتـاب العـرب الذين امتـدحـوا «محـرق» كصـانع سيـوف ودروع بـديعـة لم يعرفوا الشخص الذي اطلق عليه هذا الاسم[٧٢] ومازلنا نواجه سؤالا صعبا هو: ما هي العلاقة ان كـان هناك ثم عـلاقـة بـين اسم الجـزيـرة وبـين «المحرق» او «محرق» في عصر ما قبل الاسـلام او في بـدايـات العصر الاسـلامي. ان التفسير الذي قـدمه «مـاكي» في ١٩٢٥ حـول استخـدام كلمة «المحرق» لتدل على احدى الجزر حيث كانت تحرق جثث الموتى يشبه التفسـير الذي قـدمـه «روتشتـاين»

بشـأن اللخميين والغسـانيين الذين احرقوا او اتهموا باحراق اعدائهم او قراهم الا انه ليس هناك ادنى شك في انه لا توجد اية اهمية في الاستعمال البحريني لحقيقة ان الكلمتين «اوال» و«محـرق» كانتـا اسمـين لآلهـين في العصر الجـاهلي. وذلك لان المصـادر العـربية التي تتضمن اسمـاء هـذه الآلهة لا تشير الى وجود اية علاقة من هذا النوع يضاف الى ذلك ، كما تبين من تحقيقنـا هـذا ان الاسمـين لم يتداولا معا في البحرين قط. اذ كانت «اوال» اسمـا رئيسيا لاكبـر الجـزر البحرينية لحـوالي ١٣٠٠ سنة قبـل استخدام اسم «المحرق» لاول مرة في اوائل القرن التاسع عشر.

والخلاصة ان هذه الهوامش حول مصادر واستخدام اشهـر اسمين في جزر البحرين تستهدف اثارة مسألتين هـامتين امـام كل المعنيـين بالتـاريخ القديم للمنطقة.

المسألة الأولى هي: انه توجد هناك دون شـك مصادر أخـرى كان يجب دراستها.

والثانية ان هنـاك تفاسـير اخرى اغفلت تماما. ورغم ذلك فاننا نأمل ، ان هـذه الجولة السـريعة في تـاريخ البحرين القديم الذي لا نعـرف عنه كثيرا يمكن ان تحث الآخرين بواسطة تـزويدهم بـالمعلومات المنـاسبة عـلى القيام بدراسة مثمرة لاسماء المواقع الجغرافية في الخليج العربي.

# الهوامش

١ ـ كلارك (١٩٨١ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٨)
٢ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٦)
٣ ـ انظر تيلو ١٩٥٨ ـ ١١٠ ـ وبروكلمان: ١٩٤٣ ـ ١٣
٤ ـ مايلز: ١٩١٩ ـ ١٢٧ وماديلنج ١٩٧٦ ـ ٦٦٤
٥ ـ وستنفلد (١٨٧٤ ـ ١٨٣)
٦ ـ تبيتس (١٩٨١ ـ ٢٢١)
٧ ـ نيبور (١٧٧٤ ـ جدول ١٩)
٨ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٦)
٩ ـ جراف ٢ (١٩٤٧ ـ ٢١٩)
١٠ ـ ريديل (١٩٠٢ ـ ٦٨٣)
١١ ـ ريتر (١٨٤٦ ـ ٤٢٢)
١٢ ـ انظر بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٧ والهامش ٢٠)
١٣ ـ بلجريف (١٨٦٥ ـ ٣٢١)
١٤ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٨٦)
١٥ ـ فادالا (١٩٢٠ ـ ٣)
١٦ ـ بلجريف (١٨٦٥ ـ ٣٢١)
١٧ ـ جلاوكوس الجزء الاول.
١٨ ـ بلاد (١٨٧٣ ـ ٣٢٢ هـ ـ ٩)
١٩ ـ سبرنجر (١٨٧٥ ـ فقرة ١٥٤)
٢٠ ـ بينيت (١٨٩٠ ـ ٩)
٢١ ـ بليني (التاريخ الطبيعي ٦ ـ ١٥٧)
٢٢ ـ جلاسر (١٨٩٠ ـ ٨١ ـ ٨٣)
٢٣ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٨٦)
٢٤ ـ بريدو (١٩١٢ ـ ٦٢)
٢٥ ـ هومل (١٩٢٦ ـ ٥٤٢)
٢٦ ـ ماكي وهاردنج وبتري (١٩٢٩ ـ ٢٨)

٢٧ ـ توما سجك (١٨٩٦ ـ ٢٢٦٣)
٢٨ ـ اليعقوبي (١٩١٠ ـ ١٤٢٠)
٢٩ ـ حار تنر (١٩٧٩ ـ ٣٥٩)
٣٠ ـ تكاك (١٩٠٧ ـ ٨٣٧)
٣١ ـ انظر سميث ١٨٨٥: ١٩٤ ـ وولهاوزن ١٨٨٧ ـ ٦٤ وفهد ١٩٦٨: ٤٧)
٣٢ ـ زادوك (١٩٧٧ ـ ١١٩ ، هـ ٦٤)
٣٣ ـ زادوك (١٩٨١ ـ ٥٠ هـ ٥٦)
٣٤ ـ نولدكه (١٨٧٩ ـ ٥٧)
٣٥ ـ نولدكه (١٨٧٩ ـ ٥٧)
٣٦ ـ وستنفلد (١٨٧٤. وانظر تيلو ١٩٥٨ ـ ٣٤)
٣٧ ـ تيلو (١٩٥٨ ـ ٥٩)
٣٨ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٧٤)
٣٩ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٢٦٨)
٤٠ ـ بوكامب وروبين (١٩٨٣ ـ ١٨٠)
٤١ ـ فهد (١٩٦٨ ـ ٤٧ و٤٨)
٤٢ ـ (ابن دريد ص ٧٩)
٤٣ ـ ابن دريد ١٦٠
٤٤ ـ كالفيت (١٩٨٤ ـ ٣٤٢)
٤٥ ـ نولدكه (١٩٧٩ ـ ٥٦)
٤٦ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١٢٦٧ ومايلز ١٩١٩ ـ ٣٢٢ وانظر خريطة الخليج العربي لنيبور ١٧٧٤ جدول ١٩).
٤٧ ـ جغرافية (١٦ و٣ و٤) وبطلميوس جغرافية ٦ و٧ و٤٧ وستيفان البيزنطي وسبرنجر (١٨٧٥ فصل ١٥٥) وانظر كالفيت (١٩٨٤ ـ ٣٤٢).
٤٨ ـ تيبتس (١٨٧٨ ـ ١٣٠ ـ ١٤٨ ـ ١٦٥)
٤٩ ـ نيبور (١٧٧٤ جدول ١٩)
٥٠ ـ ارتكاس للاسم القديم عراد/ عرادوس او محاراق ـ بكنجهام ١٨٢٩ ـ ٤٥٣.
ولا يفوتني هنا ان اشكر المستر روبرت جارمن من جمعية البحرين للتاريخ والآثار الذي ارسل لي الهامش التالي:

«في الوقت الذي ظهر فيه مؤلف باكنجهام كتب الكابتن بروكس المذكرة الوصفية للملاحة البحرية في الخليج الجزء الاول الذي يتناول الجانب العربي بتاريخ ٢١ اغسطس ١٨٢٩ لكن الكتاب لم ينشر بصفة عامة حتى ١٨٥٦ حيث نشر هذا الجزء مع بقية المذكرة في مختارات من سجلات حكومة بومباي المجلد ٢٤ ص ٥٣١ ـ ٦٣٤ وكتب بروكس ما يأتي في الصفحة ٥٦٦.

«الشيخ عبدالله بن احمد يسكن المحرق في الجزيرة التي تحمل هذا الاسم وهي مدينة كبيرة وتضم ٦٠٠٠ نسمة.

ويظهر بأن هذه كانت اول مرة تذكر فيها المحرق كاسم للجزيرة اما ماذا تعني الكلمة فهو امر غير واضح لان بروكس يستطرد قائلا في صفحة ٥٦٨: «ان جزر المحرق وعراد وسماهوى تمتد الى ١٢ ميلا وتنفصل عن بعضها البعض اثناء ارتفاع المد خاصة اول الشهر القمري ويوجد عليها بعض النخيل ويسكنها حوالي ٧٥٠٠ نسمة وهناك قلعتان احداهما في المحرق والثانية في عراد.

وقد تم اعادة نشر هذه المذكرة بواسطة مطبعة اوليانـدر تحت عنوان «استخبارات عن الخليج العربي» مع مقدمة من روبين بدويل وظهرت بعد كتابة هذا البحث.

٥١ ـ ريتر (١٨٤٦ ـ ٥٩٥)
٥٢ ـ الخليفة وحسين (١٩٨٣ ـ ٤)
٥٣ ـ لوريمر (١٩٠٨ ـ ١١٢٦)
٥٤ ـ كلارك (١٩٨١ ـ ١٨٠)
٥٥ ـ فلور (١٩٧٩ ـ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤)
٥٦ ـ طبقا لولهاوزن ـ ١٨٨٧ ـ ٥٧ ـ والقراءات الجديدة لفهد ١٩٦٨ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩)
٥٧ ـ ولهاوزن (١٨٨٧ ـ ٢٤٤) ونولوكه (١٨٨٥ ـ ٧١٢)
٥٨ ـ سميث (١٨٩٠ ـ ٣٦٤ وهـ ١)
٥٩ ـ نولدكه (١٨٨٧ ـ ٧١٢)
٦٠ ـ روتشتاين (١٨٩٩ ـ ٤٦ ـ ٤٧)
٦١ ـ روتشتاين (١٨٩٩ ـ ٤٧ ويعقوب ١٨٩٧ ـ ١٤٥ وونسنك ١٩١٣ ـ ٣٥٢ وفهد ١٩٦٨ ـ ١٣٠ هـ ٧)
٦٢ ـ فهد (١٩٦٨ ـ ١٣٠ هـ ٧)
٦٣ ـ روتشتاين (١٨٩٩ ـ ٤٧)
٦٤ ـ وستنفيلد (١٨٧٤ ـ ٢٠٠ وفهد ١٩٦٨ ـ ١٣١ ـ هـ ٥٠)
٦٥ ـ نولدكه (١٨٨٨ ـ ٧)
٦٦ ـ روتشتارين (١٨٩٩ ـ ٤٧)
٦٧ ـ فهد ١٩٦٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣١ هـ ٣)
٦٨ ـ فهد (١٩٦٨ ـ ١٣٠ ـ ١٣١)
٦٩ ـ انظر روتشتاين ١٨٩٩ ـ ٨١ وجراف ١٩٤٧ ـ ١٦ و ١٩
٧٠ ـ روتشتاين (١٨٩٩ ـ ٤٨ ـ ٤٩) وانظر جيدي (١٩٢١ ـ ٢١)
٧١ ـ وستنفيلد (١٨٦٩ ـ ١٦٠)
٧٢ ـ نولدكه (١٨٨٨ ـ ٧ ـ هـ)

# بلاد ديلمون

بقلم : ستيفان نيكيتوف

ترجمة : د. عبدالله الصوفي

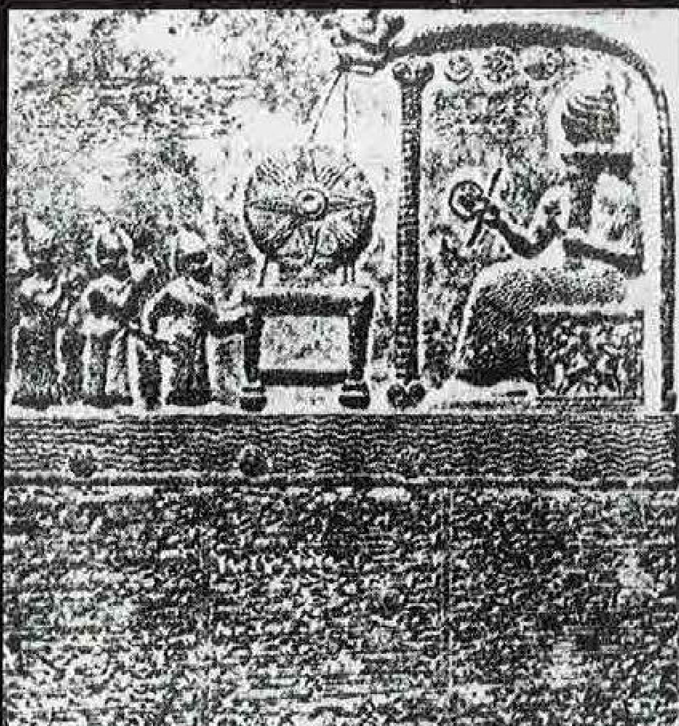
شهدت فرنسا خلال عام ١٨٦١ نشر الترجمة الكاملة لنصوص الكتابة المسمارية على لوحات الرخام الشفاف الكبيرة التي عثر عليها بول ايميل بوتا أثناء حفرياته الأثرية في خورسباد (منطقة ما بين النهرين). وتصف تلك الكتابات أحداثا وقعت في عهد الملك الاشوري (شاروكين) او كما يقال له ايضا (سرجون الأشوري) الذي عاش خلال القرن الثامن قبل الميلاد. ويتحدث الجزء الأخير من النصوص عن حملة سرجون التي شنها على ملك بابل (مردوك - أبلا - ايدينا) ويقول فيها هو عن نفسه: «انني أخضعت لسلطتي (بيت - ايكين) على ساحل البحر المر حتى حدود (ديلمون) نفسها. وقد سمع (اوبيري) ملك ديلمون الذي توجد داره كالأسماك. على بعد ثلاثين ساعة مزدوجة وسط بحر الشمس المشرقة، بجبروتي وعظمتي، وارسل الي الهدايا». وكان هذا بمثابة أول وثيقة اطلع من خلالها العلماء على الوجود التاريخي لـ «بلاد ديلمون» غير المعروفة حتى ذلك الحين

وفي نفس العام المار ذكره نشر العالم الباحث هنري راولينسون في لندن جزءا من نصوص الألواح الفخارية المحفوظة في المتحف البريطاني، وتتطرق خمسة الواح منها الى ذكر اسم بلاد ديلمون بصورة

مترجم عن البلغارية ، عن مجلة Koemos

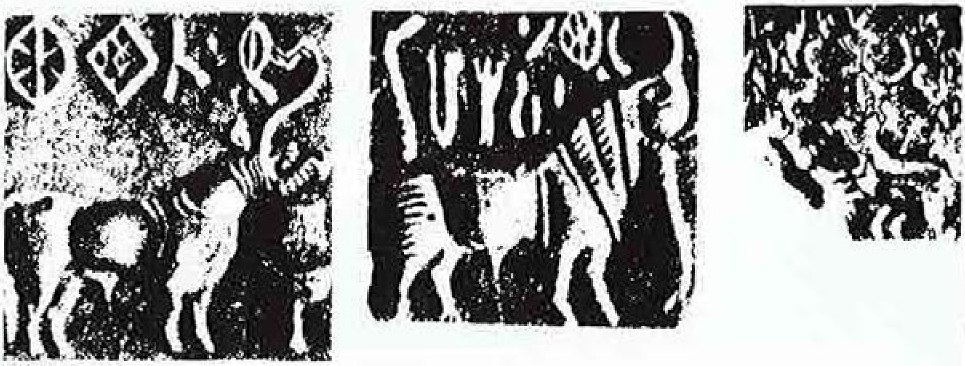
و المقال نقلا عن مجلة الثقافة العالمية العدد ٢٨ السنة الخامسة

# الغامضة



كتابة بالخط المسماري من عهد الملك نابو اليدين

عابرة، غير ان اللوح السادس يتحدث عن مآثر سرجون الآكادي (ملك أكاد جنوبي بلاد ما بين النهرين حوالي عام ٢٣٠٣ق.م) الذي «بلغ البحر الأسفل (الخليج العربي) واخضع ديلمون» ولقد قام راولينسون في ابحاثه



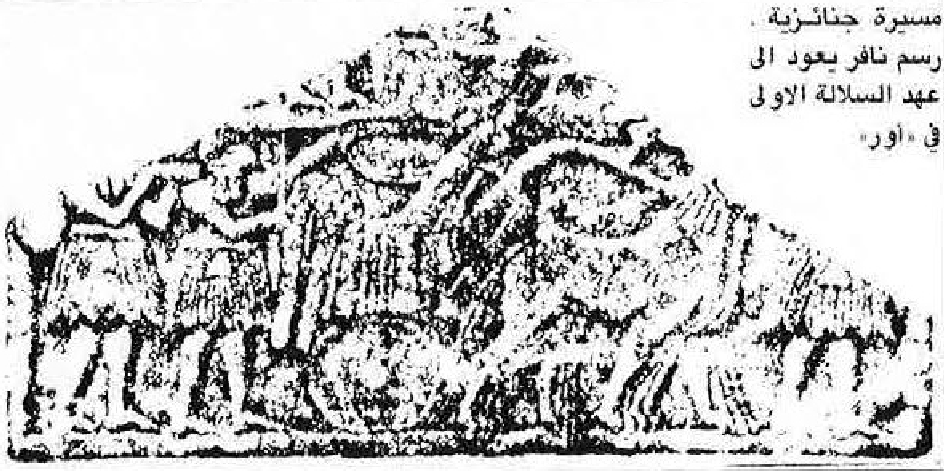
اختام عثر عليها في «موخينجو دارو»

بتمحيص سائر أوابد الخط المسماري المعروفة آنذاك، التي ورد فيها ذكر ديلمون، وكذلك الآثار المتأخرة التي أشار فيها المؤرخون الاغريق القدامى والرومان الى الاراضي المتاخمة للخليج في كتاباتهم. وانتهى راولينسون بعد ان اجرى تحليلا لامكانات دور ديلمون في تاريخ الآشوريين والبابليين القديم، الى الرأي بأن من المحتمل ان تكون ديلمون هذه هي جزيرة البحرين الحالية .

وقامت بعثة آثارية نظمتها جامعة بنسلفانيا الامريكية عامي ١٨٩٩ و١٩٠٠ بتنقيبات وحفريات شملت مدينة (نيبور) السومرية التي اشتهرت في القديم جنوبي بلاد ما بين النهرين. وكانت هذه المدينة في اواسط الألف الثالث قبل الميلاد أهم مركز ديني للسومريين، لأن حاميها هو «عنليل» كبير الآلهة او رب الأرباب حسب الاعتقادات السومرية. وكان المعبد الرئيسي للاله عنليل يقوم عند زقورة* نيبور، المسماة «ايه ـ كور» «بيت الجبال» ـ علما بأن رئيس البعثة هيلبر يهث تمكن من العثور هناك على محفوظات (ارشيف) المعبد، وتتألف من حوالي ٣٥ الف لوح فخاري .

وتناولت كتابة احد الألواح وقد تم نشر نصها في عام ١٩١٤ قصة الطوفان حسب الاعتقادات

* الزقورة برج هرمي مدرج ينتهي بمعبد في اعلاه ويعد من اهم منشآت العبادة المميزة لبلاد ما بين النهرين في العصور الغابرة .



مسيرة جنائزية.
رسم نافر يعود الى
عهد السلالة الاولى
في «أور»

السومرية. ومع ان اللوح كان مصابا بتلف بالغ الا ان ترميمه المتأني بكل حرص اظهر ان فحوى النص كثير الشبه جدا بالاعتقادات الآشورية - البابلية حول قصة الطوفان، وتمثل هذه القصة «الفصل» الحادي عشر من ملحمة جلجامش الشهيرة، غير ان هذه الملحمة الاسطورية السومرية تختلف عن مثيلتها الآشورية - البابلية، اذ جاء في ختامها ما يلي: «لقد أحب «عان» و«عنليل» زيوسودرا (الانسان الوحيد الذي سلم بعد الطوفان) ووهباه حياة مماثلة لحياة الآلهة وأعطياه اسمى وجود ابدي، وأمرا بأن يعيش الملك زيوسودرا راعيا وحاميا لكل شيء ينبت بما في ذلك بذرة البشر في (بلاد العبور*)، بلاد ديلمون، مكان شروق الشمس» - ترجمة البرفسور س.كرامر.

وحمل ذكر ديلمون في اقدم اسطورة لقصة الطوفان العلماء على الامعان في التفكير، اذ ان النصوص الآشورية تتحدث عن ديلمون بصورة حسية كبلاد فعلية لها وجود في عالم الواقع، بينما تجعل الاساطير السومرية من ديلمون هذه مسكنا أبديا لجد البشر الخالد الأول، ومن المحتمل ان جلجامش قصد أرض ديلمون بالذات بحثا عن الخلود. وقد ظل هذا التناقض بين الاسطورتين

* التعبير باللغة السومرية هو (كوربالا) من كلمتي «كور» وتعني «بلاد» و«بالا» التي يحتمل ان تكون كلمة تستعمل للدلالة على عبور الانهار وغيرها من الموانع المائية، واجتيازها او قطعها.



كتابة مجهولة لشعب عاش في وادي السند خلال الالف الثالث قبل الميلاد

حول تلك البلاد الغامضة قائما زمنا طويلا دون توضيح، الى ان قام البروفسور س.ن كرامر العالم والخبير بتاريخ السومريين، ذو الشهرة العالمية بنشر الترجمة الدقيقة عام ١٩٤٥ لنص اللوح الفخاري الكبير الذي عثر عليه في نيبور ايضا، ويمثل النص وهو يشتمل على ٢٧٨ شطرا من الابيات الشعرية موزعة على ٦ أعمدة ـ ملحمة اسطورية تاريخية فريدة، اشتهرت تحت أسم «ملحمة اينكي ونينخور ساغ».

تدور الاحداث التي تتكلم عنها الملحمة في ديلمون، وتصفها بأنها بلاد مقدسة، ففيها ينتفي وجود السباع والضواري، كما تخلو من الأمراض والشيخوخة، وارضها مباركة بوجود المياه العذبة فيها بغزارة. ويمكن الافتراض ان (اينكي) كان في البداية إله ديلمون وان الملحمة الاسطورية انتقلت من ديلمون الى بلاد ما بين النهرين، ومن المحتمل ان السومريين اعتقدوا بأن آلهتهم كانت تقضي جل وقتها في فجر البشرية على ارض ديلمون، ولذا اضفوا على تلك البلاد أجمل الصفات ونعتوها بأحسن النعوت.

وفي الوقت الحاضر يمتلك العلماء قدرا كبيرا من الأوابد القديمة المكتوبة التي تتحدث عن «بلاد ديلمون» فقد ظل السومريون والآشوريون والبابليون طوال حوالي الفين من السنين (من الألف الثالث حتى الأول قبل الميلاد) يكثرون في كتاباتهم من الحديث عن بلاد غنية مزدهرة يطلقون عليها اسم ديلمون (واحيانا اسم تيلمون) واصفين اياها بأنها «بلاد الحياة الابدية» وانها توجد بعيدا في الجنوب، وراء الماء المر» (الخليج العربي) عند «مكان شروق الشمس».

واقدم أبدة تتطرق الى ذكر هذه البلاد الغامضة هي لوحة الملك اور ـ نانشيه (حوالي عام ٢٥٢٠ق.م) الذي

حكم مدينة لكش السومرية، فقد وردت فيها العبارة التالية : «.. ان سفن ديلمون قد حملت الي من البلاد الأجنبية جزية تتكون من أخشاب». أما آخر لها فقد جاء في لوح يرجع تاريخه الى عهد (نبونيد) آخر ملك بابلي (سنة ٥٤٤ق.م). وتتحدث كتابة اللوح عن أحد حكام ديلمون .

مر على ذلك زهاء ٢٥٠٠ سنة طوى خلالها النسيان امر هذه البلاد الغامضة، الى ان قام عدد من علماء الآثار المنفردين بالبحث عنها في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن. ومن المعروف ان وزارة الخارجية البريطانية كلفت في عام ١٨٧٩ ضابطا هو الكابتن ديوراند بالتنقيب عن آثار الحضارات الغابرة في جزيرة البحرين، فأنجز بكل حرص ودراية حفريات تناولت عددا من المدافن القديمة والتلال، ودرس الضابط كثيرا من الآثار التاريخية الاخرى، واكتشف كتابة بالخط المسماري على لوح بازلتي أسود، وتمكن من فك رموز تلك الكتابة ونشرها ويقول نصها : «هذا قصر ريموم من آغاريا (احدى القبائل) خادم الاله اينزاك» وكما تبين فيما بعد فان مجرد ذكر اسم هذا الآله قد اتسم بأهمية جوهرية مكنت من الاستنتاج بأن ديلمون هى جزيرة البحرين، اذ ان اينزاك كما كان يعرف في ديلمون هو اسم الآله البابلي المشهور والمبجل (نبو) حامي فن الكتابة والحكمة .

وفي عام ١٩٠٦ طلبت السلطات البريطانية في الهند من الكولونيل برادو دراسة تلال المقابر الاثرية في البحرين ـ وسرعان ما عمد الكولونيل بالأسلوب العسكري الصرف وبمساعدة الجنود ، والعمال العرب الذين اصطحبهم الى نبش اعلى التلال الموجودة قرب بلدة «عالي» ويبلغ



عبد . لوحة فخارية من «موخينجو دارو

عددها حوالي ١٢ تلا ، وقام بشق انفاق مائلة ومنحدرة فيها وتوصل الى اكتشاف مقاصير كبيرة للدفن نهبت موجوداتها منذ الازمنة الغابرة ، وكان من اهم الاشياء القليلة النادرة التي عثر عليها خاتمان ذهبيان وحطام تمثالين صغيرين من عاج الفيل .

وقصد الجزيرة في عام ١٩٢٥ عالم الآثار المتمرس ارنست ماكي فأجرى حفريات شملت حوالي ١٥ من التلال، واثبت ان كل واحدة منها تضم في داخلها حجرة مستطيلة مرصوفة بالحجارة يتجه مدخلها صوب الغرب، اما موجوداتها فهي عبارة عن عظام بشرية مبعثرة وبعض حطام أوان من الفخار، ولم يدرك ماكي وقتها ان حجرات الدفن قد تعرضت للنهب في الزمن القديم، ولهذا خرج بفرضية مفادها ان الجزيرة كانت تستخدم كمقبرة لدفن الموتى فقط من طرف قبائل شبه الجزيرة العربية خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

وظلت هذه الفرضية المتناقضة قائمة حتى عام ١٩٥٣ حينما بدأت بعثة أثارية دانماركية حفرياتها على نحو منهجي في الجزيرة. وكما هو معلوم يبلغ طول جزيرة البحرين حوالي ٥٠ كلم كما يقارب عرضها ٢٤ كم. وتعتبر اكبر الجزر الصغيرة الخمس والعشرين الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي من الخليج، وهي الجزر التي تشكل اليوم دولة البحرين العربية المستقلة (١٩٧١). وقد ظل الماضي القديم للجزيرة مجهولا تماما حتى القرن السابع الميلادي حينما اعتنق سكانها الدين الاسلامي. ولم يعلم الناس في اوروبا بوجودها الا بعد القرن الخامس عشر عندما اسس البرتغاليون ممثليات تجارية (وحصونا حربية ـ م. المترجم) لهم فيها. ولكل هذا ابدى العالمان الآثاريان بيتر ويلهلم غلوب وجفري بيبي صاحبا مبادرة تشكيل البعثة والمشاركان الوحيدان فيها في البداية، اهتمامهما بكل ما يمت الى تاريخ الجزيرة بصلة من قريب او بعيد.

وقد كتب بيبى يقول بهذا الصدد: «كان يهمنا نظريا بنفس الدرجة كل من الأدوات والقطع التى تعود الى العصر الحجرى والآثار التى ترجع للعصر الاسلامى الباكر وكذلك التلال الأثرية التي شغلت بال سابقينا بالكامل ولكن على الصعيد العملي كنا ندرك جيدا ان هناك مسألة واحدة سوف تزيح ولابد كل ما عداها، فنحن في سعينا لتحديد مكان البحرين في التاريخ العالمي سنقوم عفويا بدور الباحثين عن ديلمون ايضا» .

لجأ الباحثان بادىء ذي بدء الى دراسة الصور الجوية الملتقطة فوق

الجزيرة، وتبين لهما ان فيها حوالي ١٠٠ الف تلة أثرية، واختارا ٥٥ من المناطق التي يعولان عليها، وابتدأ الدراسات والحفريات فيها، وقاما خلال موسمي العمل الأولين بحفرياتهما قرب بلدة «باربار» واكتشفا اطلال معبد قديم كبير يعود تاريخه الى اواسط الألف الثالث قبل الميلاد. شبيه بالمعابد السومرية في تلك الفترة، وبعد ان عمد العالمان الى توسيع نطاق الحفريات والتنقيبات اكتشفا انقاض مدينة في منطقة الحصن البرتغالي القديم على الساحل الشمالي للجزيرة، واثبتت الدراسات الاستراتوغرافية* الدقيقة أن الآثار منتشرة ضمن خمس طبقات حضارية (تتوزع افقيا). سمياها اشتراطا بالمدينة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة، وتميزت القطع الفخارية والخزفية الكثيرة بنوع معين من التزيينات والنقوش والزخارف لم يعثر على شبيه لها في اي مكان اخر واستنتج الباحثان من الشبه الكبير بين رأس ثور من النحاس عثرا عليه في انقاض المعبد ورؤوس من هذا النوع كانت قد اكتشفت في مدافن ملوك اور (أرك)، انه يعود الى حوالي عام ٢٣٠٠ق.م. ولكن لم توضح بقية الأبحاث ما اذا كانت هذه الآثار تمثل حضارة مستقلة تماما ام لا، ومع ذلك بينت ان المدينة الأولى قد انبثقت حوالي عام ٢٧٠٠ق.م، وان من المحتمل ان المدينة الثانية هى ديلمون الباكرة، وبالتالي تكون المدينة الثالثة قد تبوأت مكانا مركزيا في ازدهار الحضارة الديلمونية (أي انها هي ديلمون الوسطى وقد دامت من عام ١٨٠٠ الى عام ١٠٠٠ق.م)، وأن المدينة الرابعة تجسد ديلمون العصر القديم المتأخر (من عام ١٠٠٠الى ٥٠٠ق.م)، وبشأن المدينة الخامسة فانها تعود الى عصر الاسكندر الأكبر، اما الطبقة العليا فتشتمل على الآثار المميزة للحواضر الاسلامية خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد.

وفي عام ١٩٥٧ عثر ج.بيبي قرب سور ديلمون الباكرة على «أهم لقية اثرية خلال العام» والمقصود بذلك ختم مستدير ابيض ـ رمادي من الحجر الصابوني** يبلغ قطره حوالي

* الاستراتوغرافيا قسم من علم الجيولوجيا يستند اليه علماء الاثار في وضع اسلوبهم لتحديد تعاقب الطبقات الحضارية وتواليها على سطح الارض وعمرها

** الحجر الصابوني او الاسباتيت. حجر لين دهني الملمس يحتوي على الطلق «الدلك» اي سيليكات المغنيزيوم الطبيعية وكان الاقدمون يصنعون منه مختلف اشكال الحلي والتعاويذ والاختام.

٢,٥سم. وكان الدكتور (جيد) من المتحف البريطاني قد نشر منذ عام ١٩٣٢ بحثا حول الاختام الاسطوانية التي عثر عليها ليونارد اولي لدى تنقيباته في اور، وهي اختام شاع استعمالها على نطاق واسع في بلاد ما بين النهرين بين عامي ٣٠٠٠ و٥٠٠ق.م، كما تم نشر ابحاث تناولت بالوصف ١٥ من الأختام المستديرة تبين ان ثمانية منها مماثلة تماما للختم الذي عثر عليه بيبي، وبالنسبة للأختام السبعة المتبقية فإنها مستديرة الشكل هي ايضا ولكن وجهها الأمامي يحمل صورة منقوشة تمثل ثورا، وفوق الصورة رموز كتابية مستمدة مما يعرف بالحضارة الهندية الأولية التي نشأت قرب نهر الهندوس (السند). وهذا بالذات ما حمل الدكتور جيد على اختيار العنوان التالي لموضوع بحثه : «اختام من الطراز الهندي الأولي يعثر عليها في اور» .

وتجدر الاشارة الى ان مدير مصلحة الآثار في الهند الكسندر كنغهام كان قد عثر بطريق الصدفة منذ أكثر من مئة سنة «عام ١٨٥٣» عندما زار اطلال قصر أثري بالقرب من نهر السند على ختم من الحجر الصابوني يحمل كتابة تشتمل على ستة رموز مجهولة تماما. وهكذا ارسيت بداية اكتشاف احدى اقدم الحضارات على الأرض، فقد تم العثور في هارابا (وهي المكان الذي وجد فيه الختم الأول) وموخينجو دارو ، وتشكلان المدينتين الرئيسيتين لتلك الحضارة التي مازال يكتنفها الغموض حتى الآن ، على مئات الاختام المربعة المصنوعة من الحجر الصابوني ، وكلها ذات شكل متماثل يتراوح طول ضلعها بين ٢,٥ و٤ سم ، ويحمل وجهها الامامي صورة حيوان ما (ثور او بقرة هندية مسنمة) وفوق النقش كتابة بلغة مجهولة . على ان اربعة من الأختام التي عثر عليها في موخينجو دارو لم تكن مربعة وانما مستديرة الشكل تشبه الاختام المستديرة الممثلة للحضارة الهندية الأولية التي عثر عليها (اولي) في اور وقام (جيد) بكتابة بحثه عنها .

لذلك فإن من الممكن الخروج في خاتمة المطاف وبعد جمع المعطيات بخصوص سائر هذه اللقيات بالاستنتاج الآتي :

ان تواجد الأختام المتماثلة في كل من اوروموخينجو دارو يشهد على قيام احتكاك واتصال مديد بين الحضارتين ، ومن جهة اخرى بات من الواضح ان الأختام المستديرة «اجنبية» عن الهند وعن بلاد ما بين

النهـرين ايضـا ، وبـالتـالي يصـح الافتـراض بكونهـا اختامـا «محلية» اختصت بها البحرين . وهـذا يشكل دليلا آخر غير مباشر على ان البحرين هي ديلمون الغابرة .

هذا وقد تم في وقت متأخر اكتشاف ٨٥ من الأختـام الاخرى في هـارابا وموخينجو دارو وهي تحمـل نقوشـا وكتابة بالخط المسماري على وجهيها ، من النمط الديلموني . وبالفعل فقـد لعبت جزيرة البحرين في القديم دورا هاما باعتبارها مركزا تجاريا يتوسـط الطريق البحري بين بلاد الهند وبلاد مـا بين النهـرين ، وشريكـا مكافئـا للحضارتين العـظيمتين . فعـلى طول الخليج العربي لا تتوفر مصادر غزيرة من المياه العذبة الا في هذه الجـزيرة ومـا يحاذيهـا من بر شبـه جـزيـرة العرب ، وبفضل هذه المياه استطاع البحارة الاوائل مواصلة رحلاتهم بعد تـزودهم بها ، وتشهـد على التجـارة النشيطة بين ديلمون وارض الرافدين الألواح الفخـارية الكثيـرة التي عثر عليها ل . اولي اثناء حفرياته في أحياء اور السكنيـة عامي ١٩٣٠ ١٩٣١ . وتتطرق كتابات ١٨ لوحا منهـا يعود تاريخها الى حـوالي عام ١٨٠٠ ق .م الى ذكر اسم (ايناصير) وتشير اليـه كتاجر ديلموني عمل وسيطا في تجارة النحاس الذي كان يجلب الى اور من ديلمون . كما تتحدث كتابات ثمانيـة الواح اخرى اكتشفت في معبد نينغال (١٩٠٧ ـ ١٨٧١ ق . م) عن التجارة مـع ديلمون . وعثر كذلك عـلى لوح يرجع عهده الى عام ٢٠٢٧ ق . م يمثل قسيمة او «وصل استلام» من المدعو (اور ـ قور) الذي هو «ربـان سفينة كبيرة» . ويشير نص كتابة القسيمـة الى «دفع ثمن النحاس المجلوب من (ما كـان)» ، وبالتـالي يدل هـذا على ان التجـار الديلمونيـين كانـوا يمتلكون «مكاتب» تابعة لهم في اور يقومون من خـلالها بـاستيراد النحـاس وبيعه ، وانهم كانوا يحصلون عليـه من بلاد اخرى هي (ما كان) . ويرى ج .بيبي ان تلك البـلاد هي عمان الحـاليـة ، ويبـدو قوله معقـولا ، لاسيمـا وانـه اكتشف بنفســه في منـطقـة واحـة البريمي القريبـة آثار منـاجم غابـرة لاستخراج النحاس ، واثبت تحليـل الادوات النحـاسيـة التي اكتشفت جنوبي بلاد ما بين النهـرين ، ويعود تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد ، انها قريبة الشبه (من حيث احتوائها على النيكل وخلوها من عنصر الزرنيخ بـالمعدن وفلز النحـاس اللذين كانـا يستخـرجـان من عمـان خـلال تلك العصور .

وفي النهاية خرجت البعثة الأثرية الدانماركية بعد ١٦ عاما من البحث والتنقيب (استمرت اعمالها من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٩) بالعديد من الاستنتاجات المثيرة حول تاريخ الساحل العربي الجنوبي بدءا من الكويت في الشمال حتى عمان في الجنوب ، فقد اكتشفت ودرست مدافن ومدنا اثرية لحضارة ظلت مجهولة تماما حتى ذلك الحين ترجع الى الألف الثالث قبل الميلاد ، هي «حضارة باربار» ومركزها هو جزيرة البحرين . ولا يوجد شك الآن في ان آثار هذه الحضارة تعود لبلاد ديلمون الاسطورية . وعدا ذلك قامت البعثة بدراسة الاوابد الاغريقية القديمة في جزيرة ايكاروس ومدينة (ثاج) وكذلك آثار حضارة (العُبَيْد) الزراعية الباكرة التي يرجع تاريخها الى الالف الخامس قبل الميلاد والتي تم اكتشافها خلال عامي ١٩٦٧ و١٩٦٨ .

ومع ذلك تبرز من خلال العلاقات المتبادلة بين سومر وديلمون طيلة آلاف السنين مسألة غير مفهومة بل ومليئة بالغموض ايضا لماذا تصور الأساطير السومرية ديلمون على انها بلاد مقدسة وانها «فردوس للآلهة وليس للناس تخلو من وجود الأمراض والموت رغم قيام اتصالات تجارية ملموسة معها مدعومة بالوثائق والمستمسكات أيضا ؟ ولماذا يكثر ذكر الآلهه الديلمونية البحتة اينزاك ، وميسكيلاخ اينزاك ، ونينسيكيلا ، ولاهانوم في المدائح الدينية السومرية والأساطير ؟ ولماذا ظلت ديلمون بالنسبة للسومريين محاطة بهالة خاصة من القدسية ؟ هل يمكن تفسير كل هذه الأمور بالاهمية الاقتصادية الكبيرة للتجارة مع ديلمون دون تواجد اي سبب اخر يا ترى ؟

ان بعض الباحثين يفتشون عن توضيح كل ذلك بمصادر الماء العذب الوفيرة في جزيرة البحرين مما جعلها تغص بغابات النخيل الكثيفة وبالحدائق الغناء والخمائل وهذا منظر غير مألوف بالنسبة للصحراء العربية ، ويعتقد آخرون ان حضارة «العُبَيْد» الأكثر ايغالا في القدم كانت صاحبة قصب السبق المباشر ، او ربما كانت هي الام التي انجبت الحضارة السومرية ولكن مع ذلك فقد اظهرت الدراسات الأخيرة التي اجريت على قطع فخار العبيد في شبه الجزيرة العربية بواسطة التحليل النيوتروني ، انها اصغر سنا من أقدم مثيلاتها في منطقة ما بين النهرين . وبالتالي فإن حضارة العبيد الباكرة قد

رأت النور في مكان مـا على ضفـاف نهري دجلة والفرات ، ومن ثم انتشر ممثلوها على طول ساحل الخليج وبحر العرب .

ونجد من المناسب الاشارة هنا الى ان البروفسور س . كرامر يعتقد بأن جزيرة البحرين لا يمكن ان تكون هي نفسهـا ديلمـون «المملكـة الثـالثـة» المشهورة في الملحمة التي تتحدث عن جلجامش . ومن رأيه فـإن الحضارة الباكرة الاولى في وادي نهر السند هي التي تمثـل بـالفعـل «بـلاد ديلمـون المقدسة» و«البلاد التي تشرق منهـا الشمس» اذ انها صفات مميزة جدا للهند التي توجد اكثر بعـدا الى جهة الشرق مما هـو عليه حـال البحرين بالنسبة لسومر .

وعلى اية حال وبصرف النظر عن بعض المسـائل غـير المحلولة ، فـإن الجزء الاكبر من فضل علماء الاثـار الدانماركيين الجسيم يكمن في ازالتهم نقـاب الغموض الذي ظل يلف حتى الآن تقريبا الماضي الغابر لهذه المنطقة الواسعة جدا . منذ العصر الحجري القديم حتى حقبة القرون الوسطى .

# تاريخ النبات في الأقرباذين العربي بمنطقة الخليج

للدكتورة عفاف خليل

كلية الصيدلة ( قسم الأقرباذين ) جامعة بغداد

منطقة وادي دجلة والفرات وهي المنطقة التي كانت تدعى في وقت ما الميزوبوتاميا ( او الرافدين ) وتعرف اليوم بالجمهورية العراقية . ساهم سكانها من السومريين والأكاديين والبابليين والآشوريين ثم العرب وطوال العصور في حضارة رائعة ولعبوا دورا رائدا في الشرق الأدنى في مجالات العلوم والفنون والفلسفة والأديان والسياسة والأدب .

وحتى قبل ذلك الزمن عندما كان الانسان يعيش في العصر الحجري حوالي ٨٠٠٠ ق م ادخل العراق في شماله تغييرا ثوريا في انتاج الأغذية كان الانسان آنذاك يمارس الصيد مثل الحيوانات الأخرى لكسب الرزق لكنه تعلم كيف يربي الحيوانات حتى اصبحت دواجن انيسة ومصدرا احتياطيا جاهزا للغذاء واكثر اهمية من ذلك تعلم الانسان زرع الأغراس . عقب تربية الدواجن وتنمية الزراعة بصورة منتظمة لقد استقر موقف الأغذية وتوفيرها كما ازداد عدد السكان وتطلبت ممارسة الزراعة ان يبقى الانسان في مكان واحد مما ادى الى تنفيذ مشاريع الاسكان وتشييد المدن . وهذا التطور في الحقيقة يرمز الى بداية الحضارة ويرجع اصل كلمة الحضارة باللغة اللاتينية الى المدينة ، وقد بدأ العصر الحجري الجديد يتقدم بطيئا من مركزه في الشرق الأدنى وفي حوالي ٤٠٠٠ ق م بدأت ميزات هذه الثقافة تتبلور في اوربا الغربية بينما كانت قد نضجت حضارة عظيمة في ذلك الوقت في سومر .

وفي مرحلة مبكرة لهذا التطور قام الانسان بتصنيف النبات وفصل النباتات الصالحة للأكل عن التي كانت سامة كما عرف مواصفات اخرى للنبات مثل تحضير المشروبات عن طريق التخمير وتحضير الزيوت ودور التوابل في الحفاظ على الأغذية .

لقد سبق في المائة عام الأخيرة القيام بأبحاث واسعة في العراق في الآثار . كما تم العثور على اماكن اثرية هائلة وآلاف اللوحات المنقوشة من حفريات مدن السومر وبابل وآشور . واضافة الى ذلك تم الوصول الى استنتاجات بديعة في علم اللغات ادت الى تفسير اللغتين الرئيسيتين المستخدمتين في العراق القديم اي السومرية والأكدية واكتشاف اسرارهما وتمت ترجمة الوف النصوص منهما ونشرها فيما بعد .

لذلك استعرض الفترات الآتية من التاريخ :

**السومرية ٣٠٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق .م**

**الأشورية ٢٠٢٥ ق .م**

**و ١٩٠٠ ـ ٦١٢ ق .م**

**ثم العربية من ٦٣٢**

**سومر ٣٠٠٠ ـ ٢٤٠٠ ق .م**

وصل السومريون الذين حكموا في أور الى مستوى عال من الحضارة التي تتميز بنظمها في الري فاستخدم السومريون كتابة صورية في البداية اصبحت كتابة مسمارية فيما بعد ( بشكل الخوابير الخشبية ) وكتبت المسمارية على لوحات الطين وتبدي هذه اللوحات ان السومريين من كل من أرك وأور وكيش ولجش كان لديهم نظام خاص لعلاج الأمراض . وقد وجدت سكاكين نحاسية صغيرة بجانب اللوحات مما يؤدي الى الأفتراض بأنها على الأرجح استخدمت كأدوات جراحية . وتم العثور على ختم لطبيب من لجش لحوالي ٣٠٠٠ ق .م وهو من نوع الاسطوانة التي حملت على قرميد الطين واستخدمت لتسجيل الأمضاء والمواعيد . كما تم العثور على عدة لوحات في كيش ذات علاقة بالطب .

وهناك لوحة لفترة ٢١٠٠ ق .م عثر عليها في نيبور « جنوبي غرب كوت » قبل ٥٠ سنة ترجمت الأن وليست سوى كتيب لطبيب سومري ويمكن اعتباره كأقدم كتاب للأقرباذين)

وقد استخدمت عدة مركبات في تحضير جرعة الدواء للاستيعاب الداخلي كما تم سحقها واذابتها في البيرة او اللبن كما استخدمت البيرة للتنقيع ايضا .مع ان هذه

الوصفات السومرية لا تذكر الكميات المستخدمة لكل مركب او مقدار الجرعة او تردد استيعاب الأدوية او استعمالها او الامراض التي تتعلق بها الوصفات وقد تكون هذه « أسرارا حرفية » اخفاها الطبيب عمدا كي لا يطلع عليها غيره من الاطباء او غير الاطباء او ربما كان يرى ان التفاصيل شيء غير جدير بالاهتمام . على العموم ان الذي يهمنا هنا هو عدم اهتمام الطبيب السومري بالسحر او اللجوء الى التعزيم او التعويذات فاللوحة خالية من اية اشارة الى الأمور اللاعقلانية او الخرافات .

## الوصفات

١ ـ المسحوق : الطين من حوض النهر ومزيج الماء والعسل والنفط العائم من البحر وزيت خشب الأرز الساخن كغطاء للمسحوق .

٢ ـ مسحوق قشر شجرة الكمثرى ونبات هلالي ( ربما من نوع ميني اسبيرم ) ويحل في نبيذ ويضاف اليه زيت خشب الأرز الساخن .

٣ ـ تسحق قشرة شجرة الكمثرى وجذور نبات هلالي وتحل في البيرة ويشربها المريض .

٤ ـ تسحق بذور غرس النجار ( قد يكون جمنوسبور ياسراتا ) وصمغ الراتينج من شجيرة المركزي والزعتر تحل في البيرة ويشربها المريض .

٥ ـ يمزج كل من قطعة قشر السلحفاة والقلي ذي القرن ( سالكورنيا فركتيكوسا ) والملح والقرفة الصينية وصمغ الراتينج المسحوق ويغسل المزيج في بيرة من نوع عال ويطبق على العضو المعطوب ويتم التدليك بزيت النبات ويضاف اليه الكونسيس الحراري .

٦ ـ تنظف وتسحق قشرة الثعبان المائي ويسكب عليها الماء وعلى كل من غرس « اماما شدوب كاسكال » ونبات عطري والقلي المسحوق وطحين شعير جمجام وجلد طائر كوشيبو ويغلي المحلول ويصب المزيج على العضو المعطوب وينظف به ويتم التدليك بزيت النبات ويضاف اليه الساحكي .

٧ ـ ينظف ويسحق ...... للبقر ويسكب عليه الماء كما يصب الماء على غصن من شجرة نبات عطري وشجيرة النجمة وجذور شجيرة أب ( ربما كومي فورا أوبوبالصامم ) وقشرة شجرة الكمثرى وملح أب ويغلي المزيج ويسكب المحلول على العضو المعطوب ويطبق عليه ب ب ت نايتريت وشجيرة .

## الطب الآشوري البابلي

انتهت الحضارة السومرية في حوالي ٢٠٠٠ ق م وحلت الحضارة الآشورية البابلية محلها . اجتذب الملك حمورابي الى بلاطه في بابل عددا كبيرا من العلماء وتمت في عهده ترجمة وتأليف عدة كتب في الطب كما تم تدوين قوانين حمورابي الشهيرة التي تلقي الضوء على الأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك كان البابليون على المام بتركيب الكبد وكان عندهم نموذج طيني للكبد وتتكاثر قوائم الأدوية والوصفات والعلاجات التي لجأ اليها الأطباء البابليون الكهان واكثر مقوماتها ترجع الى النباتات وبالاضافة الى الأدوية استخدم هؤلاء الاطباء التعويذات والتعزيم ونذكر على سبيل المثال الأمثلة الآتية :

## للعيون الملتهبة

ينصح الطبيب الكاهن بقطع بصلة في قطع صغيرة وشربها مع البيرة لشفاء التهاب العيون . يبدو بأن هذه العملية تساعد على اسالة الدموع كما يوضع الزيت في العيون لما له من تأثير في ابادة الجراثيم .

وهناك وصفة اخرى لعلاج بعض الأمراض مثل الدودة والقرح في المعدة وسوء الهضم او الألم في المعدة . ان كانت المعدة ساخنة تغلي ٧ أدوية ( لم تذكر اسماؤها او لا يمكن التعرف عليها ) وترشح ويغلي المحلول مرة ثانية بالبيرة ثم يرشح ويبرد . يضاف اليه ماء الشعير ويرش عليه ماء الورد . يستخدم هذا المحلول كحقنة شرجية فيشفى المريض .

كان البابليون يؤمنون بأله المرض وتمثله الديانة كشعاره . هذا يدل على ان البابليين كانوا يعرفون بأن الحشرات تحمل الأمراض ومن منجزاتهم الرائعة معرفتهم عزل مرضى الجذام وحماية عامة الناس منهم ومنعوا المجذوم من الاتصال بالمجتمع خوفا من نقل المرض وتقول النقوش التي يعود تاريخها الى قبل ٣٥٠٠ سنة في هذا الصدد انه لن يرجع الى مسقط راسه الى الابد .

## الأشوريون حوال ي ١٩٠٠ ـ ٦١٢ ق م

كان الآشوريون شعبا ذا فتوه وكان جيشهم مزودا بأسلحة حديدية لاول مرة في التاريخ وانتشر الجيش من شمال العراق في كل جهة من الجهات وكانت عاصمتهم نينوي **NIANEYEH** واحتوت مكتبة الملك آشور بانيبال ( ٦٦٨ ـ ٦٢٦ ) بنينوي على ٢٢,٠٠٠ لوحة طينية ومن بينها حوالي ٦٦٠ لوحة تتعلق بالطب والاقرباذين . قام ار كامبل طوماس بتدوين وتصنيف ٦٦٠ لوحة طبية مسمارية بعنوان « النباتات الأشورية » حيث توجد قائمة بـ ٢٥٠ من الاعشاب والخضراوات الطبية بالاضافة الى ١٢٠ مادة معدنية و ١٨٠ مادة حيوانية واقرباذين غير معروفة .

وكانت المواد الآتية متداولة آنذاك : الكتان الهندي والأفيون والصنوبر والدفل والراتينج والورد والميعة والحلبينه والقلي النباتي والمر والصمغ النباتي والنعناع والشمرة والسوس وبذور الكتان والحنظل وجاءت القائمة بوصف المواد مثل ( الشجيرة التي تنتج اليافا تستخدم في النسج وتستخدم كالدواء لمكافحة الكآبة وهو القنب طبعا . كذلك ذكر الخيار الصحراوي الذي يبدو كالكرة ومعناه الحنظل اما وصف تحضير الأفيون فلا يختلف كثيرا عما يتضمنه كتاب حديث عن الموضوع . يقول الوصف :

في الصباح الباكر يجمع الأولاد والبنات والمسنات العصير بعملية الكشط باستخدام مغرفة حديدية ويخزنونه في أنية فخارية .

## العالم العربي والعقاقير

في عهد الخليفة المنصور العباسي ( ٧٥٤ ـ ٧٧٥م ) تم انشاء مدينة بغداد ثم أسس هارون الرشيد ( ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) وابنه المأمون ( ٨١٣ ـ ٨٣٣م ) ما سمي ببيت الحكمة وهو مكون من مكتبة واسعة حيث توافرت التسهيلات اللازمة للعلماء والمترجمين من جنسيات مختلفة لممارسة مهامهم العلمية والأدبية .